عمادة الدراسات العليا
جامعة القدس

أدب الوفادة من الجاهلية إلى نهاية العهد الأموي

فرج سعادة سعيد نعسان

رسالة ماجستير

القدس ــ فلسطين

1930هـ/2009م

أدب الوفادة من الجاهلية إلى نهاية العهد الأموي

إعداد:

فرج سعادة سعيد نعسان

بكالوريوس لغة عربية من جامعة القدس المفتوحة ــ رام الله ــ فلسطين

إشراف : أ.د. إبراهيم شحادة الخواجة

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.

جامعة القدس ــ فلسطين

1430هـ/2009م

جامعة القدس

عمادة الدراسات العليا
ماجستير اللغة العربية

إجازة الرسالة

أدب الوفادة من الجاهلية إلى نهاية العهد الأموي

فرج سعادة سعيد نعسان
20312215

المشرف: أ. د . إبراهيم شحادة الخواجة

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ:2009/2/7ممن لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم :

1- رئيس لجنة المناقشة: أ.د. إبراهيم شحادة الخواجة. التوقيع:.....
2- ممتحناً داخلياً: د .مشهور حبازي. التوقيع:.....
3- ممتحناً خارجياً: أ.د .عادل أبو عمشه. التوقيع:.....

القدس ــ فلسطين

1430هـ/2009م

الإهداء....

إلى سيدي المصطفى خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام العالمين،عليه أفضل الصلاة والتسليم.

إلى والدي ووالدتي العزيزين، مدَّ الله في عمريهما.

إلى أخواني وأخواتي الأعزاء ممن شجعوني على مواصلة الدرب .

إلى زملائي الأعزاء، أسرة مكتب الارتباط المدني الفلسطيني ألرام، الذين تحملوا فترات غيابي المتواصل عن العمل بسبب انشغالي في الدراسة.

إلى التي شاركتني الحلم، فأعانتني بصبرها وسعة صدرها على تحقيقه، زوجتي الحبيبة.

إلى أبنائي الأحباء، الذين اتبعوا خطاي فكانوا مميزين.

إلى كل من ساعدني في انجاز هذا البحث.

إليهم جميعاً أقدم هذا الجهد المتواضع.

فرج النعسان

إقرار:

أُقِرُّ أنا مُقَدِّم الرسالة أنّها قُدِّمت لجامعة القدس لنيل درجةَ الماجستير وأنّها نتيجة أبحاثي الخاصة باستثناء ما تم الإشارة له حيثما ورد، وأنَّ هذه الرسالة أو أي جزء منها لم يُقَدَّم لنَيْل أية درجة عليا لأي جامعة أو معهد.

التوقيع :.....

فرج سعادة سعيد نعسان.

التاريخ :.....

شكر وعرفان

أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لأخي وأستاذي الفاضل، الأستاذ الدكتور إبراهيم الخواجة، الذي تولاني بصدق رعايته، وسعة صدره، وجاد عليّ بوقته وجهده، فصدرت في بحثي هذا عن فكره وذوقه، جزاه الله عنا وعن طلبة العربية خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذين الكريمين اللذين لم يبخلا عليّ بعلمهما وتوجيهاتهما، الدكتور مشهور حبازي، والدكتور عادل أبو عمشه صاحب الفضل في اختيار الموضوع.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة القدس إدارة وموظفين، وعمادة الدراسات العليا عميداً وعاملين، وكلية الآداب عميداً وأكاديميين، ودائرة اللغة العربية منسقاً ومحاضرين لما قدموه لي من عون ومساعدة.

وشكري الجزيل لكل من أسهم في إنجاز هذا البحث.

والله من وراء القصد

فرج سعادة نعسان

الملخص

يرى كثير من الناس أن الأشياء تموت بانقضاء زمانها، وأن لكلٍ منها مدة صلاحية يصبح بعدها بلا جدوى، إلا ثقافة الأمم وآدابه، فهي لا تفنى ولا تنتهي، ولكنَّ الأجيال تصدر عنها، كيف لا وهو نتاج أجيال وخلاصة تاريخ أمة صاغها الشعراء والخطباء وأسكنوا فيها مشاعرهم وأحاسيسهم وأحلامهم.

تناولت الدراسة كل ما يتعلق بالوفود، من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي، أو بالحساب الزمني كما حددها المؤرخون من 200عام قبل البعثة النبوية ولغاية 232هجري نهاية الدولة الأموية، وتناولت الدراسة نماذج منتقاة تم تناولها بالدراسة والتحليل على سبيل التمثيل، وتوقف الباحث عند النتائج التي توصل إليها كنتيجة لهذا اللون الأدبي المميز، وجاء البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

وعمدت الدراسة إلى تسليط الأضواء على هذا اللون الأدبي، لما له من أهمية كبيرة في كثير من المجالات، إذ إن الوفادة مثلت الوسيلة الإعلامية الناجحة في الاتصال والتواصل بين القبائل والأفراد على حدٍ سواء في العصر الجاهلي ، وبين القبائل العربية والرسول الكريم ρ وخلفائه الراشدين في العصر الإسلامي، وبين الأمصار والأقاليم المختلفة والخليفة في العصر الأموي.

وما كان لهذه الدراسة أن تكون لولا وجود مجموعة من المبررات والأهداف، تمثلت بمحاولة تسليط الأضواء على تأثير هذا اللون الأدبي في الاستلا م وتأثره به، والبحث في كل عصر من العصور عما تميز به من خصائص فنية ميزته عن غيره من العصور، فالعصر الجاهلي اختلف عن صدر الإسلام ، واختلف الاثنان عما كان في العصر الأموي، إضافة إلى أن الحدود المكانية والزمانية لكل عصر كان لها أثر كبير في هذا الاختلاف.

واعتمد الباحث على المنهج التكاملي ، فأخذ من عدة مناهج وفقاً لما تقتضيه فصول الدراسة، فاعتمد المنهج التاريخ والإحصائي في تتبع النصوص زمنياً، والمنهج الوصفي في دراستها موضوعياً، والجمالي والتحليلي في دراستها فنياً.

ومضى الباحث يتعقب النصوص النثرية والشعرية، وبعد الانتهاء من جمع تلك النصوص قام بترتيبها وفقاً لأشكالها ودواعي قولها تبعاً للظروف التي أحاطت بها، وفي مرحلة تالية قام بدراسة تلك النصوص وتحليلها موضوعياً وفنياً.

وقد خلصت الدراسة إلى نتائج عديدة، أهمها أنّ الإسلام أثَّر وتأثر بالأدب بشكل واضح، بالإضافة لكون الوفود سفارات إعلامية ناجحة بين الدول والقبائل والأشخاص، تحمل وجهات نظر مختلفة تعبر عن مواقف الوفد ومن يقف وراءه من جهة، وموقف الموفَدْ عليه من جهةٍ أخرى، لأن الوفادة هي وسيلة الاتصال والتواصل بينهم، الأمر الذي كان يدفع الخليفة أو الوالي أو حتى الملك إلى الاحتفاء بالوافد وإكرامه ما يدل على أهميته كوسيلة إعلامية لها عظيم الأثر.

وخلصت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات والتي كان أبرزها؛ أن أدب الوفادة مثَّل لوناً أدبياً مميزاً، وأنه موضوع طويل ومتشعب ويحتاج إلى مزيد البحث لا سيَّما في العصور اللاحقة للفترة التي تناولتها الدراسة.

Abstract:

Many people see that objects die when their life elapse ; and every object is valid for a certain period and then becomes useless ,except the nations' culture and its literature that does not vanish nor expire . Bur generation keep away from it. How do they do this while this culture is a product of generations and a conclusion of a history and a nation formulated by poets and speakers and put in it their feelings, senses and dreams.

The study handled everything relevant to the delegations from Pre-Islam to the end of the Omayyad Era " ; or in Chronology, as limited by the historians , it started from 200 years prior the prophetic message till 232 , the end of the Omayyad State . The study also handled selected models which were handled by study and analyses as examples. And the researcher stopped at the results which he reached as an outcome for this distinctive literary color . The research consisted of an introduction , preface , three chapters and a conclusion .

The study shed light on this literary color as it has great importance in many fields. Hospitality represented the successful media in communication and contact between the tribes and individual alike in the Pre-Islamic Age, and between the Arab tribes and the Holly Prophet (Peace Be Upon Him) and his Orthodox Caliphs in the Islamic Age , and between different countries and regions and the caliph in the Omayyad Age .

This study was not to be existing unless there were a group of justifications and objectives represented in an attempt of shedding light on the effect of this literary color in Islam and being affected by Islam; and in research on each Era with its artistic characteristic that distinguished it from other eras. The Islamic Age was different from the Islamic Age and both ages differed from the Omayyad Age as their place and time limits greatly affected this difference

The researcher depended on the integral method. he took from several methods in accordance with the requirements of the study chapters. He adopted the historical and statistical method in chronologically following up the texts and the descriptive method in objectively studying them, and ethical and analytical method in artistically studying them.

The researcher followed up the prose and poetic texts, and after he finished collecting such texts he arranged them according to their forms and causes following their surrounding conditions. Then he studied and analyzed these texts objectively and artistically.

The study was concluded with many results the most of which are : Islam influenced in and was influenced clearly by literature; in addition that these

delegations were successful media embassies among states , tribes and individuals, conveying different views which express the attitudes of the delegation and the authority it represented on one hand , as well as whom the delegation met on the other hand ; because hospitality is a means of communication and contact among them . For this reason, the caliph , the governor or even the king was celebrating the delegation and hospitalizing him to show its importance as media means with great effect .

The study was concluded with a group of recommendation , the most important of which was that Hospitality Literature represented a distinctive literary color , and it is a long subject with divisions that require more research , especially in the ages coming after the Era which the study handled.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين وبعد:

قال تعالى[إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك إنه كان توابا] [1] .

إن موضوع الدراسة "أدب الوفادة من الجاهلية إلى نهاية العهد الأموي " موضوع طويل، يتناول جانباً مهماً من الجوانب الأدبية في تلك العصور، ويسلط الأضواء على التغيرات التي طرأت على الأدب بشقيه"الشعر والنثر" نتيجة للعديد من المتغيرات، والتي من أهمها ظهور الإسلام، واختلاف دواعي القول من عصر إلى عصر آخر.

إن ما دفعني لدراسة أدب الوفادة؛ رغبتي في دراسة المتغيرات التي طرأت على الأدب نتيجة للتغيرات التاريخية والتطور الحضاري من عصر إلى آخر، ورصد ما للدين الحنيف من أثر في هذه المتغيرات، وقد حاولت –ما استطعت– تسليط الضوء على هذا اللون الأدبي الذي لم يتناوله أحد من الباحثين – فيما أعلم–بشكل منفصل ومتخصص، بالإضافة لرغبتي الشديدة للبحث في موضوع يتصل بطبيعة العلاقات التي كانت تسود بين القبائل في الجاهلية ، ومراقبة ورصد التطورات التي حدثت بمرور الزمن وصولا إلى نهاية العصر الأموي .

عند البدء في الدراسة؛ وجدت نفسي أمام مجموعة من التساؤلات؛ ومن أهمها:كيف أحدد معنى الوفود ؟ وما هو الأدب الذي يمكننا جمعه والإفادة منه كنتاج لهذه الوفود؟ وما دور التغيرات الحضارية والعقائدية في مضمون هذا اللون الأدبي؟. وللإجابة علي هذه التساؤلا ت قمت بالبحث وجمع المادة، حيث وجدت أن هذا اللون من الأدب مرتبط بالأحداث التاريخية المتغيرة من عصر إلى عصر آخر، ومرتبط بالدين الجديد الذي مثل انقلاباً عقائدياً على كل ما كان سائداً؛ وعليه كان لا بد لي من أن أسلك في دراستي هذه سبيلين متوازيين:

أولهما: أن أمضي إلى دراسة هذا اللون الأدبي برصد كل أشكال الوفادات التي ذكرت فيما توصلت إليه من كتب الأدب، وهذا يعني أن الجانب التاريخي في هذا البحث لا يُستطاع تجاوزه أو إخفاء أثره. والثاني: العمل على مقارنة ما وصلت إليه من نصوص أدبية وتحليلها، ومحاولة ربط ذلك بالعصر الذي نسبت إليه هذه النصوص، ورصد حجم التأثير والتأثر فيه، ولتحقيق هذين السببين

---

[1] سورة النصر،1/110– 3 .

كان لا بد لي من الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع والتي كان لها أثر كبير في إخراج هذا البحث أذكر منها على سبيل المثال :

البيان والتبيين للجاحظ ،والكامل في اللغة والأدب للمبرد، والعقد الفريد لابن عبد ربه، ومروج الذهب للمسعودي، وزهر الآداب للقيرواني، وتاريخ اليعقوبي، وتاريخ الطبري، والسيرة النبوية لابن هشام ، بالإضافة لمجموعة من الدواوين الشعرية كديوان حسان بن ثابت وجرير والفرزدق وغيرهم .

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، وفهرس المصادر والمراجع بالإضافة إلى مجموعة من الفهارس الفنية، حيث تناولت في التمهيد تعريفاً بمعاني كلمتي "وفد ووفادة " لغة واصطلاحاً كما أوردتها معاجم اللغة.

وتناولت في الفصل الأول: أدب الوفادة في العصر الجاهلي، تعريفاً بالعصر وحدوده، وأهم أشكال الوفادة ودواعيها، وما مثلته هذه الوفادات من سفارات سياسية لتحقيق مكاسب عامة تعود على القبيلة، إضافة لتناول بعض هذه النصوص بالتحليل عند الحديث عن الخصائص الفنية للأدب.

والفصل الثاني أدب الوفادة في عصر صدر الإسلام فقد جاء مختلفاً بعض الشيء، لأنه تناول حقبة زمنية مهمة في تاريخنا العربي، حيث عصر الرسول ونشر الدعوة والهجرة النبوية ومعاداة قريش للدين، وصولاً إلى فتح مكة وإذعان القبائل العربية لأمر الرسول الكريم ρ وتسمية العام التاسع للهجرة بعام الوفود، وما رافق ذلك أيضاً من إرسال الرسل كسفارات خارجية إلى مختلف أرجاء المعمورة، وتناولت مجموعة من الخصائص الفنية لأدب تلك الفترة وسلطُّ الضوء على تأثير القرآن الكريم وسيرة المصطفى ρ في الأدب.

أما الفصل الأخير؛ أدب الوفادة في عهد بني أمية، فقد جاء أطول فصول الدراسة، لأن الفترة الزمنية التي تناولها تعد طويلة نسبياً ، بالإضافة لكون فترة حكم الأمويين هي فترة صراع سياسي أدى إلى انتشار الفرق الإسلامية المتعددة وظهور المعارضة ، وبذلك تعددت أنماط الوفادة وأشكالها ، حيث ظهرت الوفادات السياسية من مؤيدة للبيت الأموي ومعارضة له، وظهرت الوفادات الإلزامية بطلب من الخليفة، وكثرت الوفادات الاجتماعية من تهنئة وتعزية وتكسبية ، وبينت دور القصر الأموي في تشجيع هذه الوفادات وبالتالي ازدهار هذا اللون من الأدب ،حيث وجدنا قوة العبارة وجزالتها وقصر الجمل وشدة وقعها وانتقاء الألفاظ وما يقتضيه الموقف من إيجاز وبعد عن الاستطراد.

ومن أهم المشكلات التي اعترضتني –بالإضافة إلى قلة المراجع والمصادر المتخصصة– أن كل المراجع الحديثة تقريباً قد اعتمدت في تناولها لموضوع الوفادة والوفود على ذات المصدر، وما

يرافق ذلك من سقط هنا ونقص هناك وما يؤثر ذلك في البحث، وعليه أوصي بضرورة تواصل اهتمام الباحثين بهذا اللون الأدبي المهم .

وختمت بحثي بخاتمة خلصت فيها إلى أهم ما توصلت إليه من نتائج، بالإضافة إلى مجموعة من الفهارس الفنية.

وليس لي أن ادعي الكمال في بحثي هذا، ولكنه جهد متواضع يرفع لبنة في صرح العربية، لغة القرآن الكريم، وهو خلاصة ما أسعفني به وقتي، وما جادت علي به المصادر والمراجع، مما وصلته يداي، وحسبي أني اجتهدت فإن أحسنت فلي حسنتان وإلا كفاني نصيب المجتهدين الذين جانبهم الصواب.

والله من وراء القصد

تمهيد:

أدب الوفادة تعريف ومفهوم.

عرّفه طه حسين في حديثه عن الأدب بقوله: "الأدب في جوهره إنما هو عناصر مأثور الكلام نظماً ونثراً، وإنّ هذا الكلام لا يستطيع أن ينهض الأديب بفهمه وتذوقه؛ إلا إذا اعتمد على ثقافة عامة قوية وعلى طائفة من العلوم الإضافية لا بد منها..." [1].

كلمة أدب من الكلمات التي تطور معناها بتطور حياة الأمة، وانتقالها من دور البداوة إلى أدوار المدنية والحضارة، وقد اختلفت معانيها كثيراً وقبل استقرار معناها الذي يتبادر إلى أذهاننا اليوم، وقد عرف الدكتور شوقي ضيف الأدب بأنه "الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين سواءً كان شعراً أم نثرا"[2].

وقد ذُكِرَ أيضاً أن كلمة أدب مرت بمراحلَ وأدوارٍ لغوية ترتبط بحالات من أحوال التاريخ الاجتماعي، فالكلمة لم تكن معروفة في الجاهلية وصدر الإسلام، إلا بمن يؤخذ من معناها النفسي الذي يقوم على الأخلاق وتقويم الطباع، ومنها الحديث الشريف{أدبني ربي فأحسن تأديبي} [3] فإنهم يقولون أدُبَ القوم بأدبهم أدباً إذا دعاهم لطعام يتخذه، وعندما جاء الإسلام ووضعوا أصول الآداب وأجمعوا على أن الدين يتخلق بها[4].

وقد وصف غازي طليمات كلمة الأدب "بأنها الدعاء والمأدُبة التي يُدعى إليها الناس" [5]، ومع مرور الزمن انتقلت دلالة اللفظة من معناها الحسي إلى المعنى المجرد.

الأدب لغة واصطلاحا.

الأدب لغة: الذي يتأدب به الأديب من الناس، سُمي أدباً لأنّه يأْدَب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح، وأصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس مدعاة ومأدبة، وفي ذلك قال ابن

---

(1) طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 31– 32.

(2) شوقي ضيف، العصر الجاهلي،ص7.

(3) المتقى الهندي، كنز العمال،حديث رقم 183/31892،11 .

(4) ينظر: مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، 31/1 – 32 .

(5) غازي طليمات، الأدب الجاهلي، ص17.

بزرج: لقد أَدُبْتُ آدُبُ أدباً حسناً، وأنت أديبٌ، وقال أبو زيد: أَدُبَ الرجل يأْدَبُ أدباً فهو أديبٌ، والأدبُ: أدَبُ النفس والدرس، والأدبُ: "الظرف وحسن التناول"[1].

أما المعنى الاصطلاحي: فيتمثل في ذهاب علماء اللغة إلى أنَّ لفظة أدب فيها مذاهب شتى، فمنهم من قال:"الظُرف وحُسن التناول"، ومنهم من قال:"عبارة عن معرفة ما يُحْترز به عن جميع أنواع الخطأ"، وفي العصر الجاهلي اعتبروا الأدب الخطة الأخلاقية، واستعملوها أيضا بمعنى التعليم كما يُستفاد من الحديث النبوي الشريف {أدبني ربي فأحسن تأديبي}، وبعد ظهور الإسلام إلى أواخر العهد الأموي ظل للأدب المجال المعنوي، وفي العصر العباسي امتد الأدب إلى مجموع المعارف الأدبية أو إلى المنهج الذي يجب اتباعه في فن من الفنون فقالوا: أدَب الكاتب، وأدبُ المجالسة، وأدب الوفادة وغيرها من الآداب[2].

يتضح مما سبق أنَّ لفظة "الأدب" مرت في تطورها في بضع دلالات قبل أن تأخذ معناها الاصطلاحي الذي ثبتت عليه، بدأت اللفظة بالدعوة إلى المآدب وانتقلت إلى التهذيب، ثم أصبحت بمعنى التكسب بالتعليم، وأخيراً استقرت على معناها وهو: التعبير الفني بالشعر والنثر عن معاني الحياة بأسلوب جميل أو الكلام المؤلف بطريقة فنية تؤثر في النفس ويُستفاد منها حب الخير والفضيلة والجمال.

وتكاد معجمات اللغة العربية الحديثة تلتقي عند تعريف واحد للأدب "هو علم يشمل أصول فن الكتابة ويُعنى بالآثار الخطية والنثرية والشعرية، وهو المُعَبِّر عن حالة المجتمع البشري والمُبَيّن بدقة وأمانة عن المواقف التي تعتمل في نفوس شعب أو جيل من الناس، أو أهل حضارة من الحضارات" وهذا المعنى هو الذي ذهب إليه شوقي ضيف بتعريفه للأدب بقوله:"الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين سواء كان شعرا أم نثرا"[3].

وإذا أردنا التعرف على مفهوم الأدب بشكل أوسع، فلا بد لنا من الربط بين الأدب والمجتمع، وقد عدَّ النقاد الاهتمام بالواقع ضرورة لا بد منها؛ للربط بين الأدب والتطور الاجتماعي والاقتصادي، والربط بين الأدب والعلوم الطبيعية، فمثلا إننا نجد هناك علاقة بين مرحلة الإقطاع وظهور الرومانسية بحيث يصبح الأدب وثيقة تؤرِّخ وتضيء في عالم المجتمعات، ويرى البعض

---

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة :أدب.

(2) ينظر:حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 12-13.

(3) شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص7.

أن الأدب يحمل رسالة هادفة، وللنص الأدبي استقلالية، فهو ليس وثيقة اجتماعية أو تاريخية، وهو ليس كشفاً دينياً أو تأملاً فلسفياً.

من هنا نرى أن الأدب يتطور بتطور المحطات الحضارية التي تمر بها الأمة، ولهذا نجد الأدب في العصر الجاهلي غير الأدب في صدر الإسلام، وغيره في عهد بني أمية أو عهد العباسيين، وغيره أيضاً في زمننا الحاضر، على الرغم من وجود قدر مشترك بين الأدب في مختلف العصور، ويمكننا القول أيضاً: أن مفهوم الأدب بمعناه الواسع يتناول النشاط الثقافي الهائل الذي تم إبداعه في عصر من العصور في ظل العوامل الاجتماعية والنفسية والمكانية والسياسية التي كانت تدور في مثل هذا الزمن.

الوفادة لغة واصطلاحاً.

لغةً: جاء في مادة في لسان العرب : قال تعالى **(يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً)** [1]، قيل: الوَفْد؛ الركبان المكرمون، وقال الأصمعي: وَفَدَ فلان، يَفِدُ وِفادةً إذا خرج إلى ملكٍ أو أمير وقال ابن سيدة: وَفَدَ عليهِ وإليْهِ، يَفِدُ وفْداً ووفوداً ووفادةً وإفادةً، على البدل: قَدِمَ فهو وافد، وأوفَده عليه، هم الوفد والوفود، فأما الوفد فاسم للجمع، وقيل جمعٌ، وأما الوفود فجمع وافد، وقد أوفده إليه، ويُقال وفَّدَه الأمير الذي فوقه، وأوفَده فلان إيفاداً إذا أشرف، وقال الجوهري: وفَدَ فلان على الأمير أي ورد رسولاً فهو وافدٌ، والوافد من الإبل؛ ما سبق سائرها وقد تكرر الوفد في الحديث، وهم القوم يجتمعون فيردون البلاد، واحدهم وافد، الذين يقصدون الأمراء لزيارة واسترفاد وانتجاع وغير ذلك. وفي الحديث الشريف:{وفْدُ الله ثلاثة}[2]، وفي حديث،{الشهيد وافدٌ لسبعين يشهد لهم}[3]، وقوله ρ: {أجيزوا الوفد}[4].

وَتَوَفَّدَتْ الإبل والطير: تسابقت، وأوفدَ الريم: رفع رأسه ونصب أذنيه، وفلان مُسْتَوْفِد في قعدته أي منتصب غير مُطمئن، الإيفاد على الشيء: الإشراف عليه، والوافدان في شعر الأعشى هما الناشزان من الخدين عند المضغ، فإذا هَرِمَ الإنسان غاب وافداه، والأوفاد قوم من العرب [5]، وقد أورد

(1) مريم، 85/19.

(2)الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، حديث رقم 608/1611،1.

(3) ابن حبان، الصحيح، حديث رقم 4641، 84/7.

(4) ابن حنبل، المسند ، حديث رقم 222/1،1936.

(5) ابن منظور، لسان العرب، مادة: وفد.

صاحب القاموس المحيط بأن: وَفَدَ إليه وعليه يَفِدُ وَفْداً ووفوداً، والوفد القوم يفدون [1]، ووفدَ فلان على القوم يَفِدُ وفداً ووفوداً ووفادةً وإفادةً بإبدال الواو همزة[2].

اصطلاحاً: تعني كلمة وفادة في الاصطلاح وسيلة الاتصال بين الأفراد والقبائل بأشكالها الرسمية وغير الرسمية، حيث إن الوفادة لم تكن ظاهرة عبثية؛ بل هي وسيلة الاتصال والتواصل بين القبائل والأفراد لتأدية أغراضٍ ينتج عنها تعميق العلاقات بين القبائل وعقد التحالفات والوصول إلى أهداف قومية تتطلع إليها القبيلة، وهي الوسيلة الإعلامية لنقل وجهات النظر بين الوافد والموفد عليه.

فالوفد كان يمثل وجوه القوم وعليتَهم وسادتَهم وبلغاءَهم، ينطلقون لتأدية غرض عام، وعن ذلك قال صاحب العقد الفريد "لا بد للوافد عن قومه أن يكون عميدهم وزعيمهم الذي عن قوته ينزعون، وعن رأيه يصدرون، فهو واحدٌ يعدل قبيلة، ولسان يُعْرِبُ عن ألسنة، وما ظنك بوافد قومٍ يتحدث بين يدي النبي ρ أو خليفته، أو بين يدي ملك جبار..." [3].

ومن خلال ما سبق نرى : أن يقوم الشخص بالبحث عن ذاته لدى ذوي السلطان؛ إما معتذراً أو متملقاً طلباً للعطاء مثلما كان من وفادات الشعراء على الملوك والأمراء يمدحونهم طمعاً في عطائهم وقد أفرزت الظروف الاجتماعية والسياسية وحياة البداوة لوناً آخر من الوفادات السياسية، والتي يراد منها خدمة القبيلة والبحث عن المكاسب العامة، وهو ما يمكننا تسميته بالوفادات والسفارات القومية.

وعليه نستطيع القول وبشكل مختصر؛ أن الوفادة تعني: قيام زعماء القوم وسادتهم بسفارات واتصالات فردية أو جماعية لتأدية واجب معين عند زعماء القبائل والأقوام المجاورة لتحقيق أغراض متعددة مثل عقد التحالفات وإبرام اتفاقيات الصلح وإطلاق سراح أسرى القوم، وانتهاءً بتحركات الشعراء والخطباء لدى الملوك والسادة للحصول على المال والشهرة.

---

(1) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة: وفد.

(2) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: وفد.

(3) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 265/1.

الفصل الأول :- أدب الوفادة في العصر الجاهلي.

المبحث الأول :- الجاهلية حدَّها ومفهومها.

المبحث الثاني :- الوفادات في العصر الجاهلي "أنماطها وأشكالها".

أولاً :- وفادات الاستعطاف والاعتذار.

ثانياً :- وفادات التكسب المادي.

ثالثاً :- وفادات التهنئة والتعزية.

رابعاً :- وفادات إصلاح ذات البين.

المبحث الثالث:- دراسة فنية لأدب الوفادة في العصر الجاهلي.

أولاً:- الألفاظ والتراكيب.

ثانياً:- الخيال والصورة الفنية.

ثالثاً:- الأسلوب.

المبحث الأول: الجاهلية حدّها ومفهومها.

أُطلق لفظ الجاهلية على عهد ما قبل الإسلام، وهو عهد تفنَّن بعض الباحثين من المتعصبين المسلمين وغير المسلمين في ذمه والانتقاصِ منه والتهوين من أمره، حتى لِيُخَيل للباحث في أقوالهم أن الباطل كان سمة العصر، والضلال طابعه، قال الألوسي: "إنه الزمان الذي كثُر فيه الجهلُ، وأنها قد تطلق على زمن الكفر مطلقاً"[1] وهو زمن الجهل الذي لا عِلْم فيه، أو حُرم أهله من أن يجدوا حظا منه، وقد قسم الألوسي ذلك الجهل إلى جهل بسيط وجهل مركب، حيث قال: "فأما من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلاً بسيطاً، فإن اعتقد خلافه فهو جهل مركب، وقال: خلاف الحق وهو عالم بالحق أو غير عالم فهو جاهل أيضاً"[2] قال تعالى:(وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا)[3] وقال رسول الله ρ: {إذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل}[4] وقال: عمرو بن كلثوم(ت.40ق.هـ/584م)[5].

-الوافر-

ألا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا فنجهلَ فَوْقَ جَهْل الجاهلينا[6]

أي لا يسفهن أحد علينا فنسفه عليهم فوق سفههم، ونجازيهم بسفههم جزاء يربى عليه، وكذلك عالم الحق فهو جاهل وإن عَلِم أنه مخالفٌ للحق، قال تعالى: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ)[7].

فالجاهلية عند الألوسي؛ هي العهد الذي فيه الجهل والضلال الذي هو عدم الحق وعدم معرفته ولذلك؛ يُفسَّر وِفْق هذا الفهم قول الله تعالى في الجاهليين وقوله في الجهالة، وإن كانت الآيتان لا يُراد بهما المعنى الذي ذهب إليه الألوسي.

---

(1) الألوسي، بلوغ الأرب، 15/1.

(2) الألوسي، م. ن ، 15/1.

(3) الفرقان، 63/25.

(4) أبو داود، السنن،حديث رقم،2355، 261/4.

(5) عمرو بن كلثوم ، شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات (ت.40ق.هـ/584م) .ينظر: الزركلي،الأعلام، 84/5.

(6) عمرو بن كلثوم، الديوان، ص 156.

(7)النساء، 17/4.

وكذلك فهمه لبيت عمرو بن كلثوم، أنه في السفه، مع أن البيت ينصرف من وجهة نظرنا إلى الظلم، وقد توقف أحمد أمين في كتاب فجر الإسلام عند الجاهلية والجاهليين واختار أقسى الألفاظ في وصفه للجاهليين؛ حيث نعتهم بالسفه والغضب والأنفة حين فسر قوله تعالى:(وعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا) [1]، حيث وظف الآية وفق المعنى الذي يريد، مستفيدا من بيت عمرو بن كلثوم المذكور آنفا، ليصف حياة العرب في ذلك العهد "بأنفة وحمية ومفاخرة وسفهاً"[2].

وعندما نرجع إلى دائرة المعارف الإسلامية فإننا نجد أن محرر مادة جاهلية يرى أن المعنى الدقيق للكلمة هو زمن الجهل، أما الإسلام فهو زمن النور والمعرفة، وجهل ضد علم، ووردت الكلمة بهذا المعنى كثيرا في اللغة القديمة، ووردت أكثر في الأزمنة القريبة من الإسلام، ومن ذلك قول عنترة بن شداد (ت.22 ق.هـ/600م) [3] في معلقته:

-الكامل-

هلا سألت الخيلَ يا ابنة مالكٍ إن كنتِ جاهلةً بما لم تعلم[4]

غير أن واقع حال العرب في تلك الجاهلية يفند ما ذهب إليه أولئك، لأن ذلك كله إنما جاء في ضوء المعنى المعجمي لكلمة الجاهلية الذي دار بلا شك في مجالات الجهل ضد العلم والفهم، غير أن كتب الأدب القديمة تحدثنا أن عرب الجاهلية كانوا أصحاب حضارة عربية عريقة ضاربة في أعماق الزمن، فهم أصحاب الشعر والخطابة والأمثال والرسائل والحكم المأثورة، والأرجح أن الكلمة حين أُطلقت أُريد بها الدلالة على شيوع عبادة الأوثان بينهم، ولم يكن العرب جاهلين جهلاً ينافي العلم، فقد ثبت أنهم كانوا أهل ذكاء ودراية وخبرة، وكانت فيهم أذهان صافية، ونظرات صادقة في الطبيعة وأحوال الناس بما لا يقل عن بعض نظرات الفلاسفة والباحثين والمفكرين[5].

إنّ المصادر القديمة تحدثنا عن الجاهلية حديثاً يتصل بالحالة الخلقية التي كانت حاضرة في نفوس عرب الجاهلية، والتي كان جماعها الغلو في تقدير الأمور والإسراف وسرعة الغضب

---

(1) الفرقان، 63/25.

(2) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص69.

(3) عنترة بن شداد العبسي،(ت. 22ق هـ/600م) وهو من أشهر فرسان العرب في الجاهلية، من أصحاب المعلقات.ينظر: المبرد،الكامل في اللغة والأدب، 47/2؛ الأصفهاني، الأغاني،132/4.

(4) عنترة بن شداد، الديوان، ص190.

(5) علي الجندي، تاريخ الأدب الجاهلي، ص14.

والظلم، فكلمة الجاهلية كما نفهمها تنصرف إلى معنى الجهل الذي هو مقابل الحلم، وليس ضد العلم على نحو ما يفهم من قول الشنفرى(ت.70ق هـ/525م) [1] في لاميته:

-الطويل-

ولا تزدهي الأجهالُ حِلمي ولا أُرى سَؤولاً بأعقاب الأقاويلِ أنملُ[2]

وقد يتضمن معنى الظلم أيضاً على نحو ما نفهم من قول رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، { مَنْ استجهَلَ مؤمناً فعليه إثمه } [3] حيث فسره ابن كثير فقال: أي حمله على شيء ليس من خلقه فيغضبه فإنما إثمه على مَنْ أحوجه إلى ذلك.

وهكذا فإن القدماء وجمهور الباحثين أجمعوا على أن كلمة الجاهلية مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق وأنها ضد الحِلمْ.

ويرى الألوسي أنها:" لفظ حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة" [4]، وبذلك يقترب من معنى الكلمة في معجمات اللغة، حيث يقول ابن منظور" هي الحال التي كان عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه ورسوله، وشرائع الدين، والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر.." [5]

ونقيضها كما يرى شوقي ضيف، لفظة الإسلام: "التي تدل على الخضوع والانقياد والطاعة لله، وتحثُّ على التحلي بالخلق الكريم"[6] وبنفس هذا المعنى وردت الكلمة في القرآن الكريم أربع مرات، كما وردت في الحديث الشريف عدة مرات، وتراوحت بين مدلولين اثنين هما: الفترة التي سبقت الإسلام، والمفاهيم والعادات الجاهلية المرذولة التي نسخها الإسلام، هذا عن مفهوم الجاهلية ومعناها واستخدامها الأدبي؛ أما عن زمانها فقد حدده كثير من الباحثين والمفسرين على أنه الزمان الفاصل بين زمن سيدنا عيسى υ، وزمن سيدنا محمد ρ، وبهذا التحديد أخذ الألوسي، وكذلك ما أوردته دائرة المعارف الإسلامية، على حين ذهب آخرون إلى أن بداية الجاهلية مغرقة في القدم لدرجة يصعب تحديدها، لكنهم اتفقوا على أن نهايتها كانت بظهور الإسلام.

---

(1) الشنفرى الأزدي، جليل العطية،(ت.70ق.هـ/525م) ،وهو شاعر جاهلي يماني،من أشهر شعراء الصعاليك، صاحب لامية العرب ، ينظر: الزركلي، الأعلام، 85/5؛ الأصفهاني، الأغاني،96/6.

(2) الشنفرى الأزدي، الديوان، ص63.

(3) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، مادة: جهل،316/1.

(4) الألوسي، بلوغ الأرب، 15/1.

(5) ابن منظور، اللسان، مادة: جهل.

(6) شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص11.

وقدر شوقي ضيف زمنها بقرن ونصف من آخر الزمان الذي سبق الإسلام، لكن إبراهيم مصطفى وفي ضوء المنهج التاريخي وبناء على ما ذهب إليه المؤرخون المعنيون بدراسة الحضارات القديمة والبائدة، يرى أن الجاهلية تبدأ بنهاية آخر حضارة شهدتها الجزيرة العربية، وإن من يستطيع أن يحدد نهاية آخر حضارة في هذه الأرض، يستطيع أن يحدد بداية الجاهلية، وإذا قلنا إن آخر دولة مستقلة قبل الإسلام هي الدولة الحميرية في اليمن، وأن هذه الدولة سقطت ودُثِرَتْ سنة"525م" أي قبل البعثة بقرن من الزمان، وأن عمرها مئة سنة[1]، عليه نستطيع تحديد الجاهلية زمنياً، خاصة وأن الجاحظ جعلها تمتد إلى مئة وخمسين عاماً على أوسع تقدير، عندما حدد عمر الشعر الجاهلي حيث قال:"أما الشعر فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله وَسَهَّل طريقه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة، فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام "[2].

وحتى نستجلي الصورة بدقة أكثر فإن ما يهمنا في هذا المجال هو عصر الجاهلية وهو العصر الذي سبق البعثة النبوية الشريفة، وانطلاقاً من هذا فإنه من الأنسب أن نضع لهذا العصر حدوداً زمانية ومكانية، حتى نتمكن من تناول العصر من الناحية الأدبية، مقدرين ما للمكان والزمان من تأثير واضح في الأدب، حيث قيل إن الأدب يخضع لثلاثة قوانين هي الجنس والزمان والمكان، والأدباء يخضعون لهذه القوانين خضوعاً جبرياً ملزماً، فلكل جنس خواصه، ولكل زمان أحداثه وظروفه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، كما لكل مكان ميزاته الإقليمية والجغرافية[3]. أما الحدود الزمانية فقد وجدنا من صنفها إلى جاهلية أولى، ووضع لها حدوداً امتدت من قبل التاريخ إلى القرن الخامس الميلادي، وجاهلية ثانية امتدت من بداية الخامس الميلادي لغاية 622م، ولا يوجد ما يؤكد هذه الفرضيات والتقسيمات سوى اليسير من بعض الكتابات والنقوش القديمة المكتشفة في اليمن وغيرها، وبعض ما جاء في الكتب السماوية وعلى رأسها القرآن الكريم[4].

أما إذا أردنا الحديث عن الحدود المكانية، فلا بد من التنبه إلى الأثر العميق للبيئة في الأدب، حيث ارتبطت القبائل العربية التي سكنت الجزيرة العربية بروابط الجوار والمصاهرة والولاء والتجارة وغيرها، هذه العلاقات أفرزت أشكالاً متعددة من اللقاءات الأدبية في الأسواق التي كانت تقام في مختلف المناطق، مثل: سوق عكاظ الذي بقي بعد الإسلام، حيث كان يجتمع فيه أصحاب القول للمفاخرة بالشعر والخطابة، والتجار للمتاجرة، وزعماء القبائل لمبادلة الأسرى وغير ذلك،

---

(1) ينظر: عمر فروخ، تاريخ الجاهلية، ص52.

(2) الجاحظ، الحيوان،51/1.

(3) ينظر: شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص11– 12.

(4)ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص72– 73.

وكان النابغة الذبياني (ت15ق هـ/604م) [1]أبرز المحكمين في الشعر، وقس بن ساعدة (ت 23ق هـ/600م) [2] في مجال الخطابة.

تعد بيئة نجد من أخصب البيئات الأدبية، التي فاقت جميع أماكن الجزيرة العربية بكوكبة من الشعراء والأدباء، ولا يعني هذا عدم ازدهار الأدب في البيئات الأخرى مثل بيئة سواحل الجزيرة العربية حيث: سوق عكاظ ومكة والمدينة والطائف، حيث الحركة التجارية الواسعة والنشطة، وبيئة الصحارى، وباديتي الشام والعراق إضافة إلى بيئة الإمارات التي نشأت شرقي نجد مثل: إمارة كندة التي كان آخر ملوكها أبو الشاعر امرئ القيس (ت 80ق هـ/545م) [3]، وإمارة المناذرة قرب الحيرة، وإمارة الغساسنة في بلاد الشام، تلك الإمارات التي كانت محط أنظار الشعراء المادحين والخطباء؛ حيث كانوا يفدون عليهم طمعاً في أعطياتهم وجوائزهم الأمر الذي سنتناوله في بحثنا هذا[4].

المبحث الثاني:- الوفادات في العصر الجاهلي "أغراضها وأشكالها".

عرف العرب الوفادات منذ بداية العصر الجاهلي، واتخذوها وسيلة اتصال فيما بينهم في الجزيرة العربية وخارجها؛ لحل المشكلات أو التشاور لاتخاذ القرارات أو لإجراء التحالفات أو للتعزية أو التهنئة بنصر أو حتى التهنئة بشاعر ينبغ أو بفرس ينجب، وما إلى ذلك من هذه الأغراض، وذلك كله بسبب ما فرضته عليهم الطبيعة من تباعد الديار وعدم الاستقرار[5].

لم تكن الوفادات ظاهرة عبثية في العصر الجاهلي، إنما وجدت نتيجة لظروف سياسية واجتماعية واقتصادية مختلفة تميز بها العصر الجاهلي، ظروف متعددة فرضت أشكالاً من الوفادات لمعالجة كل المستجدات الداخلية والخارجية، حيث كانت النزاعات شكلاً اجتماعياً سائداً في العصر الجاهلي، إضافة لحياة البداوة القائمة على الترحال والتنقل، التي فرضت حالة من عدم الاستقرار، لقد كان هذا كله دافعاً للتفكير والبحث عن سبل الاتصال والتواصل؛ بهدف تخطي هذه المعوقات والمشكلات والتغلب عليها، أو في سبيل إقامة تحالفات، ومنع الأخطار، وتحقيق مكاسب ذاتية وجماعية،

---

(1) النابغة الذبياني، هو زياد بن معاوية (ت.18ق هـ/604م) ،شاعر من ذبيان.ينظر: الأصفهاني، الأغاني،5/11.

(2) قس بن ساعدة بن عمرو بن مالك الإيادي (ت.23ق هـ/ 600م) أحد حكماء العرب، كان أسقف نجران، أول خطيب يتوكأ على السيف، وهو أول من قال أما بعد في خطبه.ينظر: الزركلي، الأعلام، 196/5.

(3)امرؤ القيس بن حجر بن آكل المرار بن ثور (ت.80ق هـ/ 545م) شاعر جاهلي. ينظر: المبرد، الكامل في اللغة والأدب،189/1؛ الأصفهاني،الأغاني،39/9.

(4) ينظر: يوسف خليف، الروائع في الأدب العربي، ص35-39؛ طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص8-14.

(5) ينظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،302/2.

وإصلاح بين القبائل المتنازعة، كمحاولات للتغلب على ما كان سائداً من معطيات تحيط بحياة العربي اليومية[1].

تعد العلاقات الاجتماعية التي كانت تسود بين القبائل من أهم الظروف التي أدت إلى وجود ظاهرة الوفادات في المواسم والمناسبات، وتقديم التهاني والتعازي، وإصلاح ذات البين وغير ذلك، فالوفود التي كان يقع على عاتقها تمثيل المجموع في وفادة ما، كانت تمثل الواجهة المشرقة لهذه القبيلة، وهذا يعني ضرورة اختيار أعضاء الوفد من بين الوجهاء المعروفين برجاحة العقل ودماثة الخلق من الشعراء والخطباء المفوهين، حتى يتمكن الوافد من الإيضاح عن طبيعة أهدافه وغايته من وفادته[2]، ولم يكن هذا غريباً، فالوافد يتكلم بين يدي ملك جبار في رغبة أو رهبة، يوطد لقومه مرة، ويدافع عن نفسه مرة أخرى.

لقد كانت هذه الوفادات مدعومةً بدوافع اقتصادية وسياسية ساهمت في خلق مجموعة من العلاقات التي تقوم على التواصل بين القبائل العربية داخل الجزيرة وخارجها، ومن الأمثلة على ذلك وفادات أشراف العرب، وعلى رأسهم عبد المطلب(ت 45.ق هـ/ 579م) [3] جد الرسول الأعظم الذي وفد على سيف بن ذي يزن [4] بعد انتصاره على الأحباش للتهنئة، وهي تحمل في طياتها بعداً سياسياً يوطد العلاقات، ويدعم أسس التعاون بين العرب، وهي وفادة تشيد بالدور الذي قام به ذو يزن بانتصاره على الأحباش، وما سيترتب على هذا الانتصار من توطيد دعائم حكمه، وبالتالي زوال الخطر عن القبائل المحيطة به والمتحالفة معه، وهذا النصر بلا شك يمثل انتصاراً لكل مؤيديه[5].

ومن الوفادات التي حملت بعداً سياسياً أيضاً، وفادة الملك النعمان بن المنذر(ت. 28ق هـ/595م) [6] على حليفه الأكبر كسرى ملك الفرس في الحيرة، حيث افتخر النعمان أمامه بعروبته بعروبته وبمآثر العرب، الأمر الذي أثار الملك، وأنكر ما قال النعمان عن فضل العرب، ولم يَرُقْ ذلك للنعمان وتوجس منه الشر، وعند عودته جمع سادة العرب وزعماءهم، أمثال الحارث بن

---

(1) الجاحظ، الحيوان، 59/1.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى 167/6–168.

(3) عبد المطلب بن هاشم (ت.45ق هـ/579م)هو جد الرسول الأعظم.ينظر:الأصفهاني ،الأغاني، 312/17 .

(4) سيف بن ذي يزن، أحد ملوك اليمن الحميريين، كان له الفضل في انتصاره على الأحباش .ينظر: الزركلي، الأعلام،149/3.

(5) ابن عبد ربه، العقد الفريد،266/1؛ الأصفهاني، الأغاني، 313/17.

(6) النعمان بن المنذر بن جبلة الغساني (ت.28ق هـ/ 595م) هو أحد ملوك الغساسنة،أمير بادية الشام. ينظر:المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 142/2؛ الأصفهاني، الأغاني، 78/2.

عباد(50ق هـ/ 570م) [1]وقيس بن مسعود بن عاصم [2] وعلقمة بن علاثة(ت20هـ/ 640م) [3] وعامر ابن الطفيل(ت11هـ/632م) [4] وعمرو بن معد يكرب(ت 21هـ/ 642م) [5] والحارث المري(ت22هـ/ 600م) [6] وغيرهم؛ وشاورهم بالأمر، وعرض عليهم مقالة كسرى، وما تنطوي عليه من مخاطر سياسية في المستقبل، واتفق الجميع على تشكيل وفد يضم السادة سالفي الذكر، والتوجه للملك لتوضيح ما يجهله الملك عن العرب، ولتصحيح المفاهيم المغلوطة لديه[7].

هنا نلاحظ أن النعمان قد تحرك سياسياً لوحدة الموقف العربي لمقاومة النفوذ الفارسي والسيطرة الاستعمارية، وذلك يدل على بعد النظر الذي كان يتمتع به النعمان بن المنذر، ويدل أيضاً على قدرته على التأثير والإقناع في أوساط زعماء العرب وسادتهم.

أولاً:- وفادات الاستعطاف والاعتذار.

وهي تلك الوفادات التي يراد منها الاعتذار وطلب الصفح من الممدوح؛ كالاعتذار عن خطأ ارتكب ، أو الاستعطاف كمحاولة لاسترضاء الممدوح واستمالته.

كان فن المديح المقدمة الحقيقية لفن الاعتذار، وإن كانت تتداخل فيه عاطفة الخوف مع عاطفة الشكر والرجاء، ومما ينحو نحو الاعتذار ما ظهر عند الشعراء من فن العتاب والذي كان ينشئه بعض الشعراء دفعاً لما قد يصيبه من أذى الأقارب، على نحو ما نجده عند ذي الإصبع العدواني(ت22ق هـ/600م) [8] والمتلمس(ت50ق هـ/ 569م) [9] .

---

(1) الحارث بن عباد بن قيس بن ثعلبة البكري (ت 50ق هـ/ 570م) حكيم جاهلي، من السادات، في أيامه كانت حرب البسوس. ينظر: الزركلي،الأعلام،156/2.

(2) قيس بن مسعود بن عاصم ، كان عاملاً لكسرى.ينظر: الزركلي، الأعلام، 208/5.

(3) علقمة بن علاثة العامري (ت20هـ/ 640م) أدرك الإسلام وأسلم، ارتد عن الإسلام وعاد، ولاه عمر بن الخطاب حوران .ينظر: الزركلي ،الأعلام،247/4.

(4) عامر بن الطفيل من بني عامر(ت11هـ/ 632) أحد فتاك العرب في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم . ينظر: الزركلي، الأعلام، 252/3؛ الأصفهاني، الأغاني، 311/17؛ المبرد ،الكامل في اللغة والأدب، 136/1.

(5) عمرو بن معد يكرب (ت21هـ/ 642م) وفد على النبي ρ، ارتد في اليمن، وعاد للإسلام، بعثه أبو بكر إلى الشام، شهد اليرموك والقادسية.ينظر: الزركلي، الأعلام، 86/5؛ المبرد ،الكامل في اللغة والأدب، 11/2.

(6) الحارث المري ،هو الحارث بن ظالم المري (ت22ق هـ/ 600م) من أشهر فتاك العرب في الجاهلية، وفد على النعمان بن المنذر ملك الحيرة، ينظر: الزركلي ،الأعلام، 155/2؛ الأصفهاني، الأغاني، 140/9.

(7) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 166/1؛ الألوسي، بلوغ الأرب، 148/1،147؛ أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص50؛ المسعودي، مروج الذهب، 1 ،2 /105-106.

(8) ذو الإصبع العدواني هو ابن الحارث بن ثعلبة، ينتهي نسبه إلى مضر (ت 22ق هـ/ 600م).ينظر: الزركلي، الأعلام، 173/2).

(9) المتلمس، هو جرير بن عبد المسيح من نزار، (ت50ق هـ،/ 569م) . ينظر: الأصفهاني ،الأغاني، 216/24.

وتحفل كتب الأدب باعتذاريات شعرية فاضت بها قرائح الشعراء، وكانت حافلة بالتودد والمدح والتقرب، ورد أقوال الوشاة، وقد احتلت هذه الاعتذاريات مكانة رفيعة بين الأدباء على مر العصور[1]، ولعل خير مثال على الاعتذاريات هو ما قاله النابغة الذبياني الذي يعد رائد فن الاعتذار في الأدب العربي، إذ إن النابغة الذبياني وجد نفسه أمام وشايات كاذبة وتهم باطلة، تحول بينه وبين نديمه النعمان بن المنذر، وكان باستطاعته أن يمنع نفسه منه بقبيلته وذويه، وأن يتجنب غضب الملك وتهديده، ولكنه رفض الذل والهوان، ورفض الاحتماء بقومه، وأخذ يوضح موقفه مبرراً وراداً كيد الوشاة إلى نحورهم من خلال شعره الذي قاله للملك مادحاً إياه ومعتذراً له ليحافظ على العلاقة بينهما[2]:

-الطويل-

ألَمْ تَرَ أنَّ الله أعطاكَ سَوْرَةً ... تَرى كُلَّ مَلْكٍ دونهـــا يَتَذبْذَبُ

فإنَّكَ شَمْسٌ والملوكُ كواكِبٌ ... إذا طلعتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كوكبُ

فإِن أَكُ مظلوماً فعبدٌ ظَلَمْتَهُ ... وإِن تَكُ ذا عُتْبى فَمِثْلُكَ يُعْتِبُ[3]

لقد عمد النابغة الذبياني ومن خلال اعتذاره أن يُظهِر ما بنفسه من ألمٍ وهم؛ لغضب النعمان منه، الذي يعتبره أثقل شيء في الوجود، لدرجة أن الشاعر أصبح مهموماً ومغموماً وقلقا لا ينام الليل، يحاول أن يتقدم خطوةً ليبرئ ساحته ناعتاً الوشاة بالكذب، وحاطاً من شأنهم تخفيفاً من وطأة حججهم، ورداً لأسهمهم إلى نحورهم، وهو يصف النعمان بأنه ملك ليس كالملوك، فهو كالشمس حين تسطع، وتتلاشى أمامه الكواكب، وهو قاضٍ عادل لا شك في أنه سينصف المظلوم.

ومن أمثلة الاعتذار أيضاً ما كان من وفادة ضمرة بن ضمرة [4] على النعمان بن المنذر، حيث كان ضمرة قد اعتاد أن يغير على مسالح [5] النعمان حتى إذا عيل صبر النعمان، كتب إليه ليدخل في طاعته مقابل مئة من الإبل، فقبل ضمرة بهذا العرض وجاء إلى النعمان طائعاً معتذراً عما كان قد بدر منه في السابق، وتذكر مصادر الدراسة أن ضمرة كان دميماً، فلما مثل بين يدي النعمان وشاهده قال:" تسمع بالمعيْدي خيرٌ من أن تراه" [6] فألقى ضمرة خطبة رائعة بين يدي النعمان، بَيَّن فيها أن الإنسان ليس بشكله وإنما بجوهره ولسانه ومنها:

---

(1) الأصمعي، شرح الأصمعيات، ص92.

(2) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 75/1-77؛ حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص266.

(3) النابغة الذبياني، الديوان، ص،25.

(4) ضمرة بن ضمرة النهشلي، من بني دارم . ينظر: الزركلي، الأعلام، 216/3.

(5) مسالح: جمع مسلحة وهي الثغور، ابن منظور، لسان العرب، مادة: سلح .

(6) الميداني، مجمع الأمثال،186/1.

"أيها الملك، إنَّ الرجال لا يكالون بالصيعان، فإنَّ المرءَ بأصغريه، قلبه ولسانه، إنْ قاتَلَ قاتَلَ بِجِنان، وإنْ نَطَقَ نَطَقَ بِبَيان...، أمَّا العجز الظاهر؛ فالشاب القليل الحيلة، اللزوم للحليلة، الذي يحومُ حولها ويسمعُ قولها، فإن غضبت ترضَّاها، وإن رضيَتْ تَفَدَّاها"[1] فما كان من النعمان إلا أن أعجب بكلامه غاية الإعجاب، فأحسن له الجائزة.

ولم يكن النابغة الذبياني الشاعر الوحيد الذي يخشى عقاب الملك، فهذا طرفة بن العبد(ت 60 ق هـ/ 564م) [2] يقول معتذراً للملك عمرو بن هند(ت45 ق هـ/ 578م) [3]، وقد بلغه أنه هجاه:

-الكامل-

إنّي، وَجِدُكَ ما هَجَوْتُكَ والـــــ أنصابُ يُسْـفَحُ بَيْنَـهُنَّ دَمُ[4]
ولقد هَمَمْتُ بِذاكَ إذ حُبِسَـتْ وأُمِـرَ دونَ عُبَيْـدَةَ الـوَذَمُ[5]
أخشى عِقـابَكَ إنْ قَـدَرْتَ ولم أغْـدِرْ فَيُؤْثَرْ بيننـا الكَلِـمُ[6]

نلاحظ هنا أن الشاعر يجاهر بخشيته عقاب الملك ويهابه، وهو يسعى بكل الطرق لرد كيد الوشاة، والوصول إلى رضاه تجنباً لغضبه الذي ستكون عواقبه وخيمة على الشاعر.

لاحظنا فيما سبق وفادات بهدف إرضاء الممدوح، من خلال رد الوشايات الكاذبة التي حيكت ضد الوافد مثلاً، وكان هدفها الاعتذار والاستعطاف للممدوح بشكل شخصي، ولكننا الآن أمام لون آخر من الوفادات تقوم على المدح والاستعطاف، ولكن المقصود منها هدف سياسي، يتمثل بإطلاق سراح أسرى للقبيلة لدى الملك الممدوح، وبرضاء الملك لا يكون المستفيد الوحيد هو الشاعر فقط بل القبيلة كلُّها، فالشاعر هو لسان القوم والمدافع عنهم في الملمات، فهو ينطلق سفيراً لهم يمدح الملك ويطلب الرضا عن القبيلة، ويطالب بإطلاق سراح أسرى قومه، والأمثلةُ على ذلك كثيرة، منها وفادة عبيد بن الأبرص(ت25ق هـ/ 600م) [7] يستعطف حاكم بني أسد، والمثقب

---

(1) ينظر: أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص66- 67.

(2) طرفة بن العبد، شاعر جاهلي(ت60ق هـ/ 564م) .ينظر: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 63/1 ؛الأصفهاني ،الأغاني، 50/5.

(3) عمرو بن هند اللخمي، ملك الحيرة في الجاهلية، (ت45ق هـ/ 578م) .ينظر: الزركلي، الأعلام، 86/5 ؛ الأصفهاني، الأغاني، 63/9.

(4) الأنصاب: مفردها النصب وهو ما عُبِدَ من دون الله؛ يسفح: يُراق ويُهدر، ابن منظور، لسان العرب.

(5) أُمِّرَ: فُتِلَ فتلاً محكماً؛ الوذم: مفردها وذمة وهي السير بين أذن الدلو والخشبة؛ يَنْثِر: يُشاع؛ الكلم:الكلام الفاحش، ابن منظور، لسان العرب.

(6) طرفة بن العبد، الديوان، ص113.

(7) عبيد بن الأبرص (ت25 ق هـ/ 600م) شاعر جاهلي، من دهاة العرب وسادتها، أحد أصحاب المجمهرات، قتله النعمان ابن المنذر. ينظر: الأصفهاني، الأغاني ، 325/6.

العبدي(ت35ق هـ/ 588م) [1] يفد على النعمان بن المنذر معتذراً ومستعطفاً بهدف إطلاق سراح أسرى قومه لديه فهو يرسم له صورةً تليق به ملكاً، فهو الكريم الجواد، وهو المؤيَّد المنصور من الله، وما إلى ذلك من صفات تليق به ملكاً والتي هدف من ورائها الشاعر الوصول إلى قلب ممدوحه ونيل رضاه؛ وبالتالي تحقيق مبتغاه وإنجاح مساعيه القبلية، يقول[2]:

-الطويل-

فإنَّ أبـــا قابوس عندي بلاؤُه ... جزاءً بِنُعْمى لا يَحِلّ كُنُـــودُها
رأيتُ زِنـــادَ الصَّالحينَ نَمَيْنَهُ ... قَديماً، كما بذَّ النُّجومَ سُعودُها
إلى مَلِكٍ بذَّ الملوكَ فلمْ يَسَعْ ... أفاعيلَهُ حَزْمَ المُلوكِ وجودُها
وأيَّ أُناسٍ لا يُبيـــحُ بِقَتْلَـــةٍ ... يُوازي كُبَيْداتِ السَّماءِ عَمُودُها

وخير سفير لدى الغساسنة كان حاتم الطائي(ت 46ق هـ/ 578م) [3]، الذي وفد عليهم بهدف إطلاق سراح أسرى القوم الذين وقعوا في الأسر بعد غزو طيء على مُلك غسان وحماهم وقتلهم ابناً له فيقول:

-المتقارب-

فأجمِعْ، فـــداءً لكَ الوالـــداتُ ... لِما كُنْتَ فينـــا بِخَيْرٍ مُـــريدا
فَتَجْمَـــعَ نُعْمى على حـــــاتِمٍ ... وتُحضِرُهـــا من مَعَدٍ شهودا
أم الهُلْكُ أدْنى، فما إنْ عَلِمْتُ ... عليَّ جُناحاً، فأخشى الوعيدا[4]
فأحسِنْ، فلا عادَ فيما صنَعْتَ ... تُحْيي جُدوداً وتُبْري[5] جُـــدوداً[6]

وعلقمة الفحل(ت20ق هـ/ 603م) [7]أيضاً كان سفيراً لقومه وافداً لدى قبيصة بن الحارث بن أبي شمر الغساني مادحاً مستعطفاً؛ لإطلاق سراح أسرى قومه، ومن بينهم أخوه شأس، وقد حاول من خلال قصيدةٍ محكمة الصياغة أن يصور للملك الأمل العظيم به من دون الملوك، وأن هذه المسافات الطويلة التي قطعها مسافراً وتحمله الصعاب والأخطار العظيمة، وما كلفّته الرحلة من

---

(1) المثقب العبدي بن ثعلبة من عبد القيس (ت35ق هـ/ 588م) شاعر جاهلي، من أهل البحرين، وفد على عمرو بن هند الملك. ينظر: الزركلي، الأعلام ، 239/3.

(2) المثقب العبدي، الديوان، ص 46-47 ؛ المفضل الضبي، شرح المفضليات، ص151-152.

(3) حاتم الطائي،هو حاتم بن عبد الله من طيء (ت 46 ق هـ/ 578م) فارس وشاعر جاهلي، عرف بالكرم، من أهل نجد. ينظر : المبرد، الكامل في اللغة والأدب،62/2؛ الأصفهاني ، الأغاني، 331/6.

(4) الجُناح: الذَنْب، ابن منظور، لسان العرب، مادة: جنح.

(5) تبري: من أبراه، أهزله وأضعفه، ابن منظور،لسان العرب، مادة: برى .

(6) حاتم الطائي، الديوان، ص61.

(7) علقمة الفحل بن عبدة بن ناشرة بن قيس (ت 20ق هـ/ 603م) من بني تميم، عاصر امرؤ القيس. ينظر : الزركلي ، الأعلام، 247/4.

عناءٍ شخصي وجهد ذاتي، ما كان إلا لأن الهدف عظيم، وهو إطلاق سراح أسرى القوم، وقد عقد الشاعر العزم على تمثيل قومه في هذه المهمة الشاقة والصعبة،فقد وصف الملك بكل الصفات التي من شأنها التأثير فيه، وتحدث عن العزة والشرف الذي حصل عليهما جراء مثوله أمام الملك، وللثقة الغالية التي منحت له من قبيلته فيقول:

-الطويل-

فلا تَحْرِمَنّي نائلاً عن جِنــابَةٍ ... فإنِّي امرؤٌ وسَطَ القِبابِ غريبُ[1]

وأنتَ امرؤٌ أفضَتْ إليْكَ أمانتي ... وقَبْلَكَ رَبَّتْني فَضِعْــتُ رُبوبُ

وأنْتَ الــذي آثارُه في عَــدُوِّهِ ... مِنَ البُؤسِ والنُّعْمى لَهُنَّ نُدُوبُ[2]

وفي كُــلِّ حَيٍّ قد خَبَطْتَ بِنِعْمَــةٍ ... فَحُقَّ لِشَأسٍ من نداكَ ذَنــُوبُ[3]

وما مِثْلُهُ في الناسِ إلا أســيرُهُ ... مُدانٍ، ولا دانٍ لِذاكَ قــريبُ[4]

فأعجب الحارث بقوله، وأطلق له شأساً وأسرى تميم وكل من سأل فيه وعرفه[5].

نلاحظ مما سبق أن الوفادة كانت تمثل صورةً اجتماعيةً لمختلف نواحي الحياة، فهي اعتذار شخصي أحياناً للدفاع عن النفس، أو لتوضيح موقف معين، أو جماعية لنقل وجهة نظر القبيلة أو الجماعة في قضية ما لدى الملك وصاحب السلطان؛ للحيلولة دون غضبه عليهم، أو سياسية أحياناً أخرى تتمثل بالعمل على توطيد العلاقة مع الممدوح، واستعطافه لإطلاق سراح أسرى القبيلة.

وهناك لون آخر من وفادات الاستعطاف والاعتذار، والذي يهدف بالدرجة الأولى لدفع الخطر عن القبيلة، خوفاً من سلطان الملك وجبروته، فالفارس يدافع عن قبيلته بسنانه، والشاعر يدافع عنها بلسانه، فهو درعُ القبيلة وسفيرها، يعمل بكل جهد ممكن لمنع أي خطر قد يقع عليها، فعندما كانت الأخبار تتواتر بأن هذا الملك ينوي غزو هذه القبيلة أو تلك، نجد الشاعر يثب مدافعاً عنها، مادحاً ومستعطفاً مبيناً فضل الملك بالعفو، وقدرته على البطش بالأعداء، ولكنه يعفو ويغفر الزلات، فيفد عليه ويقف بين يديه واصفاً ما تكبده من عناء الرحلة في سبيل الوصول إليه، وواصفاً أيضاً حال قبيلته وحاجتها الماسة لعفوه، وحال القبيلة عندما بلغها خبر نية الملك بغزوها، وأنها تعلن ولاءها وطاعتها له، وخير ما نجده مثالاً على ما أسلفنا، ما كان من الممزق العبدي [6] حين وفِدَ على بلاط

---

(1) الجنابة: البعد والغربة،ابن منظور، لسان العرب، مادة: جنب .

(2) ندوب: آثار الجرح، ابن منظور، م.ن، مادة: ندب.

(3) الذنوب: بفتح الدال، الدلو، ابن منظور، م.س، مادة: ذنب .

(4) علقمة الفحل، الديوان، ص28؛ المفضل الضبي، المفضليات، ص 394.

(5) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 222/1؛ ابن رشيق القيرواني، العمدة، 46/1.

(6) الممزق العبدي،هو شائس بن نهار، شاعر جاهلي من بني عبد القيس. ينظر : الزركلي، الأعلام، 152/3.

عمرو بن هند معتذراً له ومستعطفاً إياه، بعد أن بلغه نيته بغزو عبد القيس، الأمر الذي دفع الملك في النهاية إلى العدول عما كان ينوي عليه، ومن ذلك قوله:

-الطويل-

أحقاً أَبَيْتَ اللَّعنَ أنَّ ابنَ فَرْتَنــا ... على غَيْرِ إجرامٍ بريقي مُشَرِّقي[1]

فإن كُنْتَ مأكولاً فَكُنْ خَيْرَ آكلٍ ... وإلا فأَدركنــي ولَمّــا أُمَــزَّقِ

أَكَلَّفْتني أَدواء قــومٍ تَرَكْتُــــهمْ ... وإلا تَداركَني من البحر أغْرَق[2]

وظني به أن لا يُكَدَّرَ نِعْمَــــةً ... ولا يَقْلِبَ الأعــداءَ منه بِمَعْبَقِ[3]

قصيدةٌ سياسيةٌ بكل المقاييس، إنها من شاعرٍ عبد القيس ولسانِ حالهم، قيلت لملك الملوك الذي ورث المجد كابراً عن كابرٍ، والذي يفوق الناس كلهم في كرمه وقوته وشجاعته[4].

كما كانت الوفادات تمثل صوراً اجتماعيةً لمختلف نواحي الحياة، فهي اعتذارٌ يأتي عند النابغة وغيره، واستعطاف عند البعض الآخر، وهو الاعتذار الممزوج بعاطفة الخوف والطمع في الحصول على مطالب المادح، بالإضافة إلى التذلل وإعلان الولاء لمنع خطر يهدد القوم، والحصول على مكاسبَ قومية تتمثل بتحقيق تحالفات وعلاقات بين القبائل، ونجد الشعر أحياناً مزيجاً بين الأهداف الشخصية والقومية، من خلال المديح بهدف إطلاق سراح الأسرى للقبيلة كما وجدنا عند علقمةَ الفَحْل الذي نجح في إطلاق سراح أخيه أولاً ومن ثم أفراد القبيلة المأسورين لدى الملك الحارث بن أبي شمر الغساني.

ثانياً: وفادات التكسب المادي.

وهي الوفادات التي يُراد منها الحصول على المنح والأعطيات عبر المديح والتقرب من الممدوح قال رسول الله ρ: {أنهاكم عن قيل وقال، وعن كثرة السؤال، وإضاعة المال، وعقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات}[5].

لقد كان الغساسنة والمناذرة يتسابقون إلى تقريب الشعراء؛ لاتخاذهم سبباً من أسباب الأبهةِ والعظمةِ وزينة الملك ووسيلةً للدعاية، وهذا سبّبَ وعياً عند الشاعر بمصلحته وقيمة الوسيلة التي

---

(1) ابن فرتنا: يراد به اللئيم،وقد يكون اسم شخص، مشرقي: وهو الماء والريق كالغصص بالطعام، ابن منظور، لسان العرب.

(2) أدواء: نزل به الداء، ابن منظور، لسان العرب.

(3) الأصمعي، شرح الأصمعيات، ص166 . معبق: من قولهم عبق بالمكان، إذا لزمه وعمل به، ابن منظور، لسان العرب، مادة:عبق.

(4) الأصمعي، م.س، ص 216.

(5) ابن حبان، الصحيح، حديث رقم1544.

يمتلكُها للحصول على المال، فأخذ يتردد – في مناسبات حددتها ظروف كل شاعر على حده – على الممدوح، وكان يحاول الجمع بين مصلحة القبيلة ومصلحته الشخصية، فكان الشاعر يخدم سيداً ترتبط به مصلحته أو مصلحة القوم.

أما الشعراء الذين نعنيهم فهم: عمرو بن قُمَيْئة(ت 85ق هـ/ 540م) [1] وأوس بن حِجْر(ت2هـ/ 620م) [2]، والمتلمس و الحارث بن حِلزة(ت 50ق هـ/ 570م) [3] والمثقب العبدي وعدي بن زيد(ت35ق هـ/ 590م) [4] والأعشى الكبير(ت7هـ/ 629) [5] والنابغة الذبياني، وقد تردد هؤلاء على ملوك المناذرة، وكان أبرزهم النابغة الذبياني.

أما الذين ترددوا على بلاط الغساسنة فهم: المرقش الأكبر [6]، وعلقمة الفحل، وحسان بن ثابت، والمتلمس والنابغة الذبياني[7].

يعد الأعشى ميمون بن قيس أكثر الشعراء حركةً وضرباً في الأرض بهدف الكسب ونيل الأعطيات، ويتضح من خلال أشعاره كثرة الأماكن التي تنقل فيها وتباعد المسافات بينها، فقد ذُكِرَ أنّه جاب أنحاء الجزيرة، ووصل إلى اليمن جنوباً ثم إلى الحيرة والشام وفلسطين شمالاً، واعتبر أن التُطواف بالشعر في سبيل المال هو شكل من أشكال الفخر والمجد الشخصي[8] حيث قال:

–المتقارب–

أتيتُ النجـــاشيَّ في أرضِـــهِ وأرضَ النبيطِ وأرضَ العجمْ
فنجـــرانَ فالسَرْوَ مـــن حِمْيَرٍ فـــأيٌّ مـــرامٍ لـــه لـــم أرُمْ
ومن بعـــد ذاكَ إلى حضرموتٍ فـــأوفيتُ همي وحينـــاً أهمْ[9]

(1) عمرو بن قميئة (ت85ق هـ/ 540) يقال إنه أول من قال الشعر من نزار.ينظر: الزركلي، الأعلام 83/5.

(2) أوس بن حجر، اختلف في نسبه، وقيل هو حجر بن مالك (ت 2هـ/ 620م) وهو شاعر جاهلي .ينظر: الزركلي،الأعلام 31/2).

(3) الحارث بن حلزة، بن يزيد بن ذبيان بن يشكر بن وائل، شاعر جاهلي. ينظر: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 306/1؛ الأصفهاني، الأغاني،44/11.

(4) عدي بن زيد بن الخمار العبادي (ت35ق هـ/ 590م) شاعر من أهل الحيرة، أول من كتب العربية في ديوان كسرى . يتظر: الزركلي،الأعلام، 220/4.

(5) الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل بن وائل (ت 7هـ/ 629م) .ينظر: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 7/2 ؛ الأصفهاني، الأغاني، 127/9.

(6) المرقش الأكبر، هو عمرو بن سنان وقيل قيس بن سنان ،شاعر بدوي . ينظر: الأصفهاني،الأغاني 121/7.

(7) ابن رشيق، العمدة، 69/1 ؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، 91/1.

(8) ينظر: مبارك المناعي، الشعر والمال، 388 – 389.

(9) الأعشى، ميمون بن قيس، الديوان، ص200.

من خلال هذا الشعر نلاحظ تعدد الأماكن التي تتردد عليها الشاعر، وطرق أبواب سادتها، بحثاً عن المال وطلباً له.

وقد حظي زهير بن أبي سلمى(ت13ق هـ/609) [1] بمكانة بارزة بين مادحي الجاهلية، لما نجد نجد في شعره من قيمٍ أخلاقية، وما اتسمت به حياته شاعراً رصيناً حكيماً؛ لا يمدح الرجل إلا بما فيه، ولم يُكْثِر التنقل والترحال بين الممدوحين [2]، وأكثر شعره في هرم بن سنان المري(ت 15ق هـ/ 608م) [3].

وقد قيل إن عمر بن الخطاب τ قال لبعض ولد هرمٍ:" أنشدني بعض ما قال فيكم زهير "ففعل. فقال عمر: "لقد كان يقول فيكم فيُحْسِنْ".فقال: "يا أمير المؤمنين؛ إنَّا كنا نعطيه فنجزل ". فقال عمر: "ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم"[4]، ومن قول زهير يمدح هرمِ بن سنان:

-مجزوء البسيط-

هــوَ الجــوادُ الــذي يُعْطيكَ نائِلَهُ عفــواً ويُظْلَــمُ أحيــاناً فَيَظَّلَــمُ
وإن أتــاهُ خليــلٌ يــومَ مسألــةٍ يقــول:لا غــائبٌ مالي ولا حَــرَمُ[5]

وقد تكسّب حسان بن ثابت في الجاهلية بشعره أيضاً، حيث كان يفد على ملوك آل جفنة في الشام، ومما قيل أنه كان يقيم سنة في يثرب، وسنة يقضيها لدى ملوك الشام مادحاً متكسباً مسترفداً، والمتتبع لشعر حسان يجد أن أجوده ذاك الذي قيل في آل جفنة، ومن شعر حسان فيهم قوله:

-الكامل-

لله دَرُّ عِصــــابةٍ نــــادَمْتُــــــهُمْ يَوْمــاً بِجِلِّــقَ في الــزَّمانِ الأَوَّلِ[6]
يَمْشونَ في الحُلَلِ المُضاعفِ نَسْجُها مَشيَ الجِمــالِ إلى الجِمــال البُزَّلِ[7]
الضّاربــونَ الكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُــــهُ ضرباً يَطيحُ لــه بنانُ المُفصِــلِ[8]
أولادُ جَفْنَــــةَ حــــولَ قبرِ أبيهــمِ قبرِ ابنِ ماريــةَ الكريمِ المُفْضِــلِ

---

(1) زهير بن أبي سلمى، من مضر بن نزار،(ت13ق هـ/ 609م) . ينظر: الأصفهاني، الأغاني، 336/10.

(2) مبروك المناعي، الشعر والمال، 389-390.

(3) هرم بن سنان المري،(ت15ق هـ/ 608م) من أجواد العرب، عقد راية الصلح بين عبس وذبيان،.ينظر: الزركلي، الأعلام، 82/8.

(4) الأصفهاني، الأغاني، 338/10 ؛ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 144/1.

(5) زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص91- 94.

(6) عصابة:الجماعة بين العشرة والأربعين؛ جلق: مكان في دمشق، ابن منظور، لسان العرب ، مادة :عصب.

(7) الحلل: جمع حلة وهي البرود اليمانية؛ البزل:الذين يشقون طريقهم، ابن منظور، م.ن، مادة: حلل.

(8) يطيح: من أطاح أفناه وأذهبه؛ بنان:إصبع؛ المفصل:ملتقى العظمين في الجسم، ابن منظور،م.س.

يُغْشَــوْنَ حتى ما تَهِـــرُّ كِلابُهُـــم لا يَسْألونَ عن السَّــوادِ المُقْبِــل[1]

ويُذكر أن حسان وصل في رحلاته المدحية إلى بلاط النعمان بن المنذر ومدحه، وكان قد قيل له إذا وجدت النابغة لدى النعمان اترك المجلس وغادر؛ لأنه لا وجود لك لدى الملك بوجوده، وقال حسان: أصبتُ من الملك مالاً كثيراً ونادمته إلى أن حضر النابغة فتركت المجلس وانصرفت[2].

وقد أورد صاحب العقد الفريد ما يُنْسَبْ لحسان بن ثابت عند الغساسنة، بأنه دخل يوماً على الحارث الجفني أحد ملوك الغساسنة، فقال:" أنعِم صباحاً أيها الملك، السماءُ غِطاؤك، والأرض وطاؤك، ووالدي ووالدتي فِداؤك، أنّى يناوئك المنذر؟ فوالله لقذاك أحسنُ من وجهه، ولأُمُّك أحسن من أبيه، ولظلُّك خيرٌ من شخصه، ولصمتُك خيرٌ من كلامه، ولشمالُك خير من يمينه[3]، ثم قال:

-المتقارب-

قفاكَ أحسَنُ مــن وجْهِــهِ وأُمُّكَ خيرٌ من المنذرِ
ويُسْرى يَديْكَ على عُسرِها كَيُمْنى يَدَيْهِ على المُعسرِ[4]

أما النابغة الذبياني، فقد شارك غيرَهُ من شعراء الجاهلية الذين نشطوا في الدفاع عن قبائلهم، وتأييد سياساتها، وكان رائد الشعراء في مدح الملوك والتكسب منهم حيث لقب بشاعر القصور لملازمته لها، حيث إنه لم يمدح إلا أصحابها[5].

ومن أسفٍ أن كتب الأدب تبخل علينا بالأخبار عن نشأة النابغة، ويعد ظهوره مرتبطاً باتصاله ببلاط المناذرة في الحيرة أيام حكم النعمان بن المنذر الملقب بأبي قابوس، حيث علا قدره بين شعراء بلاط الملك الذي كان يموج بهم، وتقدم عليهم، وقد حدث أن حيكت ضده المؤامرات لدى النعمان من منطلق الحسد والغيرة كما تناقلتها الروايات، والحقيقة في ذلك أن الأمر يرجع لأسباب سياسية، فقد حدث أن عمرَ بن الحارث ملك الغساسنة أغار على قبيلة ذُبيان وحلفائِها من بني أسد لأنهم تجرأوا على بعض المناطق الخصبة في ديار غطفان، فقام الملك بسبي الكثير من نساء ذبيان وأسد، ويقال إن إحدى بنات النابغة كانت من بين السبايا، فوجد النابغة نفسه مضطراً أن يتوسط لقومه لدى الملك الغساني لإطلاق سراح المأسورين، ونجحت سفارتُه وعفا الملك عن أسرى قومه،

---

(1) حسان بن ثابت، الديوان، 364- 365؛ يغشون:يقدمون عليهم يرجون فضلهم، ابن منظور، لسان العرب، مادة: غشى.
(2) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 159/1 ؛ الأصفهاني، الأغاني، 29/11.
(3) ابن قتيبة، م.س؛ الخبر في الأغاني 159/15 القائل هو النابغة وليس حسان ،وذكر ألمدائني أن السجع لحسان وهوا لأصح

(4) حسان بن ثابت، م. س، ص 238.
(5) ينظر: بطرس البستاني، أدباء العرب، ص 199.

ورد عليهم سباياهم، فتوالت مدائح النابغة عليه وتوالت عطايا الملك له، وبقي النابغة هناك إلى أن مات الملك، فعاد إلى الحيرة لكن النعمان بن المنذر كان غاضباً عليه، فلم يجد النابغةُ بداً من مدحهم والاعتذار لهم سعياً لكسب رضاهم عليه، وأبدع في اعتذارياته، وعمل على توضيح أن كل ما حيك ضده عبارة عن وشايات كاذبة لا أساس لها، إلى أن انتهت الجفوة بينهما وعاد النابغة إلى بلاط النعمان[1].

ومن جملة ما قيل في النابغة أن العرب كانت لا تتكسب بالشعر، إنما يصنع أحدهم ما يصنع مكافأةً أو فكاهة عن يدٍ لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر إعظاماً لها، إلى أن نشأ النابغة الذبياني، فمدح الملوك وقبل الصلة على الشعر، وخضع لملوك المناذرة، فسقطت منزلته، وتكسب مالاً كثيراً حتى كان أكله وشربه في صحاف الذهب والفضة وأوانيه من عطاء الملوك[2]. ومن شعره قوله:

-البسيط-

أُنُبِّئْتُ أنَّ أبا قابــوسَ أوعــدني ... ولا قَرَارَ على زأرٍ من الأســدِ
مهلاً فِــداءٌ لَكَ الأقــوامُ كُلُّــهمُ ... وما أُثَمِّرُ من مــالٍ ومن ولــدِ
إن كنتُ قُلْتُ الذي بُلِّغتَ مُعْتَمِداً ... إذاً فلا رفعت صوتي إليَّ يــدِ
هذا الثناءُ فــإن تسمع به حسناً ... فلم أُعرِّض أبيتَ اللعنَ بالصفد[3]

ثالثاً: وفادات بهدف التهنئة والتعزية.

وهي لون من الوفادات الاجتماعية يراد منها تقديم الواجب الاجتماعي تجاه الموفد عليه سواء كان في مجال التهنئة والتعزية، والعربي خطيبٌ في طبيعته، تأتيه الخطابة عفواً وتشيع أساليبها حتى في شعره والخطابة عند الجاهلي في مقام الشعر، فهي كالشعر تمثل لسان الدفاع عن القوم، والتحريض على القتال ونصرة الضعيف، ورسالة الملوك والأمراء، وكلمة الخبرة والعبرة إلى الناس نوراً وهدياً، وهي كلمة التخفيف عن القوم في مصابهم[4].

وكما أسلفنا كانت وفادات القبائل العربية على إخوانهم في الجزيرة العربية، أو خارجها تحمل في طياتها أهدافاً سياسيةً واقتصاديةً واجتماعية، ومن الوفادات الاجتماعية تلك التي تختص بالتهنئة،

---

(1) يوسف خليف، الروائع من الأدب العربي، ص380.

(2) الأصفهاني، الأغاني، 31/11؛ ابن رشيق، العمدة، 69/1.

(3) النابغة الذبياني، الديوان، ص 57.

(4) حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 115 .

وهي إما تهنئةُ بنصرٍ، أو بتنصيب ملك، أو نبوغ شاعر في قبيلة وما إلى ذلك، حيث كانت تُشكَّل الوفود، ويتم اختيارها من عِلية القوم للوفادة على الممدوح ومخاطبته بالمناسبة التي تكون.

ومما عُنِيَتْ به كتب الأدب كثيراً وفادة أشراف العرب على سيف بن ذي يزن ملك اليمن مهنئةً بانتصاره على الحبشة، ومن هذه الوفود وفد قريش بزعامة عبد المطلب جد الرسول الأعظم ρ، فأُذِنَ لهم بالكلام وألقى عبد المطلب خطبته التي قال فيها:" إنَّ الله أيها الملك أحلك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً، باذخا شامخا، وأنبتك منبتاً طابت أرومته[1]، وعزت جرثومته، ونَبُلَ أصلُه، وبَسق فرعه...، فأنت –أبيت اللعنِ– رأس العرب وربيعها الذي به تُخْصِب، وملكها الذي به تنقاد؛ نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته وسدنة بيته، أشخصنا اليك الذي أنهجك لكشف الكرب الذي فدحنا فنحن وفد التهنئة"[2].

أعجب الملك بكلام عبد الطلب إعجاباً شديداً وأثنى عليه وقربه، وأجزل لهم العطاء، وانفرد بعبد المطلب جد النبي ρ وأطلعه على أمرٍ قائلاً:

"إذا وُلِدَ مولود في تهامة، بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة ولكم به الزعامة، إلى يوم القيامة..." [3]

وأضاف ابن ذي يزن "احفظ ابنك واحذر عليه اليهود فإنهم له أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً، واطوِ ما ذكرت لك، دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإني لست آمن أن تدخلهم النفاسة، من أن تكون لكم الرياسة؛ فيبغون له الغوائل وينصبون له الحبائل..." [4] فما حال الحول حتى مات ابن ذي يزن، وكان عبد المطلب يقول:" يا معشر قريش؛ ولا يُغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك فإنه إلى نفاد، ولكن يغبطني بما يبقى لي ذكره وفخره لعقبي، فإذا قالوا له: وما ذاك؟ قال: سيظهر بعد حين"[5].

نلاحظ أن هذا اللون من الوفادات عبَّر عن العلاقات القوية التي كانت بين القبائل داخل الجزيرة العربية وبين المحيطين بهم، وهذه الوفادة تحديداً عبَّرت عن مشاعر الاعتزاز بسيف بن ذي يزن وبما أحرزه من نصر، والذي يُعد نصراً لكل العرب على العدوان الخارجي الذي كان يتهددهم[6].

---

(1) أرومته: أصله، ابن منظور، لسان العرب، مادة: أرم.

(2) ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد،180/1؛ القلقشندي، صبح الأعشى،11/1؛ أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص77،76؛ جواد علي، المفصل، 326/5.

(3) المسعودي، مروج الذهب،74/2–75 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 393/2؛ أحمد زكي صفوت، م.س، 281-282.

(4) ابن خلدون، م. س ، 394/1؛ أحمد زكي صفوت،م.س ، 282.

(5) ابن عبد ربه، م . س ، 283/1.

(6) القلقشندي، م . س، 11/1.

وهناك سلوكُ اجتماعي آخر كانت القبائل تسلكه فيما بينها، وكان على القبائل أن ترسل له وفوداً لتأدية واجب كما هو الحال في التهنئة، ألا وهو وفادات التعزية بعزيز أو بمصاب حلَّ بالقوم، وخير ما نجده مثالاً على هذا اللون من الوفادات، وفد العرب بزعامة أكثم بن صيفي(ت 9هـ/ 630) [1] على الملك عمرو بن هند لتعزيته بوفاة أخيه، حيث وقف أكثم وقال:" إنَّ أهل هذه الدار لا يحولون عقد الرحال إلا في غيرها، وقد أتاك ما ليس بمردودٍ عنك، وارتحل عنك ما ليس براجعٍ إليك، وأقام معك مَنْ سيظعن عنك ويضعك، واعلم أن الدنيا ثلاثة أيام؛ فأمس عِظةٌ وشاهدُ عدلٍ...، واليوم غنيمة وصديق أتاك ولم تأته...، وغدٌ لا تدري مَنْ أهله، وسيأتيكَ إن وجدك..." [2].

وقد ورد أيضاً أنه كان لذي فائش ولدٌ، وكان مسروراً به ويرشحه لموقعه بالزعامة والرياسة، فركب يوماً فرساً صعباً، فوقصته [3] فمات، فجزع عليه أبوه جزعاً شديداً واحتجب عن الناس مدة، فقدمت وفود العرب معزية، ووقفوا ببابه، فقام أحدهم وقال:" أيها الملك إنَّ الدنيا تجود لتسلب، وتعطي لتأخذ، وتجمع لتشتت، وتحلي لِتُمِرّ، وتزرع الأحزان في القلوب، لما تفجأ به من استرداد الموهوب..." [4]

رابعاً: وفادات إصلاح ذات البين.

وهو الأدب الذي قيل في سبيل إطفاء نار الحروب وهيجانها، والوفود التي تنقلت بين أحياء العرب المتخاصمة لذات الهدف، وما حققته هذه الوفود في هذا المجال.

وكما أشرنا في معرض حديثنا عن طبيعة الحياة البدوية في العصر الجاهلي، وما شابها من منافرات وخلافات ومعارك فرضتها طبيعة الحياة البدوية، والظروف القاسية على تلك القبائل، واختلاف التحالفات بين مجموعة من القبائل ضد مجموعة أخرى، فقد كان القتل والسلب والنهب سمة من سمات العصر، والحرب إذا ما اندلعت فلا مطفئٌ لأُوارها، والتاريخ العربي يحدث عن مثل هذه الحروب وهي كثيرة، مثل حرب داحس والغبراء، وحرب البسوس وغيرها.

---

(1) أكثم بن صيفي التميمي(ت9هـ/ 630م) حكيم العرب في الجاهلية، من المعمرين، أدرك الإسلام وسافر بمائة من قبيلته يريدون الإسلام، مات في الطريق واسلم من كان معه. ينظر : الأصفهاني، الأغاني، 356/16.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 35/2؛ النويري، نهاية الأرب، 9/18؛ هاشم مناع، الأدب الجاهلي،ص 378.

(3) وقصته: كسرت عنقه، ابن منظور، لسان العرب، مادة: وقص .

(4) ينظر: أبو علي القالي، الأمالي، 99/2 ؛ أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص17 – 18.

أمور مميزة كانت تستوجب وجود حكماء يعملون جهدهم لرأب الصدع وإصلاح ما يمكن إصلاحه بين القبائل المتحاربة، ظروف تستوجب وجود ثُلةٍ من العقلاء يحاولون حقن الدماء، وخلق حالة من المنعة والتصدي لما كان يحدث، وذلك من خلال تبنيهم نهج الإصلاح بين المتخاصمين بكل الطرق والسبل المتاحة لهم، وما الدور الذي قام به هرم بن سنان والحارث بن عوف [1]، إلا خير دليل على ما أسلفنا، حيث أخذا على عاتقهما إنهاء الحرب المشؤومة داحس والغبراء والتي استمرت طويلاً وأوقعت الكثير من القتلى، وقام سيدا ذُبيان بدفع الديات من أموالهما حقناً للدماء[2] وكان لهما في نهاية الأمر أن استطاعا إنهاء هذه الحرب، وفي ذلك تغنت الشعراء وتحدثت العرب، وممن مدحهما على موقفيهما، الشاعر زهير بن أبي سلمى في معلقته:

-الطويل-

فأقْسَمتُ بالبَيتِ الذي طافَ حَوْلَهُ رِجالٌ بَنَوْهُ من قُرَيْشٍ وجُرْهُمِ
يَمينـــاً لَنِعْـــمَ السّيّدانِ وُجِدْتُمـــا على كلّ حالٍ من سَحيلٍ ومُبْرَمِ
تداركتُما عَبْساً وَذبيـــانَ بَعْـــدَما تَفَانوا ودقّوا بَيْنَهُم عِطْرَ مَنْشَمِ[3]
وقد قُلتُما: إن نُدْرِكِ السّلمَ واسِعاً بِمالٍ وَمَعْروفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلَمِ[4]

فهو يدرك دورهما العظيم في الإصلاح بين المتحاربين، ويصف قبيلتي عبس وذبيان بأنهما أفنى كل منهما الآخر نتيجة لكثرة القتلى وطول المدة التي استغرقتها تلك الحرب المدمرة، وهو يتحدث عن مخاطر الحرب بشكل عام ومدى خطورة العودة عن الصلح والعودة للسيف والمعارك، وما سيلحقه ذلك بهم من ويلات، يقول:

وما الحربُ إلاّ ما علِمْتُمْ وذُقْتُم وما هوَ عَنها بالحَديثِ المُرَجَّمِ
متى تَبْعَثُوها تَبْعَثُوها ذَميمـــةً وَتَضْرَ إذا ضَرّيْتُمُوها فَتَضْرَمِ[5]

نلاحظ مما سبق أن إصلاح ذات البين والحيلولة دون وقوع مكروه بين الأحياء العربية، كانت أموراً فرضت ذاتها وأفرزت شخصيات مميزة تقوم بهذا الدور الطليعي، شخصيات خلدتها كتب

(1) الحارث بن عوف المري من فرسان الجاهلية وساداتها، أدرك الإسلام وأسلم، ساهم في إنهاء حرب داحس والغبراء، ينظر: الأصفهاني،الأغاني، 341/10.

(2) أبو علي القالي، الأمالي، 100/2.

(3) عطر منشم:عظيم الرائحة، ابن منظور، لسان العرب .

(4) زهير بن أبي سلمى، الديوان ص74.

(5) زهير بن أبي سلمى، م.ن، ص 82.

التاريخ والأدب، ومن الأمثلة عليها، المخاصمة بين سبيع بن الحارث(ت 8هـ/629م) [1] وميثم بن مثوب، وقيام مرثد الخير [2] بدور الوسيط والحكم للإصلاح بينهما تجنباً لاندلا ع الحرب بين حييهما، فقد وفدا عليه بعد نشوب خلاف بين حييهما، فأصلح ذات بينهما، إذ أنه كان حريصاً على عشيرته، محباً لمصالحهم، وكان سُبَيْع وميثم قد تنازعا الشرف، فأرسل في طلبهما، وتحدثنا مصادر الدراسة الأدبية أن مرثد الخير قال:" إن التخبط[3] وامتطاء الهجاج[4]؛ واستحقاب اللجاج سيوقفكما على شفا هوةٍ في توردها[5] بوار الأصيلة، وانقطاع الوسيلة، فتلافيا أمركما قبل انتكاث العهد وانحلال العقد؛ وتشتت الألفة، وتباين السهمة [6]. فرد مَيْثَم قائلاً:" أيها الملك؛ إنّ مَن نَفِسَ على ابن أبيه الزعامة، وجدبه[7] في المقامة، واستكثر له قليل الكرامة، كان قَرِفاً[8] بالملامة ومؤنباً على ترك ترك الاستقامة، وإنا والله ما نَعْتَدُّ لهم بيد إلا وقد نالهم منّا كفاؤها، ولا نذكر لهم حسنة إلا وقد تطلع منّا إليهم جزاؤها.." وعندها رد الملك قائلا:

-الطويل-

ألا هــل أتى الأقــوام بَذْلي نَصيحةً حَبَــوْتُ بهــا مني سُبيعاً ومَيثمــا
وقُلــتُ اعلما أنَّ التدابُرَ غــــادرَتْ عواقِبَــهُ للــذُلِّ والقُــلِّ جُرهمــا
ولا تجنيـــا حرباً تجــر عليكمــا عواقبها يومــاً من الشــر أشــأما

فردا على الملك بقولهما:" بل نقبل نصحك أيها الملك، ونطيع أمرك ونطفئ الثائرة ونحل الضغائن ونثوب إلى السلم حفاظاً على حيينا"[9].

ومن وفادات إصلاح ذات البين أيضاً ما ورد في مناسبة معلقة الحارث بن أبي حلزة، _وهي أن بكراً وتغلب اجتمعتا لدى الملك عمرو بن هند – وكان جباراً- لعقد الصلح بينهما، وتثبيتاً للاتفاق أخذ الملك من الحيين رهناً مئة غلام من كل حي، فكان أولئك الرهن يسيرون معه ويغزون معه،

---

(1) سبيع بن الحارث، وهو سبيع بن حاطب بن الحارث بن قيس (ت 8هـ/629م) زعيم من بني مالك، أدرك الإسلام ولم يسلم. ينظر: الزركلي، الأعلام، 77/3.

(2) مرثد بن كعب بن من بني الحارث بن كعب الخير . ينظر: الزركلي، الأعلام، 201/7.

(3) التخبط: ركوب الرجل رأسه خاصة في الشر، ابن منظور، لسان العرب، مادة: خبط.

(4) امتطاء الهجاج: أي ركب رأسه، ابن منظور، م . ن .

(5) توردها: الإشراف على الماء، ابن منظور، م.س، مادة: ورد.

(6) السهمة: القرابة، ابن منظور، م. س، مادة: سهم.

(7) جدبه: عابه، ابن منظور،م. س، مادة: جدب.

(8) قرفاً:خليقاً، ابن منظور، م. س ، مادة: قرف.

(9) أبو علي القالي، الأمالي 92/1-93؛ الالوسي، بلوغ الأرب، 161/3؛ أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص11-12 .

فأصابتهم"سموم"[1] في بعض مسيرهم، فهلك عامة التغلبيين، وسلم البكريون، فاتهمت تغلب بكراً، وطالبتها بديات أبنائها، فأبت بكر ذلك، وأرسل كل طرف منهم محكماً ليفد على الملك ويمثل لسان حال من بعثه، فأرسلت تغلب عمرو بن كلثوم، وأرسلت بكر النعمان بن هرم [2]، واجتمعا عند الملك وافدين عن أقوامهم، وتحاورا طويلاً إلى أن تجاوزا المشكلة وحالا دون وقوع شر جديد بين الحيين[3].

ويُذكر أيضاً أن قريشاً وخزاعة تنافرتا إلى هاشم بن عبد مناف، فخطب فيهم خطبة قال فيها:" أيها الناس؛ نحن آل إبراهيم وذرية إسماعيل، وبنو النضر بن كنانة...، أيها الناس، الحِلمُ شَرَف، والصبر ظَفَر، والمعروف كنز، والجود سؤدد، والجهل سفه، والأيام دُوَل، والدهرُ غِيَر، والمرء منسوب إلى فعله...، عليكم بمكارم الأخلاق، فإنها رِفْعة، وإياكم والأخلاق الدنية، فإنها تضع الشرف وتهدم المجد..." [4].

المبحث الثالث: دراسة فنية لأدب الوفادة في العصر الجاهلي.

نشأت الخطابة كفنٍ قديم مع نشوء الإنسان، وقد كان الإنسان بحاجةٍ ماسةٍ إليها واحتاجتها الأمم عبر عصور التاريخ، ومارستها على تفاوت في الكمال والارتقاء؛ لأنها ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية في سبيل الإقناع وأداة الدعوة إلى العقيدة، ووسيلة للدفاع عن الرأي وعماد النهضات والثورات، ولربما كانت الكلمة البليغة في موضعها أمضى من الحسام في يوم الخصام.

لقد كانت للعرب في جاهليتهم خطابةٌ كباقي الأمم، وفيهم خطباء، وإن ارتقاء مثل هذه الخطابة كان قد اعتمد على حرية الفكر والرأي كسبب أساسي للرقي، خطابة كان الخيال ملهمها، والحماس ملهبها، والبلاغة مادتها، والحجة عدتها، وأهل الفروسية والنفوس الأبية شعبها.

لقد كان العربي حراً طليقاً استلهم الخيال من أديم الصحراء، فهو صافي القريحة صفاء جوه وسمائه، متحمساً عصبي المزاج ذكياً في لغته حاضراً في بديهته[5].

---

(1) سموم: الريح الحارة، ابن منظور، لسان العرب، مادة: سمم.

(2) النعمان بن هرم ، بعد الرجوع إلى كتب التراجم لم أعثر له على ترجمة .

(3) الأصفهاني، الأغاني، 11/44-46.

(4) الألوسي، بلوغ الأرب، 1/322.

(5) ينظر : أبو علي القالي، الأمالي، 1/257؛ الأصفهاني،م.س، 8/72؛ محمد طاهر درويش،الخطابة في صدر الإسلام 2/48-51.

هكذا كان العرب، أعظم صناعتهم الكلام، ومنهم سادة مقدمون، ذوو عارضة، وفيهم بيان، ولهم أشراف وخطباء يقومون مقام المؤدبين، حيث انطبق على العرب كغيرهم من الأمم الأخرى نظام اجتماعي يفض النزاعات بين القبائل على شؤون الحياة ، والتجاذب على المنافع، إنه زمن الفصاحة وزمن الكلمة، إنه الزمن الذي اجتمعت فيه الأدباء والفصحاء في المواسم والأسواق، حيث قضاة الشعر وحكام الخطابة بين" مجنة، وذي المجاز، وعكاظ" حيث كان يلتقي الأشراف للتجارة، وفداء الأسرى والمفاخرة والتباهي بالفضائل والشعر والخطب، إنه زمن اللسان الذي كان حاداً كالسيف[1].

والأمر اللافت للنظر هنا، هو حاجة العرب للوفود، حيث لم يكن لهم بدٌ من هذه السفارات والوفود لتغدو وتروح بين زعماء القبائل وبين أمرائهم، وبينهم وبين الدول المحيطة، فتارةً نجدها تتجه إلى الفرس والروم، وثانية للمناذرة والغساسنة، وثالثة إلى زعماء العرب وأمرائهم، حيث شكلت هذه العوامل مجتمعة دافعاً لإيجاد منزلةٍ راقيةٍ للخطابة والشعر كفنين أدبيين خاصة في مجال الوفادة،حتى ليمكن القول إن الحاجة إلى الوفادة كانت السبب الأبرز في رقي الخطابة وازدهارها، كيف لا والخطيب الوافد كان يمثل لسان حال قومه وسفيرهم والناطق باسمهم لدى الموفد عليه[2].

من خلال هذا كله نستنتج أن هناك عدة عوامل ساعدت على رقي الأدب الجاهلي بشكل عام والخطابة بشكل خاص، فالخطابة عند الجاهليين كانت تمثل الوسيلة الإعلامية الأساسية للإثارة ونشر فكرة تروج لها القبيلة أو الحاكم، وتعتبر الخطابة اندفاعاً فيضياً دعت إليه البيئة، أو بعثته الطبيعة الغنية، وقد بقي لنا منها ما دوَّنه العرب في الجاهلية كما دونوا الشعر، فقد شاعت الخطابة في الجاهلية كثيراً لتوافر عدة عوامل أدت لهذا الشيوع منها:

- وجود الأسواق الأدبية التي تبارى فيها الخطباء والشعراء.
- حياة الصحراء وما تقتضيه من بطولات وما تدعو إليه من فروسية.
- انتشار العصبية القبلية وما تنطوي عليه من مفاخرات ومنافرات.
- كثرة الوفود والدواعي لها، كالوفادة من قبيلة إلى أخرى في سبيل المناظرة أو المفاخرة أو إصلاح ذات البين ، كالدور الذي قام به سيدا ذبيان ومرثد الخير.

(1) الجاحظ، البيان والتبيين، 126/1؛ المسعودي، مروج الذهب، 294/1.

(2) المسعودي، م . ن، 295/1.

- كثرة النزاعات والخلافات والحروب، الأمر الذي أدى إلى انطلاق مجموعة من ذوي الرأي للإصلاح بين المتحاربين؛ وانطلاق الشعراء يمدحونهم ويمجدونهم، تأييدا للدور القومي والطليعي الذي يقومون به حقناً للدماء[1].

أما فيما يتعلق بالشعر الجاهلي، فلم يكن بعيداً عن الخطابة من حيث دواعي وأسباب تطوره، فالشاعر هو لسان حال القبيلة والناطق باسمها في كل المحافل والمناسبات، وأهم ما ميز شعر الوفادات في تلك الفترة أنه كان عبارة عن مقطوعات قصيرة؛ لأن الشاعر من خلاله كان يعالج موقفاً محدداً، يتحدث عن هدف واحد، وقضية واحدة ومحددةً ولا داعي للإطالة فيها، كما تميز أيضاً بسيطرة النزعة القبلية، نتيجة للتعصب القبلي، كما وتعد اللهجة الخطابية أهم ما ميز الشعر الجاهلي، لأنه – وكما ذكرنا- الخطيب شاعر، والعكس صحيح[2].

أولاً:- من حيث الألفاظ والتراكيب .

لقد كان الخطيب الجاهلي شديد الاهتمام بالمظاهر التأثيرية كالحركات والنبرات الصوتية، والتقعير والتمطيط، والجهر والتفخيم في الصوت، وقد اعتمد السجع في النثر كما كان يعتمد التقطيع الموسيقي في الشعر، ونجد في أدب الوفادات إيجازاً في رص العبارة، وإيجازاً في مطلق الكلام، حتى لتحسب اللفظة ألفاظاً، والعبارة عبارات، وتغنيك الوصية القصيرة عن المطولات والمفصلات؛ إنك لتحسب الكلام سلسلة من التكرارات والعبارات المترادفة[3].

لقد كانت الخطب حافلة بالدقة والإيجاز عند القرشيين، في الوقت الذي كانت فيه الأعراب تسترسل في خطبها استرسالاً تلعب فيه المادة اللفظية دوراً أساسياً فها هو عبد المطلب يهنئ ابن ذي يزن قائلاً:

" إنَّ الله أيها الملك أحلك محلاً رفيعاً، صعباً منيعاً، باذخاً شامخاً، وأنبتك منبتاً طابت أرومته، وعزت جرثومته، وثبت أصله وبسق فرعه...، فأنت-أبيت اللعن- رأس العرب وربيعها الذي به تخصب، وملكها الذي به تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد،...، ولن يهلك من أنت خلفه، ولن يخمل من أنت سلفه...، أشخصنا إليك الذي أبهجك بكشف الكرب الذي فدحنا، فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة "[4].

---

(1) حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي،ص 118.

(2) حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص152.

(3) الجاحظ، البيان والتبيين،29/1.

(4) ابن عبد ربه، العقد الفريد 107/1؛ الأصفهاني، الأغاني، 312/17.

خطبةٌ قصيرةٌ ومعبرةٌ وغاية في الجمال والكمال، فقد مدح بدون إطالة، ووصف الملك بدون تملق، مدحه بما عُرف فيه، وعرض في النهاية ماهية الوفد ولِمَنْ يُنْسبون، وهم ليسوا بأقل منه حسباً؛ فهم أصحاب حرم الله وسدنة الكعبة الشريفة، ويوضح سبب الحضور المباشر وهو التهنئة وليس التكسب والتملق لدى الملوك.

ونلاحظ أيضاً في الخطابة بشكل عام، وخطابة الوفود بشكل خاص، السجع مع تقصير متعمد في الجمل، وكأنها فقرات أو جمل منفصلة، وربما كان للارتجال أثره في هذا، على أن تقصير الجمل أمرٌ تستدعيه طبيعة الخطابة حتى يتمكن الخطيب من الاستراحة ولا يرهق بسرعة، كما أن الخطيب كان يكثر من المترادفات وينوع في العبارات للمعنى الواحد، ففي ذلك تغيير يبعث على نشاط السامع ولذته بما يُلقى عليه، وتقرير للمعنى المراد وتأكيدٌ له في نفسه[1].

وفي دراسة العبارة في الجاهلية نلاحظ ما يلي:

- استعمال الألفاظ في معانيها الوضعية، واستعمال الألفاظ في معانٍ أخرى على سبيل المجاز.
- إرسال الأساليب البلاغية على قدر ما تقتضيه البلاغة بدون تكلف.
- الأفكار لا تزال متجددةً وغير منتهية خاضعة لقوى الاختراع والإبداع وأنواع الإنشاء والتأليف على حسب ما يقتضيه المقام، فقد تصل صورة الكلام إلى الغاية القصوى في البلاغة، وقد تنحط صورة العبارة إلى الدرك الأسفل من الإبانة، بحيث لو انحطت عن ذلك لكانت عند الأدباء أشبه بالصوت الأعجمي[2].

وكان الخطيب يركز على المعاني مراعاةً لأقدار السامعين، ويوازن بينها في حالاتهم المختلفة فَيُجعلُ لكل طبقة كلاماً، ولكل حالةٍ مقاماً، حتى يُقَسِّم أقدار الكلام على أقدار المعاني، والمعاني تقسم على أقدار المقامات، وأقدار السامعين على أقدار تلك الحالات[3]. ومما ميز لغة الخطابة أيضاً أنها كانت تميل إلى القصر والإيجاز في مخاطبة الملوك والخاصة على حد سواء[4].

ولا نجد أدلُّ من قول الجاحظ في البيان والتبيين عن العلاقة بين المتكلم والسامع وما ينعكس على حسن الكلام قوله: "أنذركم حسن الألفاظ، وحلاوة مخارج الكلام، فإن المعنى إذا اكتسى لفظاً

---

(1) الجاحظ، البيان والتبيين، 5/3؛ أبو علي القالي، الأمالي، 73/1؛ القلقشندي، صبح الأعشى، 377/1.

(2) ينظر: محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، 70/1–88.

(3) الجاحظ، م. س،138/1.

(4) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث،ص 207.

حسناً وأعاره البليغ مخرجاً سهلاً، ومنحه المتكلم دلاً مُتَعشقاً، صار في قلبك أحلى، ولصدرك أملى، والمعاني إذا كُسِيَتْ الألفاظ الكريمة، وأُلْبِسَتْ الأوصاف الرفيعة، تحولت في العيون عن مقادير صورها وأَرْبَتْ على حقائق أقدارها، بقدر ما زُيِّنَتْ، وحسب ما زُخْرِفَتْ، فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض، وصارت المعاني في معنى الجوارى والقلب ضعيف، وسلطان الهوى قوي، ومدخل خدع الشيطان خفي"[1].

ومن الأمثلة على ما سبق خطبة أكثم بن صيفي أمام كسرى التي قال فيها:"إن أفضل الأشياء أعاليها، وأعلى الرجال ملوكها، وأفضل الملوك أعمّها نفعا، وخير الأزمنة أخصبها، وأفضل الخطباء أصدقها، الصدق منجاة، والكذب مهواة، والشر لجاجة، والحزم مركب صعب...، شرُ البلاد بلادٌ لا أمير بها، شر الملوك من خافه البريء، أفضل الأولاد البررة، وخير الأعوان من لم يراءِ بالنصيحة، أحق الجنود بالنصر من حَسُنَتْ سريرته، يكفيك من الزاد ما بلغك المحل...، فتعجب كسرى وقال:"لو لم يكن للعرب غيرك لكفى"[2].

فأيُّ فصاحة، وأي بلاغة تضاهي ما تضمنته خطبة أكثم بن صيفي؛ إنه خطيب متمكن مما يقول، مسيطر على الكلمات سيطرة تامة، يطوعها بقالب يختاره هو ليناسب المقام، فهو يرسم بكلماته لوحة فنية نرى فيها الحياة، فمن خلال نصائحه وحكمه العديدة نلمس التجربة والمعرفة، فاللغة بسيطة، والألفاظ معبرة بعيدة عن كل ما هو حوشي أو غريب، كلمات المجرب في كل نواحي الحياة، يقول بثقة ويصف بعمق، ويصدر أحكاماً دقيقة على الأمور.

أما فيما يتعلق بالوفادات الشعرية، وما تميز به هذا اللون الأدبي كشعر وفادة، فقد كان يقصد الشاعر من شعره هذا الإبانة عما يخالجُ نفسه من المعاني بما يناسب الغرض، حيث كان ينتزعه الخيال من أشكال المرئيات البديعة، فقد كانت المعاني جليةً واضحةً مطابقةً للحقيقة كما هو الحال في اعتذاريات النابغة الذبياني، فهو بحاجةٍ لدرء التهمة عن نفسه، ورد كيد الوشاة إلى نحورهم؛ إنه يترفق بلطف ولين للاحتجاج على براءته من التهم واستمالة المُعْتَذَرْ منه ومثال ذلك قوله:

-الطويل-

أتاني-أبيتَ اللَّعنَ- أنكَّ لُمْتَني وتلك التي أهْتَمُّ منهـــا وأنْصَبُ
فَبِتُّ كأنَّ العائداتِ فَرَشْنَ لـــي هراساً به يعلى فراشي وَيَقْشُبُ[3]
لَئِنْ كُنْتَ قد بُلِّغْتَ عني جِنـــايـــةً لَمُبْلِغُكَ الواشي أَغَشُّ وأَكْـــذَب

(1) الجاحظ، م. س ، 254/1.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد،270/1-280.

(3) هراساً: هرس الشيء، دقه. يقشب:كل شيء خلط به شيء يفسده، ابن منظور، لسان العرب، مادة: هرس وقشب .

فإنْ أَكُ مَظْلوماً فَعبدٌ ظَلَمْتَـــــهُ وإن تَكُ ذا عُتْبى فَمِثْلُكَ يُعْتِبُ[1]

شعر يمتاز برشاقة اللفظ ووضوح المعنى، وحسن النظم، وقلة التكلف، والجرس الموسيقي العذب الذي يطرب السامع، وفيه صورةٌ فنيةٌ رائعة سهلة التناول، إذ إن القارئ أو السامع بإمكانه رسم هذه الصورة للشاعر، فهو يتضور ولا يقوى على النوم من شدة القلق، وهو يسعى بكل السبل لاستمالة الملك وكسب رضاه وتجني مبررات غضبه .

ومما قاله زهير بن أبي سلمى مادحاً هرم بن سنان والحارث بن عوف بن سعيد بن ذبيان المريين وافداً عليهما قوله:

-الطويل-

سعى ساعيـــاً غيظِ ابن مـــــرَّة بعدما تبزَّل مـــا بين العشيرةِ بالدمِ[2]
فأقسمتُ بالبيت الذي طافَ حَوْلَهُ رِجالٌ بَنَوْه مـــن قـــريشٍ وجُـــرْهُمِ
يمينـــا لنعم السيدان وجـــدتُمـــا على كلِ حـــالٍ من سحيلٍ ومـــبرمِ
تداركْتُما عبساً وذُبيـــان بعدمـــا تَفانَوا وَدَقّوا بَيْنَهُـــم عِطْـــرَ مَنْشَمِ[3]

كما لاحظا،فشعر زهير يمتاز بالإيجاز، وحذف فضول الكلام وحشوه، بحيث يودع اللفظ اليسير المعنى الكثير ، وهو يجيد المدح ويتجنب الكذب، ويتجنب التعقيد، بعيداً عن وحشي الكلام وغريبه، لذلك كان شعره عفيفاً يقل فيه الهجاء، وكان صاحب روية وتهذيب لما يقول، حتى قيل إنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر، ويهذبها في أربعة أشهر، ويعرضها على خواصه في أربعة أشهر، حيث لا تظهر للعالم الخارجي إلا بعد عام، ولهذا سميت قصائده بالحوليات[4].

بشكل عام نستنتج أن شعر الوفادات قلّت فيه المعاني الغريبة، وكانت هناك حاجة لترتيب الأفكار والمعاني في نسق يقتضيه الذوق الأدبي وطبيعة الممدوح، فيدخلون معنى في معنى آخر، وتميز أيضاً بجودة اللفظ واستعماله في المعاني الموضوعة له للإحاطة بالمعرفة واللغة والدلالة، وانتقاء الألفاظ الأكثر تأثيراً لتأدية الغرض المنشود[5].

(1) النابغة الذبياني، الديوان، ص25-26.
(2) تبزّل: انشق، ابن منظور، لسان العرب، مادة: بزل،
(3) زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص80-81.
(4) طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص284.
(5) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي 178/1 .

ونستنتج أيضا أن التراكيب في أدب الوفادات كانت محكمةً كاملة في الصياغة، خالية من الحشو بعيدة عن الإطناب، وذات معان دقيقة عميقة المدلول، على الرغم من وجود بعض الغريب أحياناً، إلا أنه كان سهل التناول. وبما أن أدب الوفادة كان بمعظمه نثراً معتمداً على الحكمة والمُثُل العليا اللذان عرفا بالإيجاز وقوة المعنى وندرته، فقد اجتمع فيهما إيجاز اللفظ وإصابة المعنى[1].

ويلاحظ على معاني الشاعر الجاهلي أيضاً، أنها معانٍ واضحة وبسيطة ليس فيها تكلف ولا بعد ولا إغراق في الخيال، سواءً حين يتحدث عن أحاسيسه أو يصور ما حوله في الطبيعة، فهو لا يعرف الغلو ولا المغالاة، ولا المبالغة التي قد تخرج به عن الحدود المعتدلة[2].

ثانياً :- الخصائص من حيث الخيال والصورة الفنية.

إن الخيال عنصرٌ من عناصر الأدب، فكل أدب يثير العواطف، ولكن مما لا شك فيه أن للخيال دوراً كبيراً في إثارة تلك العواطف، وبعض أنواع الأدب أحوج إلى الخيال من بعضها الأخر، فالشاعر والروائي يحتاجان إلى الخيال أكثر مما يحتاجه قائل الحكم [3]، والخيال هو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم، من إحساسات سابقة لا حصر لها، تختزنها عقولهم وتظل كامنة في مخيلتهم، حتى يحين الوقت، فيؤلفون منها الصورة التي يريدونها[4].

فالعرب بفطرتهم مطبوعون على الشعر لبداوتهم وملائمة بيئتهم لتربية الخيال وإثرائه، فالبدوي لحريته واستقلاله، يغلب على أحكامه الوجدان ويسلك إليه طريق الشعور، فمعيشة البدوي في الصحارى فوق أرضٍ واسعةٍ وسماءٍ صافيةٍ فعلت لخياله في ذلك مادة لا يغور ماؤها ولا ينضب معينها، وكان له من لغته وفصاحة لسانه أقوى ساعد.

فقد نظم العرب الشعر في كل ما أدركته حواسهم وخطر لهم من فنونه وأغراضه الكثيرة، وقد قصد الشاعر بشعره الإبانة عما يخالج نفسه في أي غرض من الأغراض، وكان التشبيه عند الجاهلي من مقومات الكلام الأساسية، وقد لوحظ ذلك في أدب الوفادات إذ إنها تعتمد اعتماداً على التشبيه، لأن لسان النزعة المادية الحسية هي صفة البداوة، وهذا التشبيه يتحول أحياناً كثيرة إلى استعارة، فنراه مفرداً ومركباً واستطرادياً وقصصياً[5]، ومن أمثلة ذلك قول زهير:

-الطويل-

---

(1) ينظر: هاشم مناع، الأدب الجاهلي، ص394-395.

(2) شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص219.

(3) أحمد أمين، النقد الأدبي، ص54.

(4) شوقي ضيف، في النقد الأدبي، ص167.

(5) حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص157-158؛ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه، ص27.

وما الحَرْبُ إلا ما عَلِمْتُمْ وذُقتُمُ وما هوَ عنها بالحديثِ المُرَجَّمِ
فَتَعْرُككُمْ عَــرْكَ الرحى بِثفــالِها وتَلْقَحْ كِشــافاً ثُمَّ تُنْتَجُ فَتُتْئِمِ[1]

فالشاعر الجاهلي يعمدُ إلى المادية المحسوسة ويجعلها أداة للتعبير عن خوالج النفس وعواطف الفؤاد، وهو شديد الميل إلى تمثيل الحركة المنسجمة مع طبيعته التي صهرتها الصحراء وأيقظت حسها المخاوف، كما كان الشاعر الجاهلي واقعياً في موضوعات شعره واقعياً في صدق نقله عن الحياة، واقعياً في استكمال الصورة العامة والتفاصيل والجزئيات وصراحة التصوير وصدقه[2].

وعليه نجد أن الخيال يكون محدوداً بحدود الواقع، لأن الشاعر يعتمد على الصور التي تقوم على التشبيه المستمد من الواقع الحسي، فالشاعر الجاهلي لم يغرق في الخيال كثيراً حين يتحدث عن أحاسيسه أو حين يصور ما حوله في الطبيعة، فهو لا يعرف المغالاة ولا المبالغة التي قد تخرج على الحدود المعقولة[3].

ثالثاً :- الأسلوب.

في محاولتنا استخلاص نظراتٍ مناسبةٍ تُبين أساليب الخطابة الجاهلية، اعترضتنا بعض الصعوبات في إصدار أحكام فنية منفصلة تتعلق بالخطابة الجاهلية، وذلك نتيجة للتداخل الحاصل بين الخيال والأسلوب، وتشابك الألفاظ والتراكيب والمعاني فبرزت هذه الصعوبة، وعلى الرغم من ذلك فقد كان للخطابة الجاهلية أسلوبٌ خاص وسننٌ واضحة ضمن الجانب الفني المتعلق بالخطبة نفسها، والجانب المادي المتعلق بالخطيب.

وقد لوحظ أن الخطيب في الجاهلية يهجم على غرضه مباشرةً دون تمهيد ولا مقدمة –إلا ما ندر– وحين ينتهي لا يتكلف وضع خاتمة لكلامه، إذ ليس في الخطابة أقسامٌ واضحةٌ، بينما كان الشاعر على عكس ذلك تماماً، حيث كان يلجأ للمقدمة وعرض الموضوع ومن ثم الخاتمة[4] فكان الخطباء يستخدمون عبارات معينة في خطبهم ولكنهم لا يلتزمونها في كل حين.

---

(1) زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص81. ثفالها: جلد يوضع ليطحن عليه الدقيق؛ كشافاً: الناقة التي يحمل عليها أكثر من سنة بعد إنجابها، ابن منظور، لسان العرب.

(2) حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي،ص160.

(3) شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص219.

(4)محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص184.

وقد لوحظ أيضاً أن الخطيب الجاهلي كان كثيرَ الاستشهاد بالشعر، واشتراك الخطابة مع الشعر في الوفادات كان مألوفاً، وخير مثال على ذلك ما جاء في وفادات أشراف العرب على كسرى وكان فيهم، الأشعث الكندي(ت40هـ/661م) [1] الذي قال:" قد علمت العرب أنّا نقاتل عديدها الأكثر، وزحفها الأكبر، وإنَّا لَغُيّاث الكُرُبات، ومَعينُ المَكْرَمات " قالوا:ولِمَ يا أخا كِندة؟ قال" لأنَّا ورثنا مُلك كندة، فاستظللنا بأفيائه، وتقلّدنا مَنْكِبَه الأعظَم، وتوسّطنا بَحْبوحَهُ الأكرَم " ثم قال:

-الطويل-

إذا قِسْتُ أبياتَ الرجـــالِ ببَيْتِنا ... وجدتُ لنا فخراً على مَنْ يُفَاخِرُ

فَمَنْ قال كلا، أو أتانـــا بِخطبةٍ ... يُنافِـــرُنـــا فيهـــا فنحنُ نُخاطِرُ

تعالوا قِفوا كي يَعْلَمَ الناسُ أيُنا ... له الفضلُ فيما أورثته الأكابِرُ[2]

وقد كان من عادة العرب في خطبهم الإطالة نسبياً خاصة في خطب الإصلاح، وبالعودة إلى البيان والتبيين، نجد الجاحظ يذكر كلاماً منسوباً لابن المقفع قوله:" فأما الخطب بين السماطَينِ [3]، وفي إصلاح ذات البين فالإكثار في غير خطل[4] والإطالة في غير إملال..." [5].

من خلال كل ما سبق نجد أن الخطابةَ قد تميزت بخصائص أسلوبيةٍ تجمع بين قِصَرِ الفقرات والجمل، وهذا أمرٌ متصل بطبيعة الخطابة والخطيب الذي يسعى للتأثير في السامعين، ومراعاة الموسيقى اللفظية لتلائم هذا القِصَر، وقد تطول الفقرات في الخطب التي توجه إلى العقل وتعتمد بالدرجة الأولى على الجدل، وهذا الضرب من الخطابة لم يعرفه العصر الجاهلي، وكثيراً ما تتخذ الفقرات القصيرة في الخطابة الجاهلية طابع المَثَلِ أو الحِكْمةِ فَيُقَدَّر لها الشيوعُ ويتناقَلُها الناسُ، ومن الأمثلة على ذلك؛ ما قاله حاجبَ بن زرارة التميمي(ت13هـ/625م) [6] أمام كسرى:

---

(1) الأشعث الكندي،وهو الأشعث بن قيس بن معد كرب الكندي(ت40هـ/661م) أمير كندة في الجاهلية، وفد على النبي، شهد اليرموك. ينظر :الزركلي، الأعلام ،332/1 ؛المبرد ،الكامل في اللغة والادب374/1 ؛ الأصفهاني ، الأغاني، 98/16 .

(2) الجاحظ، البيان والتبيين، 116/1؛ أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص12.

(3) السماطين: أي الصفين، أو المجموعتين، ابن منظور، لسان العرب، مادة: سمط.

(4) خطل: الأحمق، العَجِل، ابن منظور، م. ن ، مادة: خطل.

(5) الجاحظ،، م. س،116/1؛ أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص192.

(6) حاجب بن زرارة الدارمي التميمي(ت13هـ/625م) من سادات العرب في الجاهلية، بعثه النبي ρ بعد إسلامه على صدقات تميم . ينظر: الزركلي ، الأعلام، 153/2.

"ورى زِنْدُكَ، وعلَتْ يَدُكَ، وهيبَ سُلطانَك، إن العرب أمةٌ قد غلظت أكبادُها[1]، واستحصدت مِرّتُها، ومُنِعَتْ دَرَّتُها، وهي لك وامقة[2] ما تألفْتَها، مُسْتَرْسِلَةٌ[3] ما لاينْتَها، سامعةٌ ما سامحْتَها، وهي العلقمُ مرارةً، والصابُ غَضاضَةً[4]، وَالعَسَلُ حلاوةً، والماءَ الزلالَ سلاسَةً، نحن وفودُها إليك، وألسِنَتُها لديك؛ ذِمَّتُنا محفوظةٌ، واحسابُنا ممنوعةٌ، وعشائرنا فينا سامعَةٌ مطيعةٌ، إنْ نؤوبُ لك حامدين خيرا، فلك بذلك عمومُ مَحْمَدتِنا، وإنْ نَذُمُّ لم نَخُصَّ بِالذَّمِ دونَها"[5].

وعندما تحدث أكثم بن صيفي أمام كسرى أيضا وأحسن، وقال له كسرى لو لم يكن للعرب غيرك لكفى، قال أكثم "رُبَّ قولٍ أنفذُ من صول..فأُرسِلَ مثلا"[6].

إن أسلوب الخطابة الجاهلية يدل على أن الخطباء لم يكونوا يرسلون القول إرسالاً عفويا، علما بأنَّ الجاحظ قد نسب للعرب البديهةَ والارتجالَ، وكأنهم ملوكُ السّحْرِ، ولكن مهما يكن حظ العرب من الموهبة البيانية فإنَّ هذا لا يعني أنهم كانوا يرتجلون القول ارتجالا في كل مقام، بل كانوا يتوخون أن تتوافر في خطبهم موسيقى تَطْرَبُ لها الأذن، وصورٌ تستثيرُ الخيالَ، ومما عرف عن العرب في خطابتهم انتحال الشفاه وَسَعة الأشداق، وهذا يدل على أن هناك تصنعا ليس فقط في الخطبة وإنما يتعداه إلى طريقة الإلقاء[7].

ومن الجدير ذكره أن البعض ممن تناولوا العصر الجاهلي بالبحثِ والدراسة، ذكروا أنه يمثل طفولةً فكريةً وفنية، وكل ما فيه يتسم بالبساطة والوضوح والسطحية، ولكن إن كان هذا صحيحا فهو ينطبق على الناحية الفكرية، إلا أنه لا ينطبق على مضمون الخطبة وألفاظها وتراكيبها، ولاحظنا فيما سبق التطورَ والدقةَ ومتانةَ اللغة والأسلوب، وغيره مما ميز الخطب الجاهلية[8].

ومن المعروف أن العرب احتفلوا بخطابتهم احتفالاً شديداً صقلاً وألفاظاً، وركزوا على مخارج الكلم، حتى إنَّ فريقاً منهم كانوا يتخللون كلامهم بألسنتهم تخلل البقرةِ الكلأَ بلسانِها[9].

---

(1) غلظت أكبادها: قست وخشنت ، ابن منظور، لسان العرب.

(2) وامقة: محبة، ابن منظور، م .ن، مادة: ومق.

(3) مسترسلة:موادعة، هادئة، ابن منظور، م. س ، مادة: رسل.

(4) الصاب غضاضة:الماء المنساب بهدوء ولين وطراوة، ابن منظور، م. س.

(5) ابن عبد ربه، العقد الفريد،271/1 .

(6) ابن عبد ريه ،م.ن،1/ 270؛ احمد زكي صفوت،جمهرة خطب العرب، ص56.

(7) أبو علي القالي،الأمالي،92/1؛ أبو هلال العسكري، الصناعتين، 143.

(8) ينظر: ابن عبد ربه، م. س، 307/2؛ الجاحظ ،البيان والتبيين، 1/ 110؛ محمد طاهر درويش،الخطابة في صدر الإسلام ، 75/2؛ إحسان النص، الخطابة العربية في عصرها الذهبي، 14–20.

(9) الجاحظ، م.س، 1/ 15؛ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه، 33–34.

ومن الخصائص الأخرى للخطابة الجاهلية أيضاً، استخدام السجعِ دونَ تكلفٍ أو تعمد وبأسلو بٍ ممتع، ومن الأمثلة على ذلك قول علقمة بن عُلاثة العامري في وفادة أشراف العرب على كسرى:" أُنْهُجِتْ لك سُبُلُ الرشاد، وخَضعَتْ لك رِقابُ العِباد، إنَّ للأَقاويل مناهج، وللآراءِ موالج [1]، وللعويص[2] مخارج، وخير القول أصدقُه، وأفضلُ الطلب أنْجَحُه..." [3].

ومن الملاحظ أيضاً، لجوء الخطيب للتلميح بدل التصريح، كقول ابن زرارة عن العرب أمام كسرى "إنَّ العربَ أمةٌ غَلُظَتْ أكبادُها..، وهي لك وامقةٌ ما تألفْتَها، مسترسلةٌ ما لاينتها، سامعةٌ ما سامَحتَها، وهي العلقَمُ مرارةً، والعسلُ حلاوةً، والماءُ الزلالَ سلاسةً...، [4] فهو يتحدث بالتلميحِ بدل التصريح، يتحدث عن قوة العرب، فهم ذوو أكباد غليظة؛ وفي ذلك كناية عن القوة والخشونة، وهم قادرون على الردِّ على كل من يعتدي عليهم، وهم صعاب، والمعتدي عليهم سيتذوق مرارة هذا الاعتداء كتذوقه العلقم، ولكنهم في المقابل مع الملك ما دام يسايرهم ولا يقسو عليهم، يدينون له بالسمع والطاعة ما دام يسامحهم ويصفح عن زلاتهم، فالخطيب هنا يلمح بشيء من التهديد.

ونجد أيضاً في أسلوب الخطابة توظيفاً للشعر؛ وذلك يثبت أن الظاهرة الفنية كانت تحمل موهبةً فذةً عند الخطباء، ومن أمثلة ذلك قول قس بن ساعدة الإيادي في سوق عكاظ:" أيها الناس، اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آت...، يقسمُ قسٌ بالله قسماً لا إثم فيه، إنّ لله ديناً هو أرضى لكم وأفضلُ من دينكم الذي أنتم عليه " ويقول:

-الكامل-

لمـــا رأيـــتُ مـــواردا ... للناس ليس لهـــا مصادرْ
ورأيـــتُ قـــومي حولها ... تمضي الأكابرُ والأصاغرْ
أيقـــنتُ أنـــي لا محـــا ... لَةَ حيثُ صارَ القومُ صائرُ[5]

أما فيما يتعلق بالخصائصِ الأسلوبيةِ لشعر الوفادات، وبما أنَّ العربَ كانت أمةً بدويةً تنظم الشعرَ بطبعِها من غيرِ معاناةٍ ولا دراسة ولا علم، فقد غلبَ على قولِهم الصراحةَ والبعدَ عن التكلّف والوفاءُ بحق المعنى، حيث نجدُ الشاعرَ يعمَدُ إلى الإبانة عما يخالج نفسهُ في كل أغراضه، وينتزعُ الخيالَ من الطبيعةِ لإجلاءِ المعاني وإظهارها مطابقةً للحقيقةِ دون مبالغة تُخْرجُها عن حد المعقول

(1) موالج: مداخل، ابن منظور، لسان العرب، مادة: ولج.
(2) للغويص مخارج: الذي يغوص في الماء، ابن منظور، م. ن .
(3) ابن عبد ربه، العقد الفريد،273/1؛ أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص60.
(4) ابن عبد ربه، م. س، 271/1؛ أحمد زكي صفوت، م.س ، ص57.
(5) ينظر : هاشم مناع، الأدب الجاهلي، 391-395.

ومألوف الطبع، وقد تميز الشعر الجاهلي عموماً وشعر الوفادات خاصةً باعتماد الأسلوب على التصوير المادي والفني الرائع، ومن الأمثلة على ذلك قول زهير في مدح سيد تميم:

-الطويل-

سعى ساعياً غيظِ بن مُرةٍ بعدما تبزَّل ما بينَ العشيرةِ بالـــدمِ

تداركتُما عبساً وذُبيان بعـــد ما تفانوا ودقوا بينهم عِطْرَ مَنشَمِ[1]

نجد متانةً في الأسلوب بحسن إيراد المعنى إلى النفس مع قلة الإسهاب، واستعمال الألفاظ في المعاني الموضوعة لها أصلاً، وعدم تعمد استخدام المحسنات البديعية اللفظية [2] ، فالشاعرُ الوافدُ كان يَنْظِمُ قصيدتَهُ بطريقةٍ محكمةٍ وقوية، وكان يتعهد شعره بالتنقيح والتهذيب ليجعلهُ رقيقَ الحاشيةِ، حَسَنَ الديباجة، وخير الأمثلة على ذلك اعتذاريات النابغة إذ يقول:

-البسيط-

أُنبئتُ أنَّ أبا قابوس أوعدني ولا قرارَ على زأرٍ من الأسدِ

مهلاً، فِداءُ لكَ الأقوامُ كُلُّهـــمُ وما أُثمِّرُ مِنْ مالٍ ومن ولدِ

لا تَقْذِفَنِّي بِرُكْـــنٍ لا كفاءَ لهُ وَإِن تأثَّفكَ الأعداءُ بالرَّفَدِ[3]

(1) زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص79.

(2) طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص287.

(3) النابغة الذبياني، الديوان،ص57.

الفصل الثاني :- أدب الوفادة في عصر صدر الإسلام.

المبحث الأول :- تعريف بصدر الإسلام "تحديد العصر".

المبحث الثاني :- الوفادة في عهد النبي ρ.

أولاً :- الوفادة على النبي ρ قبل الهجرة.

ثانياً :- أنماط الوفادة على النبي ρ بعد الهجرة.

1 - وفود مناظرة ومفاخرة.

2 - وفود مقاتلة.

3 - وفادات مسلمة .

4 - وفادات شخصية.

5 - وفادات لعقد الصلح وإبرام المعاهدات.

6 - وفادات لطلب النصرة والمساعدة للقبيلة.

7 - وفادات لنشر الدعوة الإسلامية.

المبحث الثالث :- الوفادة زمن الخلفاء الراشدين .

1- وفادات للتخلص من الالتزامات تجاه الدولة.

2- وفادات لطلب النصرة عسكرياً.

3- وفادات تحمل بشائر النصر.

4- وفادات لحل المشكلات الاقتصادية.

5- وفادات لاطلاع الخليفة على أحوال البلاد.

6- وفادات للطلب من الخليفة البت في القضايا القبلية.

8- وفادات لحمل وجهات النظر المختلفة.

المبحث الرابع :- الخصائص الفنية لأدب الوفادة في عصر صدر الإسلام.

1- الألفاظ والتراكيب والتراكيب.

2- الأسلوب والخيال والصورة الفنية.

أدب الوفادة في عصر صدر السلام.

تدل كلمةُ الإسلام باشتقاقها اللغوي على معنى الخضوع والانقياد، وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم بهذا المعنى في قوله تعالى (وأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ) [1] وقوله تعالى (أُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [2] ومن ثَمّ أُطلقت علماً على ديننا الحنيف في قوله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا) [3]، فهو دينٌ لسعادة الناس كافة، فالإسلام هو الشريعة الإلهية الأخيرة التي تفرض سلطانها على ما سبقها من شرائع سماوية، بما جاء فيها من عقائد تُبَصِّر الناس بجوانب حياتهم المختلفة، وقد قضى الإسلام على الوثنيةِ الجاهلية بكل ما كان فيها من كهانة وسحر وشعوذةٍ وخرافة، حيث كان العرب في الجاهلية يعيشون قبائل متنابذة لا يعرفون فكرة الأمة، إنما يعرفون فكرة القبيلة، وكل قبيلة تتعصب لأفرادها تعصباً شديداً، فلما جاء الإسلام أخذ يُضعِفُ القبيلة، ويُحِلَّ محلها فكرة الأمة، لقوله تعالى (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) [4].

المبحث الأول: تعريف بصدر الإسلام "تحديد العصر".

ذهب مؤرخو الأدب إلى تقسيم العصور الأدبية إلى حِقَبٍ زمنية، وقد اعتمدوا في تقسيماتهم هذه على التغيرات الدينية والسياسية والتاريخية، وعليه يمكننا اعتبار عصر صدر الإسلام بدءاً من ظهور الإسلام ولغاية نهاية عهد الخلفاء الراشدين[5].

الحدود المكانية والزمنية.

عند الحديث عن الحدود المكانية والزمنية لعصر صدر الإسلام، لا بد من الانطلاق من المكان الذي وُلِدَ فيه سيد الخلق، وماهية الظروف التي كانت سائدةً في حينه، إضافة لهجرته إلى المدينة المنورة والأسس التي أقام عليها دولة الإسلام، وما أحاط ذلك من تغيرات في العقول والقلوب والمعتقدات والحياة بشكل عام، وصولا إلى عهد الخلفاء الراشدين وما تم في عهدهم من فتوحات

(1) الزمر،54/39.
(2) غافر، 66/40.
(3) المائدة، 3/5.
(4) الأنبياء، 92/21.
(5) طه حسين، الأدب الجاهلي، 33–36.

وانتشار الإسلام بتعاليمه الجديدة بدءاً من محيط مكة والمدينة مروراً بالقبائل العربية المنتشرة هنا وهناك والتي أعلنت إسلامها.

ومن ثم الانطلاق إلى أطراف الجزيرة العربية، وما كان في عهد الخلفاء الراشدين من الانطلاق خارج الجزيرة العربية، حتى وصلت الفتوحات إلى الشام والعراق ومصر وشمال إفريقيا، وما كان من القضاء على إمبراطوريتي الفرس والروم، حيث أصبحت الدولة الإسلامية مترامية الأطراف، وأصبحت اللغة العربية – لغة القرآن – لسان القاصي والداني في هذه البلاد، وأخذ الأدب يزدهر والحضارة تمد جذوراً لها في هذه البلاد المفتوحة[1].

مما لا شك فيه أنَّ الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية تؤثر تأثيراً مباشراً في الأدب، ولسنا بصدد تتبع ظاهرة هذا التأثير، ولكن من الواضح أن الظروف السياسية كانت الأكثر تأثيراً في الحركة الأدبية[2].

إن التحولات السياسية التي شهدتها المنطقة، كان لها عظيم الأثر في الحركة الأدبية وفي مختلف الميادين، فالشعر كان يرفد الدعوة الإسلامية ويدافع عنها، وكان شعراء الدفاع ينطلقون مدافعين عن النبي ρ ورسالته أمام شعراء المشركين، وكان الخطباء كذلك ينبرون مدافعين منافحين عن الدعوة الإسلامية، وكانت الغلبة دائما لأصحاب الحق ودعاة التوحيد، وهو ما سنتناوله في بحثنا هذا، والمتعلق بلون من ألوان الأدب الذي ساد في تلك الفترة، وهو أدب الوفادة، أي تلك الوفود التي كانت تحط رحالها في حمى سيد الأمة، مستطلعةً أو ممثلةً للقبيلة، أو مفاخرة بها وما إلى ذلك من أغراض الوفادات الأخرى المختلفة، هذا اللون الأدبي الذي سنفرد له هذا الفصل من بحثنا هذا، حول ما كان يجري بين النبي ρ والوافدين عليه من القبائل العربية، أو بين الخلفاء الراشدين والوافدين عليهم.

المبحث الثاني: الوفادة في عهد النبي ρ.

بعد أن أنزل الله عز وجل رسالته على سيدنا محمد ρ وأمره بنشرها والتبشير بها بين الناس، مبتدئاً بأهل مكة، أهله وعشيرته، ثم انتشر أمرها خارج مكة، وقد كان الإسلام حدثاً فكرياً عظيماً هزَّ مكة من الأعماق، وتردد صداه في أرجاء الجزيرة حتى عمها، لقد كان تغييراً عاماً وانقلاباً

(1) ينظر: محمد حسين هيكل، حياة محمد،ص370.

(2) هاشم مناع، الأدب الجاهلي، ص122.

شاملاً في حياة العرب[1] وقد حمل لهم وجهة نظر جديدة عن الكون والإنسان والحياة، ونظاماً جديداً نُظِّمت به العلاقات بينهم، على أساس جديد، ومثَّل هذا النظام ثورةً عارمةً على الأوضاع السائدة استهدفها من جذورها ليؤسس أُمةً على قواعد جديدة، فبدأت الوفود تفد على الرسول الكريم ρ أفراداً وجماعات، لتعلن إسلامها تارة، ولتستجلي أخبار الدين الجديد تارة أخرى، وللمنافرة أو المفاخرة تارة ثالثة[2].

إن الظروف الاجتماعية والسياسية التي وُجِدَت أسهمت في خلق وفاداتٍ متصلةٍ ومتتالية، تحمل أهدافاً كثيرة وذات أنماط مختلفة، هذا من ناحية، أما من الناحية الأخرى، فقد كان على سيد هذه الأمة، أن يُرسل وفوده إلى الملوك والرؤساء في مختلف الأقاليم والأمصار؛ لنشر الدين والتبشير بالدعوة الإسلامية، خاصة ما كان منها بعد صلح الحديبية؛ والذي عده المسلمون الظرف السياسي الملائم لنشر الدعوة الإسلامية، ولقد خلقت هذه الظروف وغيرها جواً ملائماً لهذا اللون الأدبي من الوفادات متعددة الأغراض والأهداف، هذا اللون الذي تميز به الأدب بخصائص فنية ومعنوية جديدة، والذي أرخ لحقبة أدبية تستحق منا البحث والتنقيب.

أولاً :- الوفادة على النبي ρ قبل الهجرة.

بعد أن اصطفى الله سبحانه وتعالى سيدنا محمد ρ بالرسالة السمحاء، بدأ دعوته سراً في مكة، ومن ثم أمره الله تعالى بالجهر بها، وما رافق ذلك من أذى المشركين له ولأصحابه، وصل إلى حد القتل أحياناً، وانتشر أمرُ الدين الجديد في كل أنحاء الجزيرة العربية، الأمرُ الذي دفع بعض الناس إلى الوفادة على النبي ρ معلنين إسلامهم، أو مستطلعين أمر الدين الجديد، وكان للوافدين شعراء وخطباء، يمثلون الواجهة في التصدي للقول ونقل وجهة النظر باسم المجموع، وفي الجهة المقابلة أيضاً يوجد شعراء وخطباء للرد والدفاع عن الفكرة والذود عن حياض الإسلام [3]، ومن هذه الوفادات:

1- وفادة قيس بن مالك بن سعد بن لأْي الأَرْحُبي(ت 50هـ/654 م) [4] التي تعد من أولى الوفادات على النبي ρ قبل الهجرة النبوية، حيث مَثُلَ بين يديه وقال:" يا رسول الله؛ أتيتك لأؤمنَ بك وأنصرك " فقال له: "مرحباً بك؛ أتأخذونني بما فيَّ يا معشر همدان؟" قال: "نعم بأبي أنت وأمي يا

(1) محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، 103/2 – 105.

(2) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 39/2 ؛ محمد جميل بيهم، دراسة وتحليل للعهد العربي الأصيل، ص132.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، 207/4 ؛ الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ 174.

(4) قيس بن مالك بن لأي الأرحبي الهمداني، صحابي وفد على النبي الكريمρ قبل الهجرة وأسلم قومه، تولى صدقات قومه همدان . ينظر:الزركلي، الأعلام، 208/5.

رسول الله !" قال:" فاذهب إلى قومك فإن فعلوا فارجع وأذهب معك " فعاد قيس إلى قومه فأسلموا فخرج بإسلامهم إلى رسول الله ρ فقال:" قد أسلم قومي وأمروني أن آخذك "فقال رسول الله ρ {نِعْمَ وافد القوم قيس}[1]، ولكن النبي الكريمρ لم يذهب معه لأنه لم يرغب بأن تكون له زيارات خارجية على القبائل العربية في هذه الفترة المبكرة .

2- **وفادةُ أهل يثرب**، ففي السنة الثانية عشر للبعثة جاء وفد أهل يثرب على النبي ρ ، الذي ضم أكثر من سبعين شخصاً – حسب اختلاف الروايات- والتقوا بالرسول الأعظم وبايعوه على النصرة والإسلام والحماية، ودعوه للهجرة إلى المدينة[2] الأمر الذي كان له عظيم الأثر في انتشار الدعوة الإسلامية.

نجد أن وفادات ما قبل الهجرة النبوية وعلى الرغم من قلتها في هذه المرحلة المبكرة للإسلام، كان لها آثارٌ سياسية عظيمة فضلاً عن آثارها الدينية، حيث شَكَّلت وسيلةً إعلاميةً لنشر مبادئ الدين الجديد، ومثَّلت نهايةً لمرحلةٍ، وبدايةً لمرحلةٍ أخرى جديدة، لا سيما وفادة أهل يثرب، وبيعتهم للرسول ρ في العقبة الثانية، والتي كان من أثرها المباشر؛ الهجرة النبوية وتأسيس الدولة الإسلامية العتيدة، الأمر الذي أثأر خوف قريش وقلقها؛ التي أدركت خطورة هذه المرحلة وأخذت بتشديد الخناق على المسلمين في مكة لمنعهم من الهجرة واللحاق بالنبي الكريمρ [3].

(1) ابن سعد، الطبقات الكبير،1-73/2 ؛ النويري ، نهاية الأرب، 9/18.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية ، 61/2-62.

(3) صالح احمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص 379 ؛ الملاح، الوسيط في السيرة، ص 181.

ثانياً: أنماط الوفادة على النبي ρ بعد الهجرة.

بدأت صلة القبائل بالدولة الجديدة في وقت مبكرٍ من الهجرة، إذ أحست القبائل المحيطة بالمدينة المنورة بخطورة النظام الجديد على كيانها، وخاصةً بعد انتصار النبي ρ على قريش في غزوة بدر، فأخذت تُعِدُّ العُدة لحربه ρ وتتحين الفرص لاستئصاله والقضاء عليه[1].

لقد كانت الوفادات مدعاة لخطبٍ كثيرةٍ وشعرٍ كثيرٍ من الجانبين، لأن طبيعة هذه المواقف تقتضيها، ولا يُتَصوّر أن تكون بدونها، ولأن الكلام في المحافل عامة شيء تحبه العرب وتألفه، ويجري منها مجرى الطبيعة، ولأن التاريخ يقرر صراحة أنه قد كان في هذه المواطن مقال وكلامٌ وحوارٌ وشعر وخطب، ولكننا وبعد البحث في مختلف المصادر والمراجع عن نصوص هذه الخطب والأشعار، لم نجد إلا يسيراً من القول، على شكل مقطوعات قصيرة، شأن سائر مأثور الكلام في هذه الحقبة الزمنية،إذ لم يُحفَظ منه إلا قِلّة[2] ومن هذه الوفادات على سبيل التمثيل:

1- وفادات مناظرة ومفاخرة.

من المعروف أن قريشاً حادّت الله ورسولَهُ، ما اضطره للهجرة إلى المدينة المنورة حيث المَنَعةُ والنصرُ بأصحابه ومن أسلم معه، وبمجرد أن اشتبكت السيوف، اشتبكت الألسن مدافعة عن الدعوة الإسلامية الجديدة أمام هجمات المشركين الشعرية، وقد كان شعراء المشركين لا يهجون النبي وأتباعه فحسب، بل كانوا يصدون عن سبيل الله بأشعارهم، فقال ρ{ ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟} فقال حسان بن ثابت: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرني به مِقُوَلٌ[3] بين بُصْرى وصنعاء"[4].

ولما افتتح رسول الله ρ مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجهة[5]، ولم تكن القبائل العربية كلُّها على موقف واحد من الإسلام، فمنها من جاءت مسلمةً طائعةً ترى في الإسلام نوراً وهدياً سماوياً، ومنها من جاء بأهدافٍ ودواعٍ أخرى.

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 510/2.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، 210/1.

(3) المِقْوَل:اللسان، ابن منظور، لسان العرب، مادة: قول.

(4) الأصفهاني، الأغاني، 127/4.

(5) ابن هشام، م.س ، 205/4 ؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 305/2.

ومن أولى الوفادات عليه ρ، التي تهدف للمفاخرة والمناظرة، وفد تميم التي تعد من أكبر القبائل العربية، حيث جاء الوفد وفيهم عطارد بن حاجب التميمي(ت 20هـ/ 640م) [1] والزبرقان ابن بدر الشاعر(ت 45هـ/ 645م) [2]، وأخبار وفادة تميم تقول بأنها جاءت تفاخر الرسول ρ، بالزعامة والسيادة وتناظره بالسؤدد والشرف، فما كاد الوفد يدخل مسجد النبي ρحتى علت أصواتهم، وأخذوا ينادون الرسول الكريم أن اخرج إلينا يا محمد، وضج القرآن النبيρ من هذا الأسلوب البدوي الخشن، وقال فيهم سبحانه وتعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ)[3] وقد تأذى الرسول الكريم ρ من صياحهم ولكنه تحمل الأذى والعدوان في سبيل هذا الدين[4].

وبعد أن خرج إليهم ρ، قالوا جئناك نفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا، قال:{نعم قد أذنت لخطيبكم فليقم}[5] فقام عطارد بن حاجب فقال:" الحمد لله الذي جعلنا ملوكاً، والذي له الفضل علينا، والذي وهب لنا أموالاً عِظاماً، نفعلُ بها المعروف، وجعلنا أعزَّ أهلَ المشرق وأكثرهم عدداً، وأيسرهم عدة، فمن مثلنا في الناس؟، ألسنا رؤوس الناس؟، وأُلي فضلهم، فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا، فلو شئنا لأكثرنا من الكلام، ولكن نستحي من الإكثار لِما أعطانا، أقولُ هذا لأن تأتوا بمثل قولنا، أو أمرٍ أفضلَ من أمرِنا ثم جلس"[6].

فقال رسول الله ρ لثابت بن قيس بن الشماس أخي بني الحارث بن الخزرج(ت12هـ، 633م) [7]: {قُمْ فأجب الرجل في خطبته} [8]، فقام ثابت وقال: "الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهنَّ أمرَه، ووسع كرسيه عِلْمَه، ولم يك شيء قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً، واصطفى من خير خَلْقِه رسولاً، أكرمهم نسباً وأصْدَقُهم حديثاً، وأفضلهم حسباً، فأنزل عليه كتابه وأتمنه على خلقه، فكان خير الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رحمه، أكرم الناس حسباً وأحسن الناس وجوهاً، وخير الناس فعالاً، ثم

---

(1) عطارد بن حاجب التميمي(ت20هـ/640م)، من سادات بني تميم، وفد على كسرى، ووفد على النبي الكريم ρ، أسلم وارتد وعاد للإسلام. ينظر: الزركلي، الأعلام، 236/4.

(2) الزبرقان بن بدر التميمي السعدي (ت45هـ/665م) صحابي ولاه النبيρ صدقات قومه. ينظر: المبرد ، الكامل في اللغة والأدب،475/1 ؛ الأصفهاني ، الأغاني،149/2.

(3) الحجرات، 4/49.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، 207/4 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 453/2؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد ، 513/3.

(5) البيهقي، دلائل النبوة، 313/35.

(6) ابن هشام، م .س، 207/4 ؛ ابن قيم الجوزية، م.س، 513/3 ؛ الطبري، تاريخ الطبري،188/2–189؛ ابن خلدون، م . س،453/2.

(7) ثابت بن قيس بن الشماس (ت12هـ/633م) صحابي، خطيب رسول الله ρ، شهد بدراً وأحد، استشهد يوم اليمامة ينظر : الزركلي ،الأعلام، 98/2.

(8) ابن كثير، البداية والنهاية، 42/5.

كانوا أول الخلق إجابة، واستجاب لله حين دعاه رسول الله ρ نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً، وكان قَتْلُه علينا يسيراً، أقول قولي هذا واستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم"[1]. فقام شاعرهم الزبر قان بن بدر فقال:

-البسيط-

نَحْـنُ الكـرامُ فلا حيٌّ يُعادِلُنـا ... مِنّا المُلوكُ وفينـا تُنْصَبُ البِيَعُ[2]

وَكَـمْ قَسَرنا من الأحيـاءِ كُلِّهِمِ ... عند الِّنهابِ وفَضْـلُ العـزِّ يُتَّبَعُ

ونحن نُطْعِمُ عند القَحْطِ مَطْعَمَنا ... من الشِّواءِ إذا لم يُؤْنَسِ القَزَعُ[3]

ثمَّ تَرى الناسَ تأتينا سـراتُهمُ ... مِنْ كُلِّ أرضٍ هُوِيَّاً ثم نَصْطَنِعُ[4]

إلى قوله:

إنا أبينـا ولا يأبى لنـا أَحَـدٌ ... إنا كـذلك عند الفَخْـرِ نرتَفِعُ[5]

فطلب النبي ρ من حسان بن ثابت أن يجيب الرجل فقال:

-البسيط-

إنَّ الذوائبَ من فِهْـرٍ وإخـوتِهم ... قـد بيّنـوا سُنّةً للنـاس تُتَّبَـعُ[6]

يَرْضى بهم كُلُّ مَنْ كانتْ سَريرتُه ... تَقْوى الإلهِ وكلُّ الخيْرِ يُصطَنَـعُ[7]

قـومٌ إذا حاربوا ضرُّوا عـدوَّهُمُ ... أو حاولوا النَّفْعَ في أشياعهم نَفعوا

إنْ كان في الناسِ سباقونَ بعدهُمُ ... فَكُـلُّ سَبْـقٍ لأدنى سَبْقِهِمْ تَبَـعُ

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 208/4 ؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 512/3.

(2) البيع: بكسر الباء مواضع الصلوات والعبادات، ابن منظور، لسان العرب، مادة: بيع.

(3) القزع: بالتحريك السحاب الرقيق، ابن منظور، م. ن ، مادة: قزع.

(4) هوياً: سراعاً، ابن منظور، م. س ، مادة: هوى.

(5) ابن هشام، م . س ، 209/4 ؛ ابن قيم الجوزية، م .س، 510/3-511.

(6) الذوائب:السادة وأصله من ذوائب المرأة وهي غدائرها التي تعلو الرأس، ابن منظور، م. س.

(7) الشطر الثاني في الديوان " تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا"(ديوان حسان،ص304).

إلى أن قال:

أكــرِم بِقومٍ رسولُ الله شيعَتُهم إذا تَفَرَّقَتْ الأَهــواءُ والشِّيَعُ[1]

وأنشد حسان أيضاً: – الطويل–

هَل المَجدُ إلا السُّؤدَدُ العَوْدُ والنَّدَى وجاهُ المُلوكِ واحتمال العَظائمِ

نَصَــرْنا وآوينــا النبيَّ محمــداً على أَنف راضٍ من مَعَدٍّ وراغِمِ

إلى أن قال...

فإن كنْتُمُ جئتمْ لِحَقْن دِمائكمْ وأموالكم أن تُقْسَمُوا في المقَاسِمِ

فلا تجعلــوا لله نِدّاً وأَسلِموا ولا تَلْبَسُوا زِيًّا كزِيّ الأَعاجِــمِ[2]

فلما فرغ من ذلك قال: الأقرع بن حابس(ت 31هـ/651م) [3]: "إن هذا الرجل لمُؤْتى له؛ لخطيبُه أخْطَبُ من خطيبنا؛ ولشاعره أشعرُ من شاعرنا؛ ولأصواتهم أحلى من أصواتنا" فلما فرغ القوم أسلموا وجوزهم النبي ρ فأحسن جوائزهم[4].

نلاحظ هنا أن القبائل العربية الوافدة كانت تعتمد على الفصاحة واللسان في المقام الأول ، وكانت تعد ذلك مقياساً للقدرة على الإقناع أو القناعة بما هو مطروح، وعليه نجد زعماء الوفود عادة يعلنون إسلامهم بقناعة تامة كنتيجة للحوار الذي دار بينهم وبين شاعر الرسولρ وخطيبه.

وقد ذُكر أن قيس بن عاصم(ت 20هـ/، 640م) [5] والزبرقا ن بن بدر وعمرو بن الأهتم(ت57هـ/677م) [6] جلسوا إلى رسول الله ρ ففخر الزبر قان فقال:" يا رسول الله؛ أنا سيد تميم، والمطاع فيهم، والمجاب منهم، آخذ لهم بحقهم، وأمنعهم من الظلم، وهذا يعلم ذلك" وأشار إلى ابن الأهتم، فقال ابن الأهتم:" أجل يا رسول الله؛ إنه مانع لحوزته[7] مطاع في عشيرته، شديد العارضة فيهم[8]، فقال الزبر قان:" أما إنه والله قد علم أكثر مما قال، ولكنه حسدني شرفي"، فقال

(1) ابن هشام، السيرة النبوية 210/4 ؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 511/3–512.

(2) حسان بن ثابت، الديوان، ص 439؛ ابن هشام، السيرة النبوية ، 213/4.

(3) الأقرع بن حابس الدرامي التميمي (ت31هـ/651م)سيد في الجاهلية، صحابي، وفد على النبي ρ، من المؤلفة قلوبهم، . ينظر : الأصفهاني،الأغاني، 153/4.

(4) ابن هشام، م.س، 214/4؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 512/3–514.

(5) قيس بن عاصم بن سنان المنقري السعدي التميمي (ت 20هـ/640م) كان يوصف بالحلم، وفد على النبيρ مع بني تميم، نزل البصرة وتوفي هناك. ينظر: الزركلي ، الأعلام، 210/5.

(6) عمرو بن الأهتم،بن سنان بن كعب(ت57هـ/677م) من خطباء الجاهلية والإسلام.ينظر: الزركلي،الإعلام، 78/5.

(7) حوزة الرجل: ما يحوز ويملك، ابن منظور، لسان العرب، مادة: حاز.

(8) العارضة:البديهة وقوة الكلام، ابن منظور، م. ن ، مادة:عرض.

ابن الأهتم:" أما لئن قال ما قال؛ فما علمته إلا ضيق العطن [1]. زَمْرَ المروءة[2] أحمق الأب، لئيم الخال، حديث الغنى"، فرأى ابن الأهتم الكراهة في وجه رسول الله ρ لما اختلف قوله فقال: يا رسول الله، "رضيت فقلت أحسن ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما علمت، وما كذبتُ في الأولى ولقد صدقتُ في الثانية"[3] فقال ρ :{إنَّ من البيانِ لسحراً، وإنَّ من الشعر لحكمة}[4].

نجد أن خبر هذا الوفد طويل، وذلك لعدة أسباب منها: أن تميم قبيلة كبيرة، وأنَّ الوفد قد ضم أشخاصاً لهم مكانتهم ويمثلون وجوه القوم، وهم من صناديد العرب وكانوا يعدوا أنفسهم ملوكاً أعزة، وقد بدرت منهم بادرةٌ تدل على البداوة وخشونتها وهي مناداة النبي ρ بأصواتٍ عاليةٍ ليخرج إليهم من حجراته، وقد سجل القرآن الكريم ذلك، وأن هذه الحادثة تدل على المستوى الحضاري المتدني الذي كان عليه عرب الجزيرة آنذاك.

أما المفاخرة التي حرصوا على القيام بها أمام سيدنا محمد ρ فهي دليل يضاف لتأكيد جفاوتهم وبداوتهم، فليس من حسن الذوق ولا كمال الأدب؛ أن يفد قوم على عظيمٍ كسيدنا محمد ρ ويقفون أمامه يستعرضون مناقبهم ومآثرهم بصورة فذة ومبتذلة، وقد تمت تلك المفاخرة بالأسلوبين الأدبيين اللذين لم يكن العرب يعرفون غيرهما وهما: الخطابة والشعر.

ولقد كان الرد من خطيب الدعوة الإسلامية ثابت بن قيس بليغاً جدا حين قال:" فمن آمن بالله ورسولهِ منع منا ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً، وكان قتله علينا يسيراً" [5] إنه مبدأ (أسلم (أسلم تسلم)، ومن نطق بالشهادتين عصم دمه وماله ومن لا يُسلم لا يَسلم ولا يحقن دمه ولا يعصم ماله.

إن ما حدث بين خطيب تميم وخطيب الإسلام وشاعر تميم وشاعر الإسلام، هو من سمات الشفوية ؛ إذ أنهم ينزعون للمخاصمة بشكل خارق للعادة من خلال الأقوال وأسلوب الحياة ، وكذا المفاخرة بالقدرات الشخصية وسلق الخصوم بسياط الكلام المؤلمة.

وحمل لنا الخبر أيضا، منافرةً حدثت بين اثنين من زعماء الوفد بحضرة النبي الكريم ρ وقد استطاع أحدهما أن يسب الآخر ثم يمدحه، وهو في كلتا الحالتين كان صادقاً، إذ عندما مدح أظهر

---

(1) ضيق العطن: كناية عن البخل.

(2) زمر المروءة: أي قليلها، ابن منظور، م . س .

(3) الجاحظ، البيان والتبيين، 255/1؛ القيرواني، زهر الآداب 1-38/2 .

(4) أحمد بن حنبل، المسند، حديث رقم، 2420، 294/1.

(5) ابن هشام، السيرة النبوية، 207/4.

الجوانب المضيئة، ولما قدح كشف عن النواحي السلبية السيئة، وعلق النبي ρ على ذلك إن هذا من سحر البيان، وما حدث بين الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم.

2- وفود مقاتلة.

ولئن جاءت وفودٌ مفاخرة ومناظرة إلى النبي الكريم ρ، فقد كان هناك لون آخر من الوفادات، يحمل أبعاداً مختلفة، وهي الوفود المقاتلة أو المهددة بالقتال، وتعتبر وفادة أربد بن قيس [1]، وعامر بن الطفيل (ت11هـ/632م) [2] في بني تميم من أهم هذا اللون من الوفادات. ويذكر أن عامر بن الطفيل كان قد اجتمع بقومه قبل وفادته حيث نصحوه أن يقتفي أثر القبائل العربية ويسلم، فقال:" والله لقد كنت آليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش؟ "واتفق مع أربد بن قيس على قتل النبي ρ، وعند وصول الوفد دعاهم ρ للإسلام وتعاليمه السمحة وبسط لهم مفاهيمه، إلا أن عامراً لم يكن يرغب بالإسلام أصلاً، وإنما كان ينزع إلى السلطة والسيادة، وينشد عرض الدنيا ومتاعها، فلم يرق له الإسلام ولم تعجبه تعاليمه، وطالب بان يكون له الأمر من بعد النبي الكريمρ، وأن تُجعل له نصف ثمار المدينة، فرفض سيدنا محمد ρ ذلك، فقال أربد: والله لأملأنها عليك خيلاً حمراً ورجالاً، وانصرف، فقال ρ {اللهم اكفني عامر بن الطفيل}[3]، فقتل عامر بن الطفيل بالطاعون في طريق عودته، وقتل أربد بن قيس بالصاعقة[4].

3- وفود مسلمة.

شهد العام التاسع للهجرة وفود العرب على مدينة الرسولρ، وكان كل وفد يصحب شاعره وخطيبه ليفاخر بقومه وليعلن طاعة القبيلة للرسول الأعظم ρ، فقد تحول الموقف السياسي إلى جانب الرسول ρ، فالقبائل التي كانت تقف في وجه دعوته وتتجاهل أمر هذه الدعوة في أول الأمر، أصبحت تشد الرحال إليه معلنةً تأييدها له، ومبايعة إياه على السمع والطاعة، خاضعةً لسيادة دينه، منشدة الأشعار في مدحه، ولم تكن وفود العرب من القبائل الحجازية فحسب، بل كانت القبائل اليمنية أيضاً[5].

وكان فتح مكة معركةً فاصلةً قضت على الوثنية قضاءً تاماً، الأمر الذي دفع العرب للتمييز بين الحق والباطل، وإزالة الشبهات عنهم، فسارعوا إلى اعتناق الإسلام[6].

---

(1) أربد بن قيس بن جزء بن خالد الأصبغ أخ الشاعر لبيد لأمه .ينظر: الزركلي، الأعلام، 295/2.

(2) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري،(ت 11هـ/ 632م) أحد فتاك العرب.ينظر: الزركلي، الأعلام، 252/3.

(3) البيهقي، دلائل النبوة، 319/5.

(4) ابن قتيبة، الشعر والشعراء،1/ 335؛ الطبري، تاريخ الطبري، 203/2،202؛ ابن سعد، الطبقات، 162/2؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد،603/3-604؛ ابن هشام،السيرة النبوية، 213/4-214؛ الألوسي، بلوغ الأرب، 129/2-130؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون 460/2.

(5) النويري، نهاية الأرب، 76/18.

(6) صفي الدين المباركفوري، الرحيق المختوم، ص499.

وكانت القبائل العربية في أطراف الجزيرة وعند ظهور الإسلام قالت: اتركوه وقومه –أي سيدنا محمداًρ– فإن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فعند الفتح بادر كل قوم بإسلامهم.

هذا الحديث يدل على مدى أثر الفتح في تطوير الظروف وتعزيز الإسلام وتأكيد ذلك بعد تبوك، ولذلك نرى الوفود تقصد المدينة تترى في هذين العامين –التاسع والعاشر– ونرى الناس يدخلون في دين الله أفواجا[1].

شهد العام التاسع للهجرة وفود العرب إلى النبي الكريمρ، وكان يصحب كل وفد شاعرهم وخطيبهم ليفاخر كل منهما بقومه وأنسابهم ومآثرهم، أو ليعلنا الطاعة للرسول العظيم ρ والتزامهما بالإسلام، الأمر الذي أدى إلى تسمية هذا العام بعام الوفود، حيث كانت البدايات الحقيقية للوفود عليه ρ، بعد رجوعه من الجعرانة آخر سنة ثمان وما بعدها، وقد ذكرت كتب الأدب والسيرة بأن هذه الوفود زادت على الستين، الأمر الذي يدفعنا للاكتفاء ببعض الأمثلة[2] ومنها:

أ – وفد هوازن على النبي ρ.

بعد أن انصرف النبي ρ من الطائف في شوال إلى الجعرانة وفيها السبي –يعني سبي هوازن– قدمت عليه وفود هوازن مسلمين، فيهم تسعة نفر من أشرافهم فأسلموا وبايعوا، ثم كلموه فقالوا:" يا رسول الله إنَّ فيمن أصبتم الأمهات والأخوات والعمات والخالات " فقال ρ:{سأطلب لكم وقد وقعت المقاسم، فأي الأمرين أحب إليكم، السبي أم المال؟} قالوا:" خيرتنا يا رسول الله بين الحسب والمال، فالحسب أحب إلينا، ولا نتكلم عن شاة ولا بعير "فقال ρ:{أما الذي لبني هاشم فهو لكم، وسوف أكلم لكم المسلمين فكلموهم واظهروا إسلامكم}[3].

وفي رواية ابن اسحق أن وفود هوازن أدركت النبي ρ في الجعرانة، وقد أسلموا، فقالوا:" يا رسول الله؛ إنَّا أهل عشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخفَ عليك، فامنُنْ علينا مَنَّ الله عليك، وقام خطيبهم فقال:" يا رسول الله؛ إن اللواتي في الحظائر من السبايا خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتي كنَّ يكفلنك، وأنت خير مكفول[4] ثُم أنشد[5]:

–البسيط–

أُمْنُنْ علينا رسولَ الله في كـــــرمٍ ... فإنكَ المَــرْءُ نَرجــوه وندَّخِــرُ

أمنن على بَيْضَةٍ قد عاقها قَـــــدَرٌ ... مشت شملهـــا في دهْرِهـــا غِيَرُ

(1) المباركفوري ،الرحيق المختوم، ص499–500.

(2) العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، 6/ 16.

(3) العسقلاني، فتح الباري ، 33/8؛ الزبيدي، اتحاف السادة، 266/6.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية،4/ 131.

(5) المباركفوري، م . س، 475؛ شرح العلامة الزرقاني، المواهب الدينية بالمنح المحمدية، 115/5–117.

أبقت لنا الدهر هتافاً على حـــزن ... على قلوبهم الغَمَّـــــاءُ والفَخْـــــرُ
إن لم تداركهم نعماءَ تنشـــرُهـــــا ... يا أَرجحَ الناس حلمـــاً حين تُخْتَبَرُ
أمنن على نســـوة كنت تَرْضَعُهـــا ... إذ فوك يملؤه من مَخْضِها الـــدَّرَرُ
إذ أنتَ طِفْلٌ صغيرٌ كنتَ تَرْضَعُها ... وإذ يَزينُكَ مـــا تأتي ومـــــا تَـــذَرُ
ولا تَجعَلَنَّا كمن شالت نعـــامَتُـــــه ... واستبق منّـــا فإنـــا مَعْشَرُ زُهُـــرُ
إنا لنَشْكُر في النعمـــــاء إذ كفرت ... وعِنْدَنا بعـــد هذا اليـــوم مُدَّخَـــرُ
فألبسِ العَفْوَ مَنْ قَد كُنْتَ تَرْضَعَـــهُ ... مِنْ أُمهـــاتكَ إنَّ العفْـــوَ مُشْتَهَـــرُ
إنّا نُؤَمِّـــلُ عفـــواً مِنْكَ تَلْبَسَـــــهُ ... هادي البَرِيَّة إذ تعفـــو وتنتَصـــرُ
فاعفو عفا اللهُ عما أنت راهِبُـــــهُ ... يومَ القيامةِ إذ يُهْدي لك الظَّفَـــــرُ

فلما سمع ρ هذا الشعر قال:{ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم} [1] وقالت قريش: ما كان لنا فلله ورسوله، وقالت الأنصار: ما كان لنا فهو لله ولرسوله[2].

ب – وفد همدان.

قدم وفد همدان على النبي ρ وفيهم مالك بن نمط [3] وعميرة بن مالك(ت 60 هـ/ 562م) [4] وغيرهم من سادة همدان، فلقوا الرسول ρ مرجعه من تبوك، وعليهم مقطعات الحبرات، والعمائم العدنية برحال الميس[5] على المهرية[6] الأرحبية[7] وراجزهم يقول:

إليك جاوزنا سواد الريف... ... ... في هبوات الصيف والخريف
مخطمات بحبال الليف

وعندما قابلوا الرسول ρ قام مالك بن نمط بين يديه وقال:" يا رسول الله؛ نصية [8] من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قُلْصٍ[1]

---

(1) الهيثمي، مجمع الزوائد ،186/6.

(2) ينظر: ابن هشام،السيرة النبوية،130/4 ؛ ابن سعد، الطبقات، 153/2. شرح العلامة الزرقاني، المواهب الدينية بالمنح المحمدية، 117/5.

(3) مالك بن نمط بن قيس الهمداني ، شاعر وصحابي، وفد على النبي الكريم ρ وخطب بين يديه. ينظر : الزركلي، الأعلام، 267/5 .

(4) عميرة بن مالك (ت60ق.هـ/562م) شاعر جاهلي، وفد على النبي ρ بوفد همدان . ينظر : الزركلي،الأعلام،90/5.

(5) الميس: خشب تصنع منه الرحال التي تكون على ظهور الإبل، ابن منظور، لسان العرب .

(6) المهرية:الإبل النجيبة تنسب إلى مهرة قبيلة في اليمن، ابن منظور، م. ن ، مادة: مهر.

(7) الأرحبية: إبل تنسب إلى أرحب قبيلة من همدان، ابن منظور،م. ن.

(8) النصية: خيار القوم، ابن منظور، م .ن ، مادة: نصص.

نواج[2]، متصلة بحبائل الإسلام، لا تأخذها في الله لومة لائم من مخلاف[3] حارف ويام وشاكر [4] أهل السود والقود[5] أجابوا دعوة الرسول ρ وفارقوا الإلهات والأنصاب[6] عهدهم لا يُنقَضْ ما أقامت لعلع[7] وما جرى اليعفور[8] بصلع[9].

فكتب لهم رسول الله ρ كتاباً أقرهم فيه على أرضهم ومالهم، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، فقال مالك بن نمط يذكر رحلتهم إلى مدينة الرسول ويشيد بالنبي ρ وكرمه[10]:

– الطويل–

ذكرتُ رســـــولَ الله في فحمةِ[11] الدُجـــى[12] ونحنُ بأعلى رَحْرَحـــانَ وصَلْـــدَدِ[13]
وهنَّ بنـــــا خُوصٌ[14] قلائص تغتـــــدي[15] برُكبانِهـــا في لاحبٍ[16] متمـــــدّد
حلفتُ برب الراقصـــــات[17] إلى مِنـــــىً صوادرَ[18] بالركبان من هضبِ قردَدِ[19]
بـــأن رســـــــولَ الله فينـــــا مُصَـــــدَّقٌ رسولٌ أتى من عِنْدِ ذي العَرْش مُهْتَدِ
فما حَمَلَـــتْ من ناقـــةٍ فَـــــــوْقَ رَحْلِـــها أشـــدَّ على أعدائِـــه مِـــنْ مُحَمَّـــــدِ
وأعطى إذا ما طالِـــــبُ العُـــــرْفِ جـــاءَهُ وأمضى بحـــد المشـــرفي المُهَنَّـــدِ[1]

---

(1) القلص: الإبل الفتية، ابن منظور، م. ن ، مادة: قلص.

(2) نواج: مسرعة، ابن منظور، لسان العرب ، مادة: نوج.

(3) المخلاف: المدينة بلغة اليمن، ابن منظور، م. ن ، مادة: خلف.

(4) حارف ويام وشاكر: قبائل يمنية .

(5) السود:الإبل.القود: الخيل، ابن منظور، م. ن، مادة: سود وقود .

(6) الأنصاب:حجارة كانوا يذبحون لها، ابن منظور، م. ن، مادة: نصب.

(7) لعلع:اسم جبل.

(8) اليعفور: ولد الظبية.صلع: اسم موقع.

(9) ابن هشام ، السيرة النبوية، 597/2؛ محمد بن سيد الناس، عيون الأثر، 328/2؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي 352/1،2.

(10) ابن هشام، م.س، 243/4–245؛ محمد بن سيد الناس، م . س،328/2–329؛ المباركفوري، الرحيق لمختوم، ص505، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 457/2.

(11) الفحمة: السواد، ابن منظور ، م.س ، مادة: فحم.

(12) الدجى: جمع دحية وهي الظلمة، ابن منظور ، م. ن، مادة: دجى.

(13) رحرحان وصلدد: موضعان.

(14) الخوص: الغائرات وهي العيون،ابن منظور ، م.ن.

(15) تغتدي:تشتد في سيرها،ابن منظور ،م.ن، مادة:غدى.

(16) اللاحب: الطريق البين،ابن منظور،م.ن، مادة: لحب.

(17) الراقصات: الإبل الرقص والراقصات ضرب من سير الإبل،ابن منظور ،م.ن، مادة: رقص.

(18) صوادر : رواجع،ابن منظور، م.ن، مادة: صدر.

(19) قردد: ما ارتفع من الأرض، ابن منظور،م.ن، مادة: قرد.

وفيما يذكر أن النبي ρ بعث بخالد بن الوليدτ إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، فكان ممن خرج مع خالد البراء – في حديث أبي اسحق– حيث أقاموا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا، ثم أن النبي ρ بعث بعلي بن أبي طالب τ، وأمر خالد بالعودة إلا رجلاً ممن كان معه، أحب أن يبقى مع علي، فلما اقتربوا من القوم وضربوا إليهم صلى علي τ في صف واحد،ثم تقدم ليقرأ كتاب رسول الله ρ، فأسلمت همدان جميعاً، فكتب علي إلى النبي ρ يخبره بإسلامهم، حيث خرَّ ρساجداً ثم رفع رأسه فقال:{السلام على همدان السلام على همدان}[2].

ج– وفد بني فزارة الذي يضم سادة القبيلة حيث مثلوا بين يديه ρ مقرين بالإسلام، فسألهم النبي ρ عن بلادهم، فقال خطيبهم:" يا رسول الله؛ أسنتت [3] بلادنا وهلكت مواشينا، وأجدب جنابُنا [4]، وغَرِثَ عيالنا[5]، فادعوا لنا ربك يغثنا، واشفع لنا إلى ربك، وليشفع لنا ربك اليك " فقال رسول الله ρ{سبحان الله ويلك هذا أنا أشفع إلى ربي عز وجل؟ فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه، لا اله إلا هو العلي العظيم وسع كرسيه السموات والأرض، فهي تئط[6] من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد، إن الله ليضحك من شفقكم وأزلكم[7] وقرب غياثكم}[8] فقال الأعرابي:

يا رسول الله ويضحك ربنا عز وجل؟ قال: "نعم" قال الأعرابي: "لن يعدمك من رب يضحك خيرٌ، فضحك ρ من قوله وصعد المنبر فتكلم بكلمات، وكان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا رفع الاستسقاء، فرفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه، وكان من دعائه { اللهم اسق بلادك وبهائمك، وانشر رحمتك واحيي بلدك الميت، اللهم اسقنا غيثاً مريحاً مريعاً طبقاً واسعاً عاجلاً غير آجل، نافعاً غير ضار، اللهم اسقنا رحمةً ولا تسقنا عذاباً ولا هدماً ولا غرقاً ولا محقاً، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على أعدائنا}[9] فقام أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري [10] فقال:" يا رسول الله؛ التمر في المرابد " فقال ρ:{اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مربده بإزاره}[11] قالوا لا والله ما

---

(1) ابن هشام، م.س،242/2–245؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد،622/3–623؛ ابن سيد الناس،م . س ،458/2.

(2) البيهقي، دلائل النبوة، 368/5 .

(3) أسنتت: أجدبت، ابن منظور، لسان العرب ، مادة: سنت .

(4) أجدب جنابنا:أصابنا القحط وامتد إلى كل من حولنا،ابن منظور ، م.ن، مادة: جنب .

(5) غرث عيالنا: جاعوا،ابن منظور ،م.ن، مادة: غرث.

(6) تئط: من الاطيط وهو صوت الرحل،ابن منظور،م.ن، مادة: أطّ.

(7) وأزلكم: من إشفاقكم وضيقكم، ابن منظور، م.ن، مادة: أزل.

(8) البيهقي، دلائل النبوة، 143/6.

(9) ابن أبي شيبة، المصنف، حديث رقم 31762، 328/6.

(10) أبو لبابة الأنصاري، وهو رفاعة بن عبد المنذر،ينظر :إكمال الكامل، 167/4.

(11) البيهقي، السنن الكبرى ، حديث رقم 6434، 494/3.

في السماء سحاب ولا قزعة ولا بين المسجد وبين سلع من شجر ولا دار، فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت فوالله ما رأينا الشمس سبتاً وقام أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مربده بإزاره لئلا يخرج التمر منه فجاء ذلك الرجل فقال:" يا رسول الله؛ هلكت الأموال وانقطعت السبل فصعد النبي ρ المنبر فدعا ورفع يديه مداً، حتى رؤي بياض إبطيه ثم قال: {اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر}[1]، قال: قال: فانجابت السحابة عن المدينة انجياب الثوب[2].

وهذا اللون من الوفادات يشير إلى اعتماد الوافد على النبيρ بكل جوانب حياته وفيه تسليم مطلق لأمر النبيρ وتعاليم الدين.

4- وفادات شخصية.

إلى جانب وفادات القبائل والجماعات، كانت هناك وفادات فردية، أسميناها بالوفادات الشخصية، وهي تلك الوفادة التي قام بها شخص واحد إلى سيد الخلق ρ، ليعلن إسلامه أو التوبة من ذنب اقترفه، أو للاستطلاع عن خبر الدين الجديد والعودة إلى قبيلته،أو لأي سبب آخر، ومن هذه الوفادات الشخصية:

أ- وفادة كعب بن زهير(ت26هـ/645م) [3].

تعد وفادة كعب بن زهير الشاعر على النبي ρ، من أهم الوفادات الفردية، ويذكر من أسباب هذه الوفادة أنه وعند انطلاق الدعوة الإسلامية، وانتشار أخبار الدين الجديد في المناطق المحيطة بالجزيرة العربية، كان ممن سمع بها كعب بن زهير وأخوه بجير اللذا ن انطلقا الى النبي ρ للاستطلاع عن خبر الدين الجديد، وعندما وصلا إلى جبل من جبال الدهناء[4] يسمى العزاف، تأخر تأخر كعب وقال لبجير الحق الرجل، وأنا مقيم هاهنا، فانظر إلى ما يقول لك، فقدم بجير على النبي ρ، فسمع منه واسلم فبلغ ذلك كعباً[5] فقال:

---

(1) البيهقي، السنن الكبرى،حديث رقم 6436 ،495/3.

(2) ابن سيد الناس، عيون الأثر، 332/2-333؛ ابن سعد، الطبقات،297/1.

(3) كعب بن زهير المزني (ت26هـ/645م) شاعر، وفد على النبي الكريمρ بعد أن كان أهدر دمه وتاب، فأمنه ρ، وقال في حضرته قصيدته المشهورة بانت سعاد. ينظر : الزركلي،الأعلام، 301/5.

(4) الدهناء، من ديار بني تميم، وهي أكثر البلاد خصوبة رغم قلة الماء فيها، وإذا أخصبت الدهناء أخصب العرب . ينظر: الأصفهاني، الأغاني، 185/10؛ ياقوت الحموي،493/2.

(5) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 521/3؛ الأصفهاني، الأغاني، 17-91/18.

-الطويل-

ألا أبلِغا عني بُجيراً رسالــةً ... فهل لك فيما قُلتَ وَيْحكَ هل لكا
فَبَيِّن لَنَا إن كُنتَ لَسْتَ بِفاعِلٍ ... على أيِّ شيءٍ غَيْــر ذلكَ دَلَّكــا
على خُلُقٍ لم تُلْفِ أُمَّاً ولا أباً ... عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْــهِ أخاً لكــا
فــإنْ أنْتَ لَسْــتَ بِآسِـــفٍ ... ولا قائــلٍ إمَّــا عَثَرْتَ لَعَلكــا
سقاكَ بِها المأمُونُ كأساً رويَّةً ... فأَنْهَلَكَ المأَمُــونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا[1]

وقد بلغت هذه الأبيات النبي ρ فأهدر دمه قائلاً {من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله}[2] فكتب بجير إلى أخيه كعب أن رسول الله ρ قتل رجالاً بمكة ممن كانوا يهجونه ويؤذونه، وأنّ من بقي من شعراء قريش هرب، فإن كان لك في نفسك حاجة، فطِرْ إلى رسول الله لأنه لم يقتل أحداً جاءه تائباً مسلماً، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك[3]، فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، فلم يجد بداً من اللجوء إلى المدينة، فقال قصيدته التي يمتدح بها رسول الله ρ ويذكر بها خوفه، وقدم إلى المدينة ونزل إلى رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة؛ فغدا به إلى رسول الله ρحين صلى الصبح، فصلى معه وكان ملثماً، ثم أشار إلى رسول الله ρ، فقام إليه كعب ووضع يده في يده وكان ρ لا يعرفه وقال: يا رسول الله؛ إنْ كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال: نعم. قال أنا يا رسول الله كعب بن زهير، فوثب عليه رجل من الأنصار يريد قتله، ولكن الرسول ρ منعه، مما أثار في نفس كعب غضاضة وغضباً على هذا الحي من الأنصار، أما المهاجرون الذين رغبوا في إسلامه فكانوا من جملة من مدحهم في قصيدته التي ألقاها بين يدي رسول الله ρ[4] ومنها:

-البسيط-

بانَتْ سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ ... مُتَيّمٌ إثرَهــا لَــم يُفــدَ مَكْبُــولُ[5]
وما سُعادُ غداةَ البينِ إذْ رحلوا ... إلا أغنُّ عضيضَ الطَّرْفِ مَكْحُول
وقال كلُّ صديقٍ كنتُ آملــهُ ... لا أُلهِيَنَّــكَ إني عنــكَ مشغــول[6]

---

(1) كعب بن زهير، الديوان، ص25.

(2) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين ، حديث رقم6477 ،579/3.

(3) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد ، 521/3. الأصفهاني، الأغاني،17- 92/18.

(4) ينظر: ابن هشام،السيرة النبوية، 146/4 ؛ الأصفهاني، الأغاني، 17-93/18 ؛ ابن رشيق؛ العمدة 1-2/14-16؛ القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص47-48؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 522/3؛ الألوسي، بلوغ الأرب،133/3؛ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 1/ 154.

(5) متبول: أسقمه الحب وأضناه ، متيم: ذليل مستعبد. لم يُفدَ: لم يُخَلّص من الأسر. مكبول: مقيد،ابن منظور، لسان العرب

(6) آمله: أؤمل خيره. ألهينك: أشغلك، ابن منظور، م. ن.

فقلتُ خلّــوا طريقي لا أبا لكــمُ فكــلُّ ما قــدَّرَ الرحمــنُ مَفْعُــولُ
نُبِّئتُ أنَّ رســولَ الله أوْعَــدَني والعَفْوُ عِنْــدَ رســولِ الله مَأمُــولُ[1]
مهلاً هداكَ الذي أعطاك نافلةَ الــ ــقــرآنِ فيهــا مواعيــظٌ وتفصيــلُ
لا تأخــذنّي بأقــوالِ الوُشـــاةِ ولــم أُذْنِبْ ولــو كثُرَتْ فيَّ الأقاويلُ
إنَّ الرسولَ لنــورٌ يُسْتَضــاءُ به مُهَنّــدٌ مــن سيــوفِ الله مَسْلــولُ[2]
في عُصبةٍ من قريشٍ قال قائلُهــم بِبَطْنِ مكــةَ لمــا أسلمــوا زولــوا[3]

وقد سميت هذه القصيدة بالبردة لأن النبي ρ خلع عليه بردته جائزةً له إعجاباً بما قال.

وجدنا أنَّ كعب بن زهير حاول في قصيدته هذه أن يعتذر إلى الرسول ρ ويستعطفه، وليس هنا المجال المناسب للخوض في التفاصيل اللفظية والفنية الواردة في القصيدة، إذ إننا سنوردها لاحقاً، ولكن ما يسترعي الانتباه هو أن كعباً خص المهاجرين بالمديح دون الأنصار حتى إن البعض ذهب إلى القول بأنه قد هجاهم، ولكن هذا القول ليس دقيقاً، لأن كعباً لم ينشد قصيدته ارتجالاً وإنما قام بإعدادها وتحكيكها وتقليب النظر فيها قبل أن يصل إلى المدينة [4]، فكيف عرف أن الأنصار سيقفون منه موقفاً صلباً حتى يعد بيتاً واحداً في هجائهم، والتعريض بهم؟، علاوة على أن الإسلام منع الهجاء عامة، فكيف كان له أن يجرؤ على هجاء أحب الناس إلى قلب الرسول ρ، وهو قد جاء تائباً مسلماً، ولهذا نستبعد أن يكون كعب قد هجا الأنصار أو عَرَّضَ بهم، وكل ما فعله أنه أغفل ذكرهم حين ذكر المهاجرين، حيث إن كعباً نهج في مديحه منهج الجاهليين في مديح الملوك وأهل بيتهم فقط، ودليل آخر على صحة ما ذهبنا إليه أن النبي ρ قال له:{ لولا ذكرت الأنصار فإنهم لذلك أهل}[5] فقال فيهم:

-الكامل-

مَنْ سَرّهُ كرمُ الحياةِ فلا يَزَلْ في مِقْنَبٍ من صالِحي الأنصارِ[6]
وَرثوا السِيادةَ كابراً عن كابرٍ إنَّ الكرام هــمُ بنــو الأخيــار
لو يَعْلَمُ الأحيــاءُ عِلْمِيَ فيهمُ حَقّــاً لصدَّقني الــذين أُمــاري[7]

(1) أوعدني: تهددني بالقتل. مأمول: مرجو ومطموع فيه، ابن منظور ، لسان العرب، مادتي: وعد وأمل.
(2) يستضاء به: يُهتدى به إلى الحق، ابن منظور، م. ن .
(3) كعب بن زهير، الديوان، ص 26. العصبة: الجماعة، ابن منظور، م.س ، مادة: عصب.
(4) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 525/3.
(5) ابن كثير البداية والنهاية، 374/4.
(6) مِقنَب:الجماعة من الخيل، ابن منظور، لسان العرب، مادة: قنب.
(7) كعب بن زهير، الديوان، ص43.

ب – وفادة فروة بن مسيك المرادي (ت 30هـ/ 650م) [1]، الذي فارق ملوك كندة وهجرهم وقدم إلى مدينة الرسول ρ وفي نفسه ميل إلى الدين الجديد، فما أن عُرِضَ عليه الإسلام حتى قَبِلَهُ وبايع رسول الله ρ على الطاعة ثم اندفع يقول:

-الكامل-

لما رأيتُ ملوكَ كِنْدَةَ أَعْرضَتْ كالرِّجْلِ خانَ الرِّجْلَ عِرْقُ نَسائِها[2]

قــرَّبْتُ راحِلَتــي أؤمُّ مُحَمَّداً أَرجو فَواضِلَــها وحُسنَ ثرائِــها[3]

وكان النبي ρ قد لمس فيه الإخلاص للدعوة الإسلامية، فاستعمله على مراد وزبيد ومذحج كلها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص(ت 14هـ/635م) [4] على الصدقة، فكان معه في بلاده حتى توفي الرسول الكريم ρ[5].

ج – ومن الوفادات الفردية الأخرى وفادة النابغة الجعدي(ت 50هـ/670م) [6] حيث وفد على النبي ρ مسلماً وأنشده: -الطويل-

أتيتُ رسولَ الله إذْ جاءَ بالهــدى ويتلو كتاباً كالمجَــرّةِ نَيِّرا

بلغنا السماءَ مجداً وجوداً وسؤدداً وإنّا لنرجو فوقَ ذلك مظهرا[7]

فقال ρ:{ إلى أين يا أبا ليلى؟}[8] قال: إلى الجنة بك يا رسول الله ! قال: نعم، إن شاء الله. فأنشده: -الطويل-

لا خيرَ في حِلمٍ إذا لم تَكُــن له بوادرُ تَحمي صفــوهُ أن يُكَدَّرا

ولا خيَر في جهلٍ إذا لم يَكُن له حليمٌ،إذا ما أورَدَ الأَمْرَ أصْدَرا[9]

---

(1) فروة بن مُسَيْك المرادي (ت30هـ/650م) صحابي، كان موالياً لملوك كندة، وفد على النبي ρ. ينظر: الزركلي، الأعلام، 143/5.

(2) عرق النسا: عرق مستبطن في الفخذ، وهو مقصور ومُدَّ هنا للضرورة الشعرية.

(3) الأصفهاني، الأغاني،13–26/14 ؛ البغدادي، خزانة الأدب 123/2.

(4) خالد بن سعيد بن العاص بن عبد شمس (ت14هـ/635م)اسلم والدعوة سراً، كان الثالث أو الرابع في أسلامه، هاجر إلى الحبشة، كتب للنبي، كان عاملاً على اليمن، شهد أجنادين. ينظر : الزركلي،الأعلام، 296/2.

(5) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، 228/4–229.

(6) النابغة الجعدي،هو عبد الله بن قيس بن عدس (ت 50هـ/670م) وفد على النبيρ واسلم، ووفد على عبد الله بن الزبير . ينظر: الزركلي،الأعلام 5/5؛ المبرد ، الكامل في اللغة والأدب، 83/1 .

(7) النابغة الجعدي، الديوان، ص78–85.؛ القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص49.

(8) الزمخشري، تفسير الكشاف، ص106.

(9) النابغة الجعدي، الديوان ، ص85.

فقال ρ:{لا فضَّ الله فاك}[1] فبنو جعده يزعمون أنه كان إذا سقطت له سن نبت مكانها أخرى، وغيرهم يزعم أنه عاش ثلاثمائة عام ولم تسقط له سنٌ حتى مات[2].

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن النابغة الجعدي عُمِّرَ حتى وفد على عبد الله بن الزبير في أيامه وامتدحه، فقال له يا أبا ليلى "إن أدنى وسائلك عندنا الشعر، ولك في مال الله حقان، حق في رؤيتك رسول اللهρ، وحق بشركتك أهل الإسلام في فيئهم ثم أجازه"[3].

ويُذكر أن بيت النابغة الجعدي الثاني "بلغنا السماء..."–على البحر الطويل– قد جاء بأكثر من رواية في كتب الأدب ففي العقد الفريد مثلاً جاء البيت[4]:

بلَغَنا السماءَ مجدُنا وسناؤنا وإنَّا لَنَبْغِيَ بعد ذلك مظْهَرا

وفي بلوغ الأرب جاء البيت[5]:

بلَغنا السماء مجدُنا وجدوُدنا وإنَّا لَنَرجو فوق ذلكَ مَظْهرا

وفي العمدة جاء البيت[6]:

علَوْنا السماء عِفةً وَتَكرُّماً وإنا لنبغي فوق ذلكَ مَظْهَرا

5- وفادات لعقد الصلح وإبرام المعاهدات.

بعد أن أنار الله عز وجل الجزيرة العربية بالإسلام، وأخذت القبائل تؤمُّ مدينة الرسول الأعظم ρ معلنةً إسلامها، وجدنا أنه لم يكن هدف كل الوفود إعلان إسلامها، فقد سعى بعضها إلى عقد معاهدات لغرض الحصول على الحماية، كما فعل وفد نصارى نجران مقابل أداء مبالغ من المال للمسلمين[7]، حيث كان الوفد كبيراً، قوامه ستون راكباً منهم أربعةٌ وعشرون من أشرافهم، وعند

(1) البيهقي، دلائل النبوة، 251/5.

(2) ينظر: أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص 49؛ الألوسي، بلوغ الأرب، 137/3؛ ابن عبد ربه،العقد الفريد، 93/1؛ 128/2 ؛ الأصفهاني، الأغاني،5–14/6.

(3) ابن عبد ربه، م. س،299/1.

(4) ابن عبد ربه،م.س،299/1.

(5) الألوسي، م .س،138/3.

(6) القيرواني، العمدة، 1–42/2.

(7) ابن سعد، الطبقات، 1–45/2؛ الملاح، الوسيط في السيرة،ص320.

وصولهم المدينة كان موعد صلاة العصر، وعندما حان موعد صلاتهم، فقاموا يصلون في المسجد، فأراد الناس منعهم، فقال ρ: "دعوهم" فاستقبلوا المشرق وصلوا صلاتهم[1]، وبعدها جلسوا إلي النبي ρ، فسألهم وسألوه، ثم دعاهم إلى الإسلام، وتلا عليهم القرآن فامتنعوا، وسألوه عما يقول في عيسى υ، فمكث ρ يومه لا يجيبهم حتى نزل عليه قوله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) [2]، فأخبرهم بقوله في عيسى υ، في ضوء الآية الكريمة، إلا أن ذلك لم يعجبهم[3].

وقد ذكر ابن خلدون عن أخبار وفد نصارى نجران بقوله" كان الوفد في سبعين راكباً يقدمهم أميرهم العاقب من كنده، وأسقفهم أبو حارثة من بكر بن وائل والسيد بن الأيهم، وجادلوا عن دينهم، فنزل صدر سورة آل عمران، وآية المباهلة، فأبوا منها وتفرقوا وسألوا الصلح، فكتب لهم به على ألف حلة في صفر، وألفٍ في رجب، وعلى دروع ورماح وخيل وحمل ثلاثين من كل صنف، وطلبوا أن يبعث معهم والياً يحكم بينهم، فبعث أبا عبيدة عامر بن الجراح، ثم جاء العاقب والسيد وأسلما"[4]. وقد كتب لهم ρ كتاباً جاء فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما كَتَبَ محمدٌ النبي رسولُ الله لنجران، إذ كان عليهم حكمه في كل ثمرة، وفي كل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق، فأفضل عليهم، وترك ذلك كله على ألفي حُلة، في كل رجب ألف حلة، وفي كل صفر ألف حلة، وكل حلة أُوقِية، ما زادت على الخراج أو نقصت على الأواقي فبحساب، وما قضوا من دروع أو خيل أو ركاب، أو عَرَضٍ أُخِذَ منهم بحساب، وعلى نجران مثواةُ رُسُلي، ومُتْعَتهم بها عشرين فدونه، ولا يُحبس رسول فوق شهر، وعليهم عارية ثلاثين درعاً، وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً إذا كان كيدٌ باليمن ومغدرة..." [5]

نرى من تعاليم الإسلام في قصة هذا الوفد ؛ أن النبي ρ أراد أن يرسي دعائم الإسلام وأسسه مع الكتابيين، ووضع الأسس للتعامل مع الرسل وكيفية استضافتهم، وبيان ما يحق للمسلمين في أموال من يطلب الهدنة وحس الجوار منهم، ومن أهم ما خلصت به من تعاليم تتمثل بالتالي:

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 573/1؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد،629/3.

(2) آل عمران، 59/3–61.

(3) المباركفوري،الرحيق المختوم، ص507.

(4) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 459/2.

(5) ينظر: ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 634/3–635؛ ابن هشام، السيرة النبوية، 222/2–235.

1. جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين.
2. بإمكان أهل الكتاب الصلاة بحضرة المسلمين،وفي مساجدهم إذا كان ذلك عارضاً.
3. إقرار الكاهن الكتابي بأن محمداً نبي لا يدخله الإسلام ما لم يلتزم طاعته واتباع هديه، ونظير ذلك شهادة عمه ρ أبو طالب له بأنه صادق، وأن دينه خير أديان البرية ولكن لم تدخله هذه الشهادة بالإسلام
4. جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحة من يرجى إسلامه منهم، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجزٌ عن إقامة الحجة.
5. جواز إهانة رسل الكفار، وترك كلامهم إذا ظهر منهم التعاظم والتكبر فلم يكلمهم ρ ولم يرد سلامهم إلا بعد أن لبسوا ثياب سفرهم، وألقوا حللهم.
6. جواز مصالحة أهل الكتاب على ما يريد الإمام من الثياب وغيرها ويجري ذلك مجرى ضرب الجزية.
7. اشتراط الإمام على الكفار دافعي الجزية أن يؤووا رسله ويكرموهم أياما معدودة.
8. أن الإمام لا يقر أهل الكتاب في المعاملات الربوية.
9. ولا يجوز أن يؤخذ رجل من أهل الكتاب بظلم آخر[1]

6- وفادات لطلب النصرة والمساعدة .

ومن الوفادات التي وفدت عليه ρ لطلب المساعدة للقبيلة، وفد تهامة من بني نهد، وعلى رأسهم خطيبهم الذي وقف بين يدي رسول الله ρ وقال:" يا رسول الله؛
أتيناك من غورى[2] تهامة، بأكوار[3] الميس[4]، ترمي بنا العيس[5]، نستحلب الصبير[6]، ونستجلب الخبير[7]، ونستعضد[8] البرير[9]، ونستخبل[10] الرهام ونستحيل[11] الجهام[12] من ارض غائلة

---

(1) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد ، 3/642-646.

(2) الغور: ما انحدر من تهامة، ابن منظور لسان العرب، مادة: غور .

(3) اكوار: جمع كور، وهو الرحل، ابن منظور ، م.ن ، مادة: كور.

(4) الميس: شجر عظيم، ابن منظور ، م.ن مادة: ميس.

(5) العيس:جمع عيساء وهي الإبل البيض يخالط بياضها شقرة، ابن منظور، م . ن، مادة: عيس.

(6) الصبير: السحاب الكثيف،ابن منظور ،م .ن، مادة: صبر.

(7) الخبير: العشب، ابن منظور ،م .ن، مادة: خبر.

(8) استعضد الثمر: اجتناها،ابن منظور ، م.ن، مادة: عضَّ.

(9) البرير: ثمر الأراك،ابن منظور ،م.ن، مادة: برر.

(10)الرهم: المطر الضعيف الدائم،ابن منظور ، م.ن، مادة: رهم.

(11) نستخبل: نخال ونظن سحابة مخيلة تحسبها ماطرة، ابن منظور ، م.ن، مادة: خبل.

(12) الجهام:السحاب قد أراق ماؤه،ابن منظور ، م.ن، مادة: جهم.

النطاء[1] غليظة الوطاء نَشِفَ المُدْهُن [2] ويبس الجعثن[3] وسقط الأملوج[4]، ومات الهدى[5]، ومات ومات الودي[6]، برئنا رسول الله من الوثن[7] والعثن وما يحدث الزمن، لنا دعوةُ السلام، وشريعة الإسلام، ما طمى[8] البحر، وقام تِعار [9]، ولنا نَعَمٌ، هملٌ[10] أغفالٌ [11]، ما تبض ببلالٍ [12]، ووقيرٌ[13] كثير الرَّسَل[14] قليل الرِّسل[15]، أصابتها سُنَيّة[16] حمراء[17] مُؤزِلة[18]، ليس بها علل ولا نهل[19]".

فرد رسول الله ρ:{ اللهم بارك لهم في محضها[20] ومخضها[21] ومذاقها[22]، وابعث راعيها في الدثر[23]، بيانع الثمر، وافجُر له الثمد[24]، وبارك له في المال والولد، من أقام الصلاة كان مسلماً،

---

1 النطاء: البعد،ابن منظور، لسان العرب، مادة: نطى .

2 المدهن: مستنقع الماء،ابن منظور، م.ن،مادة: دهم.

3 الجثعن :أصل النبات،ابن منظور، م.ن .

4 الاملوج: ورق شجر يشبه السرو في البادية،ابن منظور ،م.ن، مادة: ملج.

5 الهدي: ما يهدى لمكة ليذبح،ابن منظور، م. ن.

6 الودي: الفسيل من النخل الصغير،ابن منظور ،م.ن،مادة: ودى.

7 الوثن والعثن: الصنم،ابن منظور، م. ن.

8 طمى: امتلأ وعلا،ابن منظور، م.ن،مادة: طمى .

9 تعار: جبل ببلاد قيس.

10 همل: مهملة،ابن منظور، م. ن، مادة: همل.

11 الاغفال: جمع غفل وهو ما لا سمة له من الدواب،ابن منظور ، م.ن، مادة: غفل.

12 ما تبض: سال قليلاً،ابن منظور، م.ن، مادة: بضَّ.

13 وقير: قطيع الغنم،ابن منظور ، م.ن، مادة : وقر.

14 الرسل: القطيع من كل شيء،ابن منظور ،م.ن، مادة: رسل.

15 الرُسْل: اللبن،ابن منظور ،م.ن، مادة: رسل.

16 سنية: تصغير سنة،ابن منظور ، م.ن.

17 حمراء: شديدة،ابن منظور ، م.ن.

18 مؤزلة: كثيرة الشدة، ابن منظور، م.ن، مادة: أزل.

19 احمد زكي صفوت، جمهر الخطب،ص165–166 .

(20) محضها: اللبن الخالص،ابن منظور ، لسان العرب، مادة: محض.

(21) والمخض: اللبن الخالص اخذ زبده،ابن منظور ،م.ن، مادة: خضَّ.

(22) والمذيق: اللبن الممزوج بالماء،ابن منظور ، م.ن، مادة: ذاق.

(23) الدثر: المال الكثير، وقيل الكثير من كل شيء،ابن منظور ، م.ن، مادة: دثر.

(24) الثمد: الماء القليل، أو ما يظهر في الشتاء ويختفي في الصيف،ابن منظور،م .ن، مادة: ثمد.

ومن آتى الزكاة كان محسناً ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصاً، يا بني نهد ودائع [1] الشرك، ووضائع الملك،لا تلطط[2] في الزكاة، ولا تلحد في الحياة، ولا تثاقل عن الصلاة}[3].

نلاحظ من خلال ما سبق أن معظم الوفادات التي قدمت على النبي ρ من مختلف أنحاء الجزيرة العربية، وبايعته على الإسلام، كانت لها آثارها الدينية في نشر الدعوة الإسلامية حيث عم هذا الدين الجزيرة العربية في فترة قصيرة جداً، إضافة لآثارها السياسية، إذ مثلت بدايات الوحدة السياسية للجزيرة العربية، وأصبح الإسلام النظام والعقيدة لكل العرب[4].

7- وفادات خارجية بهدف نشر الدعوة الإسلامية.

في أواخر السنة السادسة للهجرة، وبعد أن رجع ρ من الحديبية، أدرك بأن الوضع أصبح ملائماً للعمل على نشر الإسلام خارج جزيرة العرب؛ فكتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام سواء كانوا داخل الجزيرة أو خارجها، فاليهود قد انتهوا من الساحة، وقريش في هدنة مع المسلمين، أما الأعراب فكان لا بد من غزو ديارهم باستمرار، لأنهم اعتادوا على شن الغارات، فإن لم يغزهم المسلمون قطعوا عليهم الطريق وقاموا بشن الغارات على من جاورهم من القبائل التي أعلنت إسلامها، أو حتى على المدينة المنورة كمركز للدولة الجديدة[5].

وقد قيل للرسول ρ إن هؤلاء الملوك لا يقرؤون الكتب إلا إذا كانت مختومة، فاتخذ خاتماً من فضة نقش عليه ثلاثة أسطر، (محمدٌ سطر، ورسول سطر، والله سطر)، وَخَتَمَ به الكتب، وبعث ستة رسل في يوم واحد إلى الملوك ، وكان ذلك في المحرم من سنة سبع للهجرة [6]، وفي ذلك قال ابن اسحق: إن النبي ρ قد فَرَّقَ رجالاً من أصحابه إلى ملوك العجم والعرب، دعاة إلى الله عز وجل فيما بين الحديبية ووفاته[7]، وقد كان اتجاه الرسل في الأمصار التي أرادها ρ كما يلي:

- دحيه بن خليفة الكلبي(ت45هـ/665م) [8] إلى هرقل ملك الروم.

---

(1) ودائع الشرك: الغنائم، ابن منظور،م.ن.

(2) لا تلطط:لا تمنع، ابن منظور،م.ن، مادة: لطط.

(3) المتقي الهندي، كنز العمال، حديث رقم30311 ،276/10.

(4) الملاح، الوسيط في السيرة، ص321-324

(5) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص392 ؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، 1-308/2.

(6) ابن هشام ، السيرة النبوية، 254/4 ؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 120/1.

(7) ابن هشام، م. س، 231/3؛ الطبري، تاريخ الطبري، 128/2.

(8) دحيه الكلبي وهو دحية بن خليفة بن فروة الكلبي (ت45هـ/665م) بعثه النبيρ إلى القيصر، يضرب به المثل بحسن صورته، شهد اليرموك، عاش لخلافة معاوية . ينظر: الزركلي،الأعلام 73/5 .

- عبد الله بن حذافة السهمي(ت33هـ/653م) [1] إلى كسرى ملك الفرس.

- عمرو بن أمية الضميري(ت55هـ/675) [2] إلى النجاشي ملك الحبشة.
- حاطب بن أبي بلتعة(ت30 هـ/650م) [3] إلى المقوقس حاكم مصر.
- العلاء بن الحضرمي(ت21هـ/420م) [4] إلى المنذر ملك البحرين .
- سليط بن عمر(ت12هـ) [5] إلى هوذة بن الحنفي أمير منطقة اليمامة.
- المهاجر بن أمية المخزومي(ت125هـ/747م) [6] إلى الحارث الحميري ملك اليمن.
- عمرو بن العاص السهمي(ت 70هـ/660م) [7] إلى ملكي عمان جيفر بن جليدي وعبد بن جليدي[8].

وكان لهذه الرسائل نتائجُها الكبيرة والهامة على صعيد الدعوة الإسلامية، إذ أعطت للإسلام هيبته، وأسهمت في الترويج للدين وزادت شعور المسلمين بقوتهم وقوة دينهم، وقناعتهم بأن هذا الدين يجب أن تكون له الغلبة والسيطرة على أرجاء الأرض، إضافة لدخول بعض مَن وصلتهم الكتب بالإسلام؛ الأمر الذي يدل على صحة هذا النهج من المكاتبات والرسائل، وسوف نورد نماذج من هذه الوفادات لنتمكن من دراستها فنياً.

أ-وفادة دحيه الكلبي على قيصر الروم.

---

(1) عبد الله بن حذافة السهمي (ت33هـ/653م) صحابي بعثه النبيρ إلى كسرى، شهد بدر، توفي أيام خلافة عثمان. ينظر: الأصفهاني ،الأغاني،366/6.

(2) عمرو بن أمية الضميري بن خويلد،(ت55هـ/675م) من الصحابة، مات في خلافة معاوية. ينظر: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 405/2.

(3) حاطب بن أبي بلتعةوهوعمرو بن عمير بن سلمة بن أبي بلتعة (ت30هـ/650م) صحابي، شهد الوقائع كلها،من أشد الرماة. ينظر: الزركلي،الأعلام 259/2.

(4) العلاء الحضرمي،هوالعلاء بن عبد الله الحضرمي (ت21هـ/420م) من رجال الفتوح، ولاه النبي ρالبحرين. ينظر: الزركلي،الأعلام245/4.

(5) سُليط بن عمر، (ت12هـ/633م)من المهاجرين الأولين، استشهد يوم اليمامة . ينظر: ابن سعد، الطبقات، 203/4.

(6) المهاجر المخزومي (ت125هـ/743م) والي اليمامة في خلافة هشام والوليد .ينظر: الأصفهاني،الأغاني، 93/8.

(7) عمر بن العاص السهمي الأموي القرشي(ت70هـ/660م)، من البلغاء، ولي مكة والمدينة لمعاوية. ينظر: الزركلي، الأعلام 78/5.

(8) ينظر:ابن هشام، السيرة النبوية، 254/4-255؛ محمود شاكر،التاريخ الإسلامي،1-318/2-319؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، 344/2.

بعث النبي ρ دحيه بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم، ويذكر أن النبي ρ في حديث يرويه أبو حاتم بن حَبَّان في صحيحه عن أنس بن مالك أنه قال:{من ينطلق بصحيفتي هذه إلى قيصر وله الجنة؟}[1] فقال رجل من القوم: وإن لم يقبل؟ قال: وإن لم يقبل [2]. فحمله دحيه الكلبي، وفيما يلي نص الصحيفة:

بسم الله الرحمن الرحيم:من محمد عبد الله ورسوله؛ إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتَّبع الهدى، أسلِم تَسْلَم، أسلِم يؤتيك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين[3]، قال تعالى ((قلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ) [4].

ويذكر أن القيصر كان حكيماً في التعامل مع الرسول والرسالة، ونهج منهج التعقل ومحاولة الاستكشاف، ومال إلى التعقل والحكمة، ولجأ لاستشارة الآخرين ليشيروا عليه، وطلب من الرسول الوافد الاستراحة في مقصورته لينظر في أمره، بعد أن وجه له بعض الأسئلة.

ومن غريب الصدف أن رافق وجود دحيه الكلبي عند القيصر وجود وفد من قريش في تجارة في بلاد الشام، ومنهم أبو سفيان بن حرب، وبعد تشاور هرقل مع حاشيته أجمعوا على أن يستوضحوا أمر سيدنا محمد ρ، فدعاهم القيصر إلى مجلسه وحوله عظام الروم[5]، ودعا أبا سفيان ليجيبه عن أسئلته حول هذا الدين وحول هذا الرجل، ودار بينهما حديث طويل أجاب فيه عن نسب سيدنا محمد ρ وحول أتباعه وأنهم من ضعفاء الناس، وأنهم في زيادة مستمرة، وسأله عن أخلاق سيدنا محمدρ قبل الدعوة، وسأله عن فحوى دعواه، فقال: إنه يدعو إلى التوحيد ويأمر بالصلاة والصدق والعفاف، ويدعو لترك عبادة الأصنام، وكان أبو سفيان قادراً على الجزم أن هذه المؤشرات ما كانت إلا لنبي مرسل، ولكن كبرياءه كان يحول دون ذلك، وبعد هذا الحوار قال القيصر:" يوشك هذا الرجل أن يملك موقع قَدَميَّ هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه أنه منكم فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه"[6].

---

(1) ابن حبان، الصحيح، حديث رقم4487، 16/7.

(2) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 121/1.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، 362/2. الأريسيين:اختلف في اللفظة صيغة ومعنى، قيل هم الخدم والخوّل، وقيل عبدة النار وقيل هم أتباع عبد الله بن أريس قتلوا نبيا بعثه الله إليهم فوقع عليهم غضب الله.ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، مادة :أرس، ج1.

(4) آل عمران 3/ 64.

(5) ابن سيد الناس، عيون الأثر،346/2.

(6) ابن سيد الناس،م.ن، 346/2؛ المباركفوري، الرحيق المختوم، ص399–400.

وقد قيل إن القيصر دخل في الإسلام، وقيل بل هَمَّ بالإسلام ولكنه لم يفعل [1] ومهما يكن من أمر فإن القيصر كان يرغب بإقامة علاقات تجارية في بلاد المشرق إلا أن الفرس كانت تقطع عليه الطريق، وقد أبلغ دحية برغبته تلك وأجازه بمال كثير وكسوة، وأرسل معه كتاباً يبين رغبته[2].

ومما يؤكد رغبة هرقل بدخول الإسلام ما أورده الطبري في كتابه تاريخ الملوك " بأن هرقلاً جمع بطارقة الروم، وأغلق عليهم الأبواب، وأشرف عليهم وقال: يا معشر الروم، إني قد جمعتكم لخير، إنه قد أتاني كتاب هذا الرجل يدعوني إلى دينه، وإنه والله للنبي الذي كنا ننتظره ونجده في كتبنا، فهلموا لنتَّبعه ونصدقه، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا، فرفضوا بغضب شديد، فقال: يا معشر الروم؛ إني قد قلت لكم المقالة التي قلت لأنظر كيف صلابتكم على دينكم، لهذا الأمر الذي حدث، وقد رأيت منكم الذي أُسَرُّ به، فوقعوا له سُجّدا "[3].

ويذكر أيضاً، أن هرقلاً قال لدحيه الكلبي:"ويحك! والله إني لأعلم أن صاحبك نبيٌ مرسل، وأنه الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا، ولكني أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لاتبعته"[4].

من خلال ما سبق نلمس حجم تأثير هذه السفارات الخارجية في نشر الدعوة الإسلامية بعد فتح مكة، حيث لاحظنا مدى تأثيرها على هرقل عظيم الروم إذ هم بدخول الإسلام ولم يمنعه غلا خشيته على ملكه، الامر الذي يؤكد بان الكتابيين كانوا يؤمنون برسالة سيدنا محمدρ.

- **وفادة عمرو بن أمية الضميري على النجاشي ملك الحبشة.**

يعتبر كتاب سيدنا محمد ρ لملك الحبشة من أهم الوفادات الخارجية، حيث توجه عمرو بن أمية الضميري إلى الحبشة سفيراً لسيد البشرية، يحمل كتاباً جاء فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، سَلِمٌ أنتَ؛ فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه ونفحه، كما خلق بروحه ونفحه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله" فكتب النجاشي إلى رسول **الله** ρ" بسم الله الرحمن الرحيم: إلى محمد رسول الله، من النجاشي الأصحم بن أبجر، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، الله الذي لا إله إلا هو الذي

---

(1) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 121/1 .

(2) المباركفوري، م.س، 399-400

(3) الطبري، تاريخ الطبري، 130/2 .

(4) الطبري، م.ن، 131/2.

هداني إلى الإسلام أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فوربّ السماء والأرض، إنّ عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثُفروقا [1] إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بُعِثْتَ به إلينا...، وقد بعثت لك بابني أرها بن الأصحم بن أبجر فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق، والسلام عليك يا رسول الله" [2] وذكر أن النجاشي بعث ابنه في ستين راكباً من الحبشة بسفينة فغرقت بهم[3].

المبحث الثالث: الوفادة زمن الخلفاء الراشدين أنماط وأشكال.

بعد انتقال الرسول الأعظم ρ إلى الرفيق الأعلى وتسمية أبي بكر الصديق τ خليفة للمسلمين؛ واجهت الدولة الإسلامية الناشئة ظروفاً سياسية جديدة، تمثلت بحركات الرِدّة التي كانت قد ظهرت بوادرها قبيل وفاة الرسول الكريم، واندلعت بشدة وعنف بعد وفاته، وكان التصدي لهذه الحركات من أولى أولويات الخليفة، ومن ثم الانطلاق بعمليات التحرير والفتح وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية، وبرزت الحاجة إلى وجود تنظيمات إدارية واقتصادية واجتماعية جديدة ومحكمة، الأمر الذي دعا إلى ضرورة الاتصال بالخليفة والقادة والأقاليم، وبرزت الحاجة إلى متابعة الخليفة لأمور البلاد المفتوحة وعمل الولاة وغيرهم، ولم يتأتَّ ذلك إلا من خلال وفادات من والى الخليفة لإطلاعه على أحوال الدولة، وإصدار التعليمات للعمل، وترتيب أمور الرعية، ومنها ما كان يحمل أبعاداً سياسية، وأخرى تحمل أبعاداً اجتماعية، فضلاً عن أبعادها الدينية والشخصية أحياناً، ومن أهم أشكال تلك الوفادات:

1. وفادات للتخلص من الالتزام تجاه الدولة والعودة لما كان قبل الإسلام:

فبعد وفاته ρ ارتدت بعض قبائل العرب عن الإسلام، واتّبعت مُدَّعي النبوة، أمثال طُلَيْحة الأسدي(ت21هـ/642م) [4]، ومُسَيْلمة الكذاب(ت12هـ/ 633م) [5] وغيرهما، ومن أهم الوفادات على التي كانت على هذه الخلفية، تلك التي مثلت القبائل التي ارتدت مع طليحة الأسدي، والتي

---

(1) ثُفروقاً: ما يلزق به القمع من التمر، ابن منظور، لسان العرب.

(2) الطبري، تاريخ الطبري،131/2–132؛ المباركفوري، عيون الأثر 349/2 .

(3) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 436/2.

(4) طليحة بن خويلد الأسدي(ت21هـ/642م) طليحة الكذاب، ادعى النبوة قتله خالد بن الوليد. ينظر: المبرد،الكامل في اللغة والأدب 484/1.

(5) مسيلمة الكذاب ابن ثمامة الوائلي، (ت12هـ/ 633م) ادعى النبوة، ارتدت معه قبائل من العرب، قتله خالد بن الوليد سنة 12هـ .ينظر: الزركلي،الأعلام،226/7.

ضمت فضلاً عن بني أسد حلفاءها من طيء وغطفان وغيرهما[1]، وكانت وفادتهم بعد عشرة أيام من وفاة الرسول الأعظم ρ وكانت مطالبهم من أبي بكر الصديق τ أن يعفيهم من أداء الزكاة مقابل استمرارهم على أداء الصلاة، إلا أن الخليفة رفض هذا بحزم وقال:" والله لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه"[2] وأجلهم يوماً وليلة لإعلان خضوعهم الكامل للدولة.

يبدو أن هذا اللون من الوفود، وهذا العرض الذي تقدم به الوفد كان يهدف إلى التخلص من التزاماتهم تجاه الدولة، لأن إسلامهم لم يكن حقيقياً، ولقد نبهت هذه الوفادة الخليفة أبا بكر إلى الخطر المحدق، لأن مثل هذه الوفود سوف تبلغ قبائلها بقلة عدد قوات المسلمين في المدينة، وسوف يحرضون قبائلهم على غزو المدينة المنورة مركز الدولة وعاصمة الخلافة، لذلك شرع أبو بكر الصديق وفور مغادرة وفود المرتدين إلى تشديد الحراسة على المدينة المنورة، والاستعداد للدفاع عنها حتى تعود جيوش المسلمين –جيش أسامة– من مهمته [3]، كما دعا أهل المدينة لاجتماع في المسجد وقال لهم:" إن الأرض كافرة، وقد رأى وفدهم منكم قِلة، وإنكم لا تدرون أليلاً تُؤْتَوْنَ أم نهاراً، وأدناهم منكم على بريد، وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا عليهم، ونبذنا إليهم عهدهم، فاستعدوا وأعدوا "[4].

ومن الوفادات التي قدمت على أبي بكر الصديق τ وفد أهل اليمامة، بعد إيقاع خالد بهم وقتله مسيلمة الكذاب، حيث قال لهم أبو بكر ما كان يقول صاحبكم؟ فقالوا: اعفنا يا خليفة رسول الله، قال: لا بد أن تقولوا، فقالوا له شيئاً مما كان يقول مسيلمة الكذاب، فقال لهم أبو بكر τ، ويحكم! فأين ذهب بكم؟[5].

2. وفادات بهدف طلب النصرة العسكرية.

تعد وفادة المثنى بن حارثة الشيباني(ت14هـ/645م) [6] على الخليفة أبي بكر الصديقτ، من الوفادات التي شجعت الخليفة على توجيه جيش من المسلمين بقيادة خالد بن الوليد إلى العراق، وبدء عمليات تحريره، وكان ذلك عندما قدم المثنى وطلب من الخليفة أن يبعثه على قومه ليقاتل بهم أهل

(1) الطبري، تاريخ الطبري، 257/3.

(2) ينظر: الطبري، تاريخ الطبري،3/ 244–258؛ الملاح، الوسيط في السيرة، 344.

(3) الطبري، م.س،245/3.

(4) ينظر: الطبري، م. س،245/3؛ ابن الأثير، الكامل، 232/2؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 470/2.

(5) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 309/1.

(6) المثنى بن حارثة بن سلمة الشيباني الوائلي (ت14هـ،645م) صحابي من كبار القادة الفاتحين، أسلم في 9هـ .ينظر:الأعلام،276/5.

فارس، وليكفي المسلمين أهل ناحيته، فكان له ذلك من الخليفة، حيث قاتل وانحاز على ارض السواد، ثم أوفد أخاه مسعود بن حارثة مرة أخرى إلى أبي بكر الصديق τ فقدم عليه وقال:"يا خليفة رسول الله؛ إني رسول أخي المثنى إليك، وإنه يسألك أن تمده، فإنه لم يأته من قِبَلَك مدد، فلو أتاه مدد وسمعت بذلك العرب تسارعوا إليه ولأذلَّ الله المشركين، مع أني أخبرك أيها الصديق أن الأعاجم خافتنا وتتابعت إلينا كتبهم يسألوننا الصلح، فأرسل خالد بن الوليدτ على رأس جيش كبير[1] .

نجد أن الوافد هنا كان يقدر ويدرك الدور الذي يمكنه القيام به، فهو يلجأ للخليفة بطلب الإذن والبدء بعمليات التحرير ونشر الدعوة ، وما كان من الخليفة إلا الموافقة ليقينه التام أن الوافد أكثر دراية بأحوال بلده وقومه، وفي الوفادة الثانية وجدنا الخليفة قد مده بجيش بقيادة خالد بن الوليدτ .

3. وفادات على الخلفاء تحمل بشائر النصر:

أما الوفادات في عهد الخليفة عمر بن الخطاب τ، فهي كثيرة وذات أغراض متعددة، نظراً لطبيعة عهده وما تحقق به من إنجازات عسكرية واقتصادية واجتماعية، فقد مَثَّلَتِ الوفاداتُ وسيلةَ اتصالٍ بين الخليفة وقادته العسكريين في مختلف جبهات القتال، فعن طريق الوفادات حُمِلَتْ بشائر الانتصارات إلى الخليفة عمر بن الخطابτ، فعندما انتصر المسلمون على الروم في معركة اليرموك، أرسل القائد أبو عبيدة عامر بن الجراح وفداً ليبشر الخليفة بأنباء الانتصارات، وكان على رأس هذا الوفد حُذَيْفةُ بن اليمان (ت36هـ/656م) [2] حيث كانت الوفود تُجْزى، وتُقْضى لهم الحوائج والمطالب، لِسُنَّةٍ جرت بذلك من رسول الله ρ[3].

وعندما فُتِحَتْ القادسية على يد سعد بن أبي وقاص(ت 55هـ/675م) [4]، أبلى فيها عمرو بن معد يكرب الزبيدي بلاءً حسناً فأوفده سعد على عمر بن الخطابτ، وكتب إليه معه بالفتح، وأثنى عليه في الكتاب، فلما قدم على عمر بن الخطاب سأله عن سعد فقال:" هو لهم كالأب، أعرابي في غرته، أسدٌ في تامورته، نبطي في جبايته، يقسم بالسوية، ويعدل في القضية، ويُنقلُ في السرية، وينقل إلينا حقنا نقل الذرة " فسأله عن الحرب، فقال:" مُرَّة المذاق، إذا قَلَّصتْ عن الساق، مَن صبر

---

(1) ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص242؛ محمد بن عبد الله الأزدي، تاريخ فتوح الشام، ص53-54.

(2) حذيفة بن اليمان (ت36هـ/656م)صحابي من الفاتحين، وهو صاحب سر النبي،ولاه عمر المدائن .ينظر: الزركلي،الاعلام171/2.

(3) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2/ 102؛ الطبري، تاريخ الطبري،551/2.

(4) سعد بن أبي وقاص (ت55هـ/ 675م) صحابي جليل، فاتح العراق ومدائن كسرى،من المبشرين بالجنة.ينظر: الأصفهاني،الأغاني 147/7.

فيها عُرِف، ومن ضعف عنها تلف"[1] فقال عمر:" لَشَدَّ ما تقارضتما الثناء"[2] وكان عمر قد كتب إلى سعد يوم القادسية أن يعطي الناس على قدر ما معهم من القرآن الكريم، فقال سعد لعمرو بن معد يكرب:" ما معك من القرآن؟" قال: "ما معي شيء "فقال سعد: لقد طلب مني أمير المؤمنين أن أُعطي الناس على قدر حفظهم من القرآن الكريم، فقال عمرو:

- البسيط-

إذا قُتِلنـــا لا يبكي لنـــا أحـــدٌ قالت قريْشُ ألا تلك المقاديرُ

نُعْطى السوية من طعنٍ له نَفَذٌ ولا سَوِيَّةَ إذ تُعْطى الدنانيرُ

فكتب سعد بأبياته إلى عمر، فكتب إليه أن يعطى على مقامته في الحرب[3].

بكل تأكيد كانت الوفادات السفارات الحقيقية بين القادة في الميدان ورأس الهرم ممثلاً بالخليفة ، فالقائد العسكري ينقل الأخبار بالتوالي للخليفة ، والخليفة بدوره يجد من هذا التواصل فرصة سانحة للاطمئنان على عمل قادته مع الجيش والشعوب في البلاد المفتوحة على حد سواء.

4. وفادات لعرض المشكلات الاقتصادية والمطالبة بحلها:

تميز عهد عمر بن الخطاب τ عن باقي العهود بما كان فيه من العدل، وإقامة دعائم الدولة الإسلامية على أسس من المساواة، وشهدت دار خلافته الكثير من الوفادات ولأغراض مختلفة، وكان ممن قدم عليه أهل البصرة وأهل الكوفة، فمثلوا بين يديه وتكلم كل في حاجته، وحاجة قومه، وكان من بينهم الأحنف بن قيس(ت 72هـ/691م) [4] الذي قال:" إنَّ مفاتيح الخير بيد الله، وقد أتتك وفود العراق، وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأمم الخالية، والملوك الجبابرة، ومنازل كسرى وقيصر وبني الأصفر، فهم من المياه العذبة والجنان الخصبة، في مثل حِولاء[5] السلي، وحدقة البعير تأتيهم ثمارهم غضة لم تخصر؛ وإنا نزلنا أرضاً نشاشة[6] طرفٌ في في فلاة وطرف في ملح أجاج[7] جانب منها منابت القصب، وجانب سبخة نشاشة [8]، لا يجف

(1) المسعودي، مروج الذهب 1-2/290،288 ؛ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 1/373-374.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد،1/309 ؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 11-12/74-75.

(3) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 1/309.

(4) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين (ت72هـ/691م) أبو بحر، سيد تميم، أخباره كثيرة جداً. ينظر: المبرد، الكامل في اللغة والأدب،1/51 ؛ الأصفهاني،الأغاني، 8/394 .

(5) الحولاء:غلاف اخضر مملوء ماء، السلى: الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد، ابن منظور، لسان العرب.

(6) نشاشة: أي نزارة تنزر الماء، ابن منظور، م. ن، مادة: نشَّ.

(7) أجاج: مر، ابن منظور، م.ن، مادة: أجج .

(8) سبخة نشاشة: أرض ذات ملح، ابن منظور،م.ن.

ترابها، ولا ينبت مرعاها، تأتينا منافعها في مثل مريء النعامة، يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب الماء من فرسخين، وتخرج المرأة بمثل ذلك تُرِّنق [1] ولدها ترنقَ العنز، تخاف عليه العدو والسبع، فإلا ترفع خسيستنا[2]، وتنعش ركيستنا[3]، وتجبر فاقتنا[4]، وتزيد في عيالنا عيالاً، وفي رجالنا رجالاً، وتُصَفِّرَ درهمنا، وتُكَبِّرَ قفيزنا[5]، وتأمر لنا بحفر نهر نستعذب به الماء هلكنا " فقال عمرτ:"هذا والله السيد! هذا والله السيد"[6] !فقال الأحنف: فما زلت أسمعها بعدها.

فأراد زيد بن جبلة أن يضع منه، فقال:" يا أمير المؤمنين، إنه ليس هناك، وأمه باهلية، فقال عمر:" هو خير منك إن كان صادقاً، إن كانت له نية". فقال الأحنف شعراً:

– وافر–

أنـــا ابنُ الباهليـــةِ أَرضَعَتْنـــي بثدي لا أجَـــدَّ ولا وخيـــمِ
أغضُّ على القذى أجفـــانَ عينِي إذا شرَّ السفيهُ إلى الحليمِ[7]

فرجع الوفد وبقي الأحنف حولاً وأشهراً[8] ثم قال عمر τ: إن رسول الله ρ حذرنا كل منافق صَنِع اللسان، وإني خفتك فاحتبستك، فلم يبلغني عنك إلا خير، فارجع إلى منزلك واتق الله ربك، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن يحتفر لهم نهراً[9].

5. وفادات بهدف اطلاع الخليفة على أحوال الرعية.

وعن طريق الوفادات كان الخليفة يَطّلعُ على أحوال الأقاليم وعملِ الولاة، ويتحقق من الشكاوي التي ترفع له من رعايا الدولة الإسلامية، ومن هذه الوفادات، تلك التي أرسلها أمير البصرة عتبة ابن_غزوان(ت17هـ/638م) [10] على الخليفة عمر بن الخطاب τ بناءً على طلبه للتأكد من نفور أهل الذمة وشكواهم من الظلم الذي لحق بهم، وضم هذا الوفد عشرة من صلحاء جند البصرة

---

(1) ترنق:الماء القليل، ابن منظور،م. ن، مادة: رنق.
(2) خسيستنا:حالنا، ابن منظور، م. ن، مادة: خسس.
(3) ركيستنا:ضعفنا، ابن منظور، م. ن، مادة: ركس.
(4) تجبر فاقتنا: فقرنا ابن منظور، م. ن، .
(5) تكبر قفيزنا:كناية عن حجم العطاء المطلوب.
(6) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 307/1.
(7) ابن عبد ربه، م.ن ، 308/1.
(8) ابن سعد، الطبقات، 97/7.
(9) البلاذري، الفتوح، 350–351.
(10) عتبة بن غزوان بن جابر المازني (ت17هـ/638م)هاجر للحبشة، شهد بدراً واحد، ولي البصرة في عهد عمر ينظر: الزركلي،الأعلام،201/4.

وفيهم الأحنف بن قيس، فسأل عمر τ الأحنف بن قيس لثقته وصدقه عن ذلك، فنفى الأحنف أن يكون قد لحق أهل الذمة شيء من ذلك، وصدقه الخليفة[1].

كما أن عمر بن الخطاب τ كان يسأل الوافدين عليه عن عماله وأعمالهم، ومن أمثلة ذلك عندما أوفد سعد بن أبي وقاص عمرو بن معد يكرب مبشراً بفتح القادسية، فوجدها الخليفة فرصةً سانحةً للاطلاع على كيفية عمل قائده، فقبل أن يسأله عن أحوال البلاد المفتوحة وأحوال الجند، سأله عن سعد وتعامله مع الجند والرعية[2].

كما أن الخليفة كان ومن خلال الوافدين عليه يستطلع ويستمزج الآراء عن البلاد المنوي فتحها، فكان يجمع الأخبار عن الأمصار والأقاليم، ويلتقي كبار دولته ويشاورهم في الأمر، ثم يباشر بما ينوي عليه.

ومن الأمثلة على ذلك ما كان زمن الخليفة عثمان τ، حيث وفد عليه حكيم بن جبلة العبدي(ت36هـ/656م) [3]، مرسلاً من طرف عبد الله بن عامر(ت 59هـ/679) [4] والي البصرة، البصرة، فسأله الخليفة عن طبيعة بلاد ثغر الهند، حيث كان τ عازماً على فتحها، ولكن الوافد أخبره بحجم المشقة والخطر بسبب طبيعة البلاد، الأمر الذي دفع الخليفة للعدول عما كان عازماً عليه[5].

وعن طريق الوفادات تدارس الخليفة عثمان بن عفان τ الموقف من الشكاوى التي كانت تصله، والتي أحس الخليفة بخطورتها، لذلك استقدم بعض عماله على الأمصار إلى المدينة، فحضر كل من معاوية بن أبي سفيان عن الشام، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح(ت 37هـ/657م) [6] عن مصر، وسعيد بن العاص عن الكوفة(ت59هـ/679م) [7]، وعبد الله بن عامر عن البصرة، وعرض عليهم

---

(1) الطبري، تاريخ الطبري، 78/4؛ إحسان النص، الخطابة العربية، ص 374.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 109/1.

(3) حكيم بن جبلة العبدي من بني عبد القيس، (ت 36هـ/656م) كان شريفاً مطاعاً، ولي في عهد عثمان τ السند، .ينظر: الزركلي،الأعلام 268/2.

(4) عبد الله بن عامر، وهو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن قصي القرشي (ت59هـ/ 679م) ولي البصرة لعثمان، مات بمكة. ينظر: الأصفهاني،الأغاني، 385/11.

(5) الطبري، تاريخ الطبري ، 333/4–334؛ الملاح، الوسيط في السيرة، ص422.

(6) عبد الله بن أبي السرح(ت37هـ/657م) فاتح إفريقيا، فارس بني عامر، من كتاب الوحي.ينظر: الأصفهاني،الأغاني، 288/16.

(7) سعيد بن العاص،(ت 59هـ/ 679م) صحابي، من الفاتحين،ولاه عثمان الكوفة ومعاوية ولاه المدينة. ينظر :الزركلي،الأعلام 189/8.

عليهم ما يصله من شكاوى الناس ومطالبتهم إياه بعزل بعض عماله، وتبديل سياسته العامة، وبعد أن عرض كل منهم رأيه، قرر الخليفة أن يسلك طريق اللين والمؤاناة والمتابعة[1].

6. وفادات على الخليفة للبت في القضايا القبلية:

تعددت وفادات الأحنف بن قيس– وافد تميم– على عمر بن الخطاب τ وكان في كل وفاداته يتحدث عن الحالة العامة للقبيلة، باحثاً عن الأفضل لأهله وجماعته، ولكن وفادته هذه المرة تحمل بعداً جديداً ودواعيَ مختلفة، فهي وفادة على الخليفة للتحكيم بين الأحنف وبين زعيم آخر في القبيلة، هو عمرو بن الأهتم (ت57هـ/677م) [2]، على رياسة القبيلة، واجتمعا لدى الخليفة ليتناظرا فقال الأحنف:

– طويل–

ثوى قدحٌ عن قومهِ طالما ثوى فلما أتاهم قال: قوموا تناجزوا

فقال ابن الأهتم: إنّا كنا وأنتم في دار جاهلية، فكان الفضل فيها لمن جَهِلْ، فسفكنا دماءكم، وسبينا نساءكم، وإنّا اليوم في دار الإسلام، والفضل فيها لمن حلم فغفر الله لنا ذلك. وتَغَلَّبَ يومها ابن الأهتم على الأحنف، ووقعت القرعة للأهتم فقال:

– الطويل–

لمـــا دعتنـــي للرياســـةِ مِنْقـــرٌ لدى مجلسٍ أضحى به النجم باديـــا
شَدَدْتُ لها أزري وقد كنت قبلها لأمثالِهـــا ممّـــا أشُـــــدُ إزاريـــــا[3]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن عمروَ بن الأهتم هو الذي تكلم بين يدي رسول الله ρ، وسأله عن الزبرقان بن بدر حيث قال:" مُطاع في أدْنَيه شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره " فقال الزبرقان:" والله يا رسول الله؛ ليعلم مني أكثر مما قال؛ ولكنه حسدني. فقال:" والله يا رسول الله إنه لزمر المروءة، ضيق العطن...، والله ما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الأخرى؛ رضيت عن ابن

(1) الطبري، تاريخ الطبري، 334/4؛ الملاح،الوسيط في السيرة، ص422.

(2) عمرو بن الأهتم التميمي المنقري(57هـ/677م) من شعراء وخطباء الجاهلية والإسلام، من أهل نجد. ينظر: الزركلي،الأعلام، 87/5.

(3) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 307/1.

عمي فقلت أحسن ما علمت، وسخطت عليه فقلت أقبح ما علمت، فقال ρ:" إن من البيان لسحراً وإنَّ من الشعر لحكمة"[1].

من الملاحظ من خلال هذه الوفادة، أن رياسة القبائل، والتنافس عليها أصبحت عملاً تتدخل فيه الدولة، لأن القيادة يجب أن تكون ضمن حدود ومنطلقات يحددها الخليفة، ولأن الاحتكام أصبح اليوم للدين والشريعة، ولم يبق للعصبيات القبلية إلا القليل، وعلى شكل روابط عائلية وتحالفات لا تتعارض وأمور الدين وتعليمات الشرع وأوامر الخليفة.

7. وفادات لحمل وجهات النظر المختلفة.

أما الوفادات في زمن الخليفة علي بن أبي طالب τ فقد تميزت عن سابقاتها بحمل وجهات النظر بينه وبين الخارجين على سلطته، فكانت الوفود تُسْفَر بينه وبين معاوية لنقل وجهات نظر الطرفين[2] فقد بعث الخليفة علي بن أبي طالب τ عند منصرفه من البصرة إلى الكوفة وفراغه من الجمل، جرير بن عبد الله البجلي(ت،110هـ/728م) [3]، رسولاً إلى معاوية، وكتب كتاباً يعلمه فيه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ولكن معاوية أرسل في طلب عمرو بن العاص واستشاره في ذلك، فأشار عليه بجمع وجهاء الشام ومشاورتهم بالأمر، واتفقوا على إلزام الخليفة بدم عثمان، وبناء عليه تم رفض طلب علي τ [4].

وقد أرسل علي τ وفداً آخر لمعاوية يضم سعيد بن قيس الهمداني(ت50هـ/670م) [5]، وشبث بن ربعي التميمي (ت70هـ/690م) [6] وغيرهما، وقال لهما:" ائتوا هذا فادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة " فقال شبث بن ربعي:" يا أمير المؤمنين؛ لا تطمعه في سلطان تُوليه إياه، ومنزلة يكون له بها أُثْرة عندك إن هو بايعك " فقال عليτ:" إئتوه فالقوه واحتجوا عليه، وانظروا ما رأيه".

فأتوه ودخلوا عليه وتحدث بشير بن عمر وقال:" يا معاوية؛ إن الدنيا عنك زائلة، وإنك راجع إلى الآخرة، وأن الله عز وجل محاسبك بعملك، وجازيك بما قدمت يداك، وإني أنشدك الله أن لا تفرق جماعة هذه الأمة، وأن لا تسفك دماءها بينها، فقطع عليه الكلام وقال:"هلا أوصيت بذلك صاحبك ؟" فقال أبو عمرة:" إن صاحبي ليس مثلك، صاحبي أحق البرية كلها بهذا الأمر في الفضل والدين

---

(1) ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، 308/1؛ القيرواني، زهر الآداب، 1/ 38؛ ابن سعد، الطبقات،38/7.

(2) الطبري، تاريخ الطبري، 70/3.

(3) جرير البجلي (ت،110هـ/ 728م) من أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة.ينظر: الزركلي،الأعلام، 119/2.

(4) المسعودي، مروج الذهب، 1-331/2، ابن أبي الحديد، شرح تهج البلاغة،46/4/3-47.

(5) سعيد بن قيس الهمداني (50هـ/670م) من الدهاة، عالم، حج سبعين سنة.ينظر: الزركلي، الأعلام،100/3.

(6) شبث بن ربعي، أبو عبد القدوس الكوفي (ت70هـ/690م) شيخ مضر وأهل الكوفة . ينظر: الزركلي،الأعلام،154/3.

والسابقة في الإسلام، والقرابة من الرسول ρ، قال وماذا يقول ؟ قال:" يأمرك بتقوى الله عز وجل، وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق، فإنه أسلم لك في الدنيا وخير لك في عاقبة أمرك". فقال معاوية:" ونُطلّ دم عثمان τ! لا والله لا أفعل ذلك أبداً " فبادر شبث بن ربعي وقال:" يا معاوية، إني قد فهمت ما رددت على ابن محصن، إنه والله لا يخفى علينا ما تغزوا وما تطلب، إنك لا تجد شيئاً تستغوي به الناس، وتستميل به أهواءهم، وتستخلص به طاعتهم، إلا قولك " قُتِلَ إمامكم مظلوماً، فنحن نطلب بدمه" فاستجاب لك سفهاء طغام، وقد نعلم أن قد أبطأت عنه بالنصر، وأحببت له القتل..." فرد عليهم معاوية رداً قاسياً وطردهم من حضرته، قائلاً أن ليس بيني وبينكم إلا السيف[1].

وفيما ذكر أنَّ المغيرة بن شعبة وفد على علي بن أبي طالب τ وقال:" إن لك حق الطاعة والنصيحة، وإن الرأي اليوم تحوز به في غد، وإنَّ المُضاع اليوم تضيع به ما في غد، أقرر_معاوية على عمله، وأقرر ابن عامر على عمله، وأقرر العمال على أعمالهم، حتى إذا أتتك طاعتهم وطاعة الجنود، استبدلت أو تركت، وإن أردت أن يستقيم أمر ما أنت فيه؛ فاستعمل طلحة بن عبيد الله(ت،36هـ/606م) [2] على الكوفة والزبير بن العوام (ت 36هـ/656م) [3] على البصرة، فرد عليه τ قائلاً:" أما طلحة والزبير، فسأرى رأيي فيهما، وأما معاوية فلا والله لا يراني الله أستعين به ما دام على حاله أبداً، ولكني أدعوه إلى ما عرفته، فإن أجاب، وإلا حاكمته إلى الله" [4] فانصرف المغيرة مغضباً وقال:

- الطويل-

نصحتُ عليــاً في ابن هنــدٍ فرُدَّتْ فلا يسمع لها الدهر ثانية
وقُلْتُ له: أرســل إليه بعهده على الشام حتى يَسْتَقِرَّ معــاوية
ويعلَمُ أهلُ الشام أنْ قد ملّكْتَهُ وأُم ابن هندٍ عنــد ذلك هــاوية
فلم يقبــل النصح إذ جئته به وكانت له تلك النصيحة كافية[5]

من خلال ما سبق نلاحظ أن الصراع بين علي ومعاوية كان صراعاً على المبادئ المثالية والنفعية المادية، وكان صراعاً بين الخلافة الدينية، والدولة الدنيوية، وكان علي يمثل الجانب الأول وخلائق الهاشميين، ومعاوية يمثل الجانب الثاني وخلائق الأمويين، والفرق بين الأمرين واضح غاية الوضوح فالخلافة لا تعرف إلا الدين وحدوده، والحق وحده طريقه، والصالح العام ورعايته،

---

(1) الطبري ، تاريخ الطبري، 77/3 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،599/2.

(2) طلحة بن عبيد الله التميمي،(ت36هـ/ 656م) صحابي شجاع من الأجواد. ينظر: الزركلي، الأعلام، 229/3.

(3) الزبير بن العوام، أبو عبد الله (ت36هـ،656م) ، من المبشرين بالجنة، أول من سل سيف في الإسلام،الأغاني196/20.

(4) المسعودي، مروج الذهب،1-316/2.

(5) المسعودي، م. ن، 1-332/2.

والله ورسوله واليوم الآخر، وسبيلها إلى ذلك كله الشرف والوسيلة والاستقامة والجد والصراحة والصدق، أما الدولة الدنيوية، فتعرف أشياء كثيرة، وسبلاً مختلفة من مظاهر الجاه والسلطان، وتقريب القرابة، وتحزيب الأحزاب، واستغلال النفوذ وجلب المنافع، لذلك نجد معاوية لم يتعفف في سبيل تحقيق مآربه عن استخدام وسائل السياسة والدهاء والكيد، التي لا يقيدها وازع من خلق أو دين، ونظر نظرة رجل يطلب الملك، فاستغل مقتل عثمانτ، وادعى على عليτ ما ادعى، وهو يعلم أنه محض افتراء، واختار رجالا دهاة رشاهم بالمال والإمارات والجاه والوعود، واستخدمهم فيما أراد، فأعطى عمرو بن العاص(ت43هـ/664م) [1] مصر طُعْمةً له طول حياته، فحارب معه في صفين، وكان في الملمات ركنه الركين، واستلحق زياداً بنسبه؛ فانتفع بمواهبه الفذة، وأطعم المغيرة بن شعبة الكوفة، فجلب ولاية العهد لابنه اليزيد[2].

المبحث الرابع: الخصائص الفنية لأدب الوفادات في صدر الإسلام.

الخطابة والشعر من الفنون الجاهلية التي زادها الإسلام رونقاً وبلاغة وارتقاءً، ولكن الخطابة سبقت الشعر في الارتقاء، وذلك لحاجة المسلمين لها في الفتوحات والغزوات، والعرب يومئذ على بداوتهم، تتأثر نفوسهم بالتصورات الشعرية، سواء سُبِكت في قالب الخطابة أو الشعر، وقد كانت الخطابة أقرب تناولاً، ولم يرد في القرآن الكريم ما ينفر الناس منها كما ورد في الشعر والشعراء، فكما كان الشاعر في الجاهلية مقدماً على الخطيب أحياناً؛ لفرط حاجتهم للشعر الذي يقيد مآثرهم ويفخم شأنهم، ويهول على عدوهم ويهيب بفرسانهم، أصبح الخطيب في الإسلام مقدما على الشاعر لفرط حاجتهم للخطابة[3].

ولا يعني ذلك أن الجاهلية قد خلت من الخطابة، أو الإسلام خلا من الشعر، ولكن الحاجة تغيرت، وبقدوم الإسلام ونزول القرآن الكريم ارتقى فن الخطابة وازداد بلاغة وحكمة، وأصبحت هناك خطابة إسلامية في ظل ظروف انفتاحية، وأغراض متعددة سمحت بتطور الخطابة في أشكالها المتعددة[4].

---

(1) عمرو بن العاص (ت43هـ/664م) فاتح مصر، من العظماء الدهاة. ينظر: الزركلي،الأعلام،79/5؛ المبرد، الكامل في اللغة والأدب 49/1.

(2) ينظر: محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، 14/2–15؛ جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، 61/1؛52/4.

(3) الجاحظ، البيان والتبيين، 98/2؛ محمد طاهر درويش،م.س، ص 115.

(4) ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، 98/2؛ محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام،ص 116؛ جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، 726/3–1؛ حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص338.

بمجيء الإسلام وانتشاره تعرضت الخطابة إلى مؤثرات متعددة مثل نواحي الحياة الأخرى، وأصبح التطور فيها أوسع مجالاً من الشعر، والذي يؤكد ذلك محاولة الشعراء مجارا ة أسلوب الخطابة في أشعارهم، بالإضافة إلى أن الشعر ظل يحتفظ بالكثير من الطوابع الجاهلية ولا سيما في الأسلوب[1].

أما مجالات التأثير في الخطابة فإنها تتمثل في ظروف جديدة وألوان جديدة، فالإسلام حارب الروح الجاهلية، ولكنه لم يُنْهِها، فاستمرت المفاخرات خاصة في أدب الوفود، ومن أمثلة ذلك مفاخرة بني تميم للرسول ρ حين قدم وفدها عليه[2].

أما فيما يتعلق بخطابة الوفود فإننا نجد أن المناسبات الداعية إليها قد كثرت وتعددت، ضمن الأغراض التي تحدثنا عنها وأوردناها سابقاً، وإذا كانت الخطابة قد تأثرت بشكل عام في العهد الجديد، فإن خطابة الوفود قد تأثرت بشكل أوضح، وعلى وجه التحديد هنا سنورد مجالات هذا التأثر ضمن الخصائص الفنية لأدب الوفود.

أولاً: من حيث الألفاظ والتراكيب.

إنَّ من أبرز ما طرأ على الخطابة بشكل عام وخطابة الوفادة بشكل خاص، التأثر بالإسلام، حيث وجدنا الطابع الإسلامي فيها قوياً وواضحاً، فمنذ أن نزل القرآن، وأعجز ت بلاغته العرب، أصبح معيناً للأدباء ينهلون منه ويقتبسون، ويسعون إلى محاكاة أسلوبه، ونجد هذا الأثر جلياً في النثر أكثر منه في الشعر، وإن ظلت بعض الخطب تحتفظ ببعض طوابعها الجاهلية، إلا أن هذا الاحتفاظ بدأ يتلاشى تدريجياً، مع انتشار الإسلام وتغلغله في النفوس، واستحكامه في القلوب[3].

ويتجلى في جانب المضمون والمعنى، الوضوح والجلاء، والصحة والدقة، والقرب والقوة، والابتكار والجدة، والاتساع والإحاطة، والعمق في الترتيب، مستمداً في هذا من القرآن الكريم والحديث الشريف، فقد جاءت الألفاظ وفقاً للمعنى المنشود، وطبقاً للهدف المقصود، ومن أمثلة ذلك خطبة عطارد بن حاجب – وفد تميم– بين يدي رسول الله ρ، والرد عليه من خطيب المسلمين ثابت بن قيس حيث قال:" الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه...، فكان خير الله في العالمين،فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه...،" [4].

---

(1) إحسان النص، الخطابة العربية، ص29.

(2) الطبري، تاريخ الطبري، 378/2، إحسان النص،الخطابة الغربية ، ص33.

(3) الجاحظ، البيان والتبيين، 236/2؛ إحسان النص، م.س،ص41.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، 208/4؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد،512/3.

نلاحظ قصر الفقرات، وجزالة اللفظ وفصاحة العبارة، وكان خطباءُ الوفود يجرون على الفطرة ويبتعدون عن تزويق الكلام، وأصبح من تقاليد الخطبة الاستهلال بحمد الله، حتى تلك التي كان قائلها غير مسلم، ومن أمثلة ذلك قول عطارد بن حاجب " الحمد لله الذي جعلنا ملوكاً"[1].

ونجد أيضاً في خطابة الوفادات من حيث الألفاظ والتراكيب الوضوح والجلاء والصحة والدقة والقوة والابتكار والجدة، والفصاحة الفطرية، والمجال الفكري الواسع والتأمل والنظر، لقد جاءت الألفاظ وفقاً للمعنى المنشود، والتزام التعبير الفصيح في اللفظ المنتخب، ونجد أيضاً أثراً للحوار والجدل، وإيراد الحجج وسوق الأدلة، والهدف الأساسي هو وضوح الأفكار[2].

وكان النبي ρ يحث بشكل واضح على اختيار الألفاظ والجمل بحيث تكون حسنة الموقع وقوية الأداء، ولهذا يقول الجاحظ" إن النبي ρ استعمل المبسوط في موقع البسط، والمقصور في موقع القصر، وهجر الغريب والوحشي، ورغب عن الهجين السوقي"[3].

أما على صعيد الشعر، فالأمر يختلف تماماً، فقد ظل الطابع الجاهلي سائداً عند بعض الشعراء، بالتزام نمط القصيدة التقليدية القديمة، وأمثلة ذلك كثيرة؛ منها وفادة الشاعر كعب بن زهير على النبي ρ حيث ظل طابع الفخر موجوداً في القصيدة،رغم أنها قيلت أمام النبي العظيم، بقوله:

- البسيط-

مِنْ ضَيْغَمٍ بِضِراءِ الأرضِ مُخْدَرَهُ في بَطْنِ عَثَّر غيلٌ دونَهُ غيلُ[4]

مِنْــهُ تَظَــلُ سِبــاعُ الجو نافــرةً ولا تُمشّى بــِواديهِ الأَراجيــلُ[5]

كما أننا لاحظنا الميل إلى استخدام الألفاظ والمعاني القديمة، في ابتعاد إلى حد ما عن لغة الوضوح الموجودة في الخطابة[6].

ثانياً :- من حيث الأساليب والصورة الفنية.

تميز أدب الوفادات بشقيه الشعري والنثري، بأسلوب خاص ميزته الثقافة الإسلامية بمؤثراتها المتعددة على النحو التالي:

---

(1) ابن هشام، م .س، 207/4؛ ابن قيم الجوزية، م.س، 513/3.

(2) محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر،459/1؛ إحسان النص، الخطابة العربية، ص44.

(3) الجاحظ، البيان والتبيين، 17/2.

(4) ضيغم:الأسد. عثّر:كبا ووقع. غيل: اللبن الذي ترضعه الأم لولدها وهي تؤتى، ابن منظور، لسان العرب.

(5) كعب بن زهير، الديوان، ص39. الأراجيل: الرجّالة، ابن منظور،م. س، مادة، رجل.

(6) ابن هشام ، السيرة النبوية،152/4.

1. تمثلت أبرز الخصائص بالبعد عن التكلف، ودواعي ذلك هو التأثر بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فالرسول الكريم ρ قد ذم المتكلفين والمتشدقين، وقد روي أن خلفاء الرسول رضوان الله عليهم وخطباء الوفادات كانوا يعدون خطبهم قبل إلقائها تجنباً للوقوع في التشدق والحصر، وقد ترتب على ذلك التخلي عن كل سجع متكلف، على عكس الجاهلية، ومرد ذلك أن النبي ρ نهى عن تكلف السجع المحاكي لسجع الكهان في الجاهلية، ولا نرى سجع الكهان إلا على لسان الأعراب التي وفدت على الرسول ρ خاصة في أول العهد في الإسلام، مثل الأخذ من السجع المطبوع في عهد الخلفاء، لما فيه من الجمال، وما له من حسن الوقع الذي يشبه الوقع في القافية الشعرية، ومع ذلك لم تخل بعض خطب الوفادات من السجع المتكلف، إذ نجد هذا السجع الممقوت وبخاصة في مجالس الخلفاء، بهدف تزيين الخطبة أمام الخليفة[1].

2. ومن الخصائص الأسلوبية الأخرى؛الميل إلى التجويد والصقل ، على قدر ما تهيئ لذلك فرصة القول، فكان الازدواج، وتساوي الفواصل، ورعاية التوازن الموسيقي، وقصر الجمل، ومن أمثلة ذلك ما قاله طهفة بن أبي زهير النهدي في وفادة بني نهد من تهامة عليه ρ قال: "يا رسول الله؛ أتيناك من غوري تهامة، بأكوار الميس، ترمي بنا العيس، نستحلب الصبير، ونستجلب الخبير،...، سقط الأملوج، ومات العسلوج..." [2].

3. ظل الإيجاز في القول ملحوظاً ومطلوباً رعاية للمقام، وموازنة بين أقدار المعاني وأقدار السامعين في مختلف أحوالهم ولم تعد الإطالة إلا لدواعٍ تقتضيها، فانتهوا إلى الإقلال الشديد من سرد الحكم والأمثال خاصة، وساعد هذا كون الخطب في جملتها تدور كل منها حول موضوع واحد يُستَعان به على تقريره بوسائل التأثير المختلفة، وكان الإقلال من استعمال المترادفات إيثاراً للإيجاز، ويبدو من ذلك أنهم تأثروا في القرآن الكريم والحديث الشريف إلى استخدام الجمل القصيرة مع أنهم أكثروا الأخذ من القرآن الكريم اقتباساً واستشهاداً وتأثراً، واتبعوا أسلوب القرآن في عرض الحجج الخطابية، وإيراد القضايا المنطقية وانتهاج وسائل البرهنة والإقناع[3].

---

(1) محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، 460/1–461.

(2) ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد،113/1؛ أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، 165–166.

(3) محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، 461/1.

4. وتميز الأسلوب أيضا بكثرة الاستشهاد بالشعر، حيث يعمد الخطيب على تأكيد فكرته بأبيات شعرية أكثر نفاذاً إلى القلوب، ومن الأمثلة على ذلك ما كان من وفد تميم بين يدي النبي ρ حيث قال شاعرهم الزبرقان بن بدر:

- بسيط -

نحن الكِرامُ فلا حَيٌّ يُعــادِلُنــا مِنَّــا المُلــوكُ وفينا تُعْقَدُ البِيَعُ
وكم قسرنا من الأحيــاءِ كلِّهم عند النهــابِ وفَضْلُ العِزِّ يُتَّبَعُ
إنّا أَبينا ولا يأبى لنــا أحــدٌ إنّا كذلك عند الفَخْــرِ نَرْتَفِــعُ[1]

ونرى التمثل بالشعر أيضاً في وفادة النابغة الجعدي على النبي الكريم ρ، إذ قال:

- طويل-

أَتَيْتُ رسولَ الله إذ جاءَ بالهــــدى ويتلــو كِتاباً كالمَجَــرَّةِ نَيِّرا
بلَغْنا السماء مجداً وجوداً وسؤدداً وإنّا لَنرجو فوق ذلك مظهرا[2]

وبعد حوار مع النبي ρ، عاد وتمثل بالشعر مادحاً بقوله:

- طويل -

ولا خيرَ في حُلــمٍ إذا لم تَكُــنْ له بوادر تحمي صفوهُ أنْ يُكــدَّرا
ولا خير في جهلٍ، إذا لم يكن له حليمٌ، إذا ما أورد الأمر أصدرا[3]

فقال ρ لا فض الله فاك، وذلك من شدة إعجابه بما قال[4].

الفصل الثالث : أدب الوفادة في العصر الأموي.

المبحث الأول :- تعريف بالعصر الأموي " تحديد العصر".
المبحث الثاني :- الوفادة في العصر الأموي "أنماط وأشكال".

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية،209/4،ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، 510/3-511.

(2) النابغة الجعدي، الديوان، ص 87-88.

(3) النابغة الجعدي، م.ن، ص85.

(4) ينظر: القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص49؛ الأصفهاني، الأغاني، 14/5؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 299/1.

أولاً :- وفادات سياسية وتضم:
1- وفادات بهدف عقد البيعة.
2- وفادات أدت إلى عزل وتعيين بعض الولاة والقادة.
3- وفادات المعارضين للحكم الأموي.
4- وفادات إلزامية بطلب من الخليفة.
ثانياً :- وفادات اجتماعية وتضم:
1 - وفادات التهنئة والتعزية.
2 - وفادات الشكوى والتظلم.
3 - وفادات التكسب.
4 - وفادات علمية.
المبحث الثالث :- الخصائص الفنية لأدب الوفادة في العصر الأموي.
1 - من حيث اللغة والألفاظ .
2 - من حيث الأسلوب والخيال والصورة الفنية.

أدب الوفادة في العصر الأموي.

شهد العصر الأموي حركة واسعة من الوفاداتمختلفة الأغراض، نتيجة للأحداث السياسية والظروف الاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها الدولة، التي كان لها الأثر في توجيه الأفراد والجماعات الوافدة على الخلفاء[1] حاملة أفكارا وآراء متعددة تراوحت ما بين الشكوى، وقضاء الحوائج، ورفع المظالم، واستقصاء الأعطيات والمنح أو الموعظة أو التهنئة، أو التعزية في النوائب، والتبشير بالنصر، والتقرب إلى الحكام والفخر في بعض الأحوال[2].

وقد شجع الخلفاءُ الأمويون وفادة الأشخاص والوجهاء والمسؤولين عليهم من خلال استقدامهم من مختلف أقاليم الدولة الإسلامية للمثول أمامهم؛ طلباً للرأي أو المشورة أو امتصاصاً للنقمة، أو للاستفسار عن أحوال الأقاليم وعمل الولاة[3] فلذلك أصبحت الوفادات في العصر الأموي واحدة من أهم وسائل الاتصال المباشر بين الناس والخليفة[4].

إن اتساع الدولة الأموية وشيوع مظاهر الحضارة والملك فيها، واستقرار أمر الخلافة في بني أمية قد دعا الناس إلى الوفود عليهم من الأمصار المختلفة، وأدى إلى قيام المحافل الحافلة، والمجالس العامرة بساحاتهم ومن حولهم، وكان لهم خطباء ينهضون بالقول في الشؤون المختلفة، ومنهم الضحاك بن قيس الفهري، الذي كان مضرباً للمثل في ذلك كله[5].

نتيجة لكثرة الوافدين على الخلفاء الأمويين من مختلف الأقاليم؛ فقد حظيت الوفادات باهتمامهم وأصبح لها مجموعة من التقاليد والآداب لتنظيمها وترتيبها وفق خطة ومراسيم وتقاليد ثابتة ومعروفة، ومن هذه التقاليد الاستئذان بالوفادة على الخليفة سلفاً؛ حيث أصبح طلب الإذن للراغبين بالوفادة على الخليفة من التقاليد التي يجب التقيد بها والعمل بموجبها خاصة الوفادات الرسمية[6].

ومن تقاليد الوفادات الأخرى المتبعة لدى الخلفاء الأمويين، تلك التي تتعلق بإقامة الوفد، حيث لقيت الوفود - خاصة الرسمية منها مثل وفادات الولاة، أو قادة الجيش، أو العمال، أو موظفي الدولة- عناية واهتماماً كبيرين من قبل خلفاء بني أمية، لأن الوفد يعد ضيفاً على الخليفة، حتى وإن كان غير رسمي، وكانت الوفود تنزل في دار خاصة تسمى دار الضيافة[7]، وقد وضع الخلفاء الأمويون أسساً لدخول الوافدين عليهم، حيث يكون الإذن بالدخول على الخليفة حسب مراتب الناس ودرجاتهم في أقوامهم [8] ومن أمثلة ذلك أن معاوية بن أبي سفيان كان يفضل أهل البيوتات "أي أهل النسب" بالدخول عليه، أما إذا تساوت الأنساب؛ فيفضل أهل السِّن ويُقَدّمُهم، فإذا تساوت، فَضَّلَ أهْلَ العلم والأدب[9].

وقد كان الخلفاء عند استقبالهم للوفد يراعون إظهارَ معالمِ زينةِ المُلْكِ، وإظهار الهيبة والتعظيم، مما له الأثر في نفوس الوافدين، ففي عهد معاوية مثلا تم استقبال وفود العرب في الدار الكبيرة التابعة لدار الخلافة وكان قد وضع الحرس خلفه، وصاحب الحرس على رأسه، وصفاً من جند أهل الشام بالباب، ثم أذن للوفود بالدخول عليه[10].

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تعداه إلى آداب أخرى، تتمثل بجلوس الوافدين، وكان الحاجب يتولى ترتيب جلوسهم[11] وكانت هناك آداب للحديث على درجة كبيرة من الدقة

وبمراسيم متبعة، أهمها عدم تكذيب الخليفة بأي حال من الأحوال ومهما قال، وعدم الإجابة دون سؤال الخليفة، والامتناع عن الإطراء الزائد، وتجنب إغلال صَدْرِ الخليفةِ على الرعية[12].

وقد كان تكريم الوافدين جزءاً من التقاليد المتبعة والمتعارف عليها في السياسة الأموية، لما لذلك من أهمية في كسب التأييد السياسي، وامتصاص نقمة الناس والسيطرة على القبائل من خلال بذل الأموال والأعطيات في مختلف المناسبات[1].

([1]) إحسان النص، الخطابة السياسية في عصر بني أمية ، ص121.
([2]) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه، ص70؛ محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام،2/ 122.
([3]) إبراهيم أحمدالعدوي، النظم السياسية مقوماتها الفكرية ومؤسساتها التنفيذية في صدر الإسلام والعصر الأموي،ص177.
([4]) علي رضوان الأسطل، الوفود في العهد المكي، ص16- 17 .
([5]) محمد طاهر درويش ، م.س، 397/2.
([6]) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 162/4-163.
([7]) ينظر: ابن عربي، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، 304/2؛ محمد صالح الكبيسي، عصر هشام بن عبد الملك ص73.
([8]) الطبري، تاريخ الطبري، 162/4-163.
([9]) النويري، نهاية الأرب،86/6؛ جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي،244/1.
([10]) السلطاني، رسوم دار الخلافة، ص148.
([11]) الأصفهاني، الأغاني،93/4.
([12]) المسعودي، مروج الذهب، 92/3.

وقد استخدم الخلفاء علامات معينة وإشارات معروفة، لتنبيه جلسائهم من الوافدين عليهم، فإذا أراد الخليفة الانصراف عن المجلس، أو الانفراد بأحد الوافدين، كان يستخدم إشارة معينة هي أشبه ما تكون بالتوقيعات؛ تدل على رغبته تلك، فمعاوية مثلا كان يقول "إذا شئتم" أو يقول "ذهب الليل وقام سماؤه ومن حضره" ويزيد كان يقول "على بركة الله"[2].

المبحث الأول: تعريف بالعصر الأموي "تحديد العصر".

يمكننا القول إن العصر الأموي يشمل تلك الحقبة التاريخية التي تمتد من العام (41هـ الى132هـ) حيث بدأت بخلافة معاويةَ بن أبي سفيان الذي نال الخلافة بحد السيف تارة، وبالدهاء والمكيدة والسياسة تارة أخرى، وقد دعا المسلمون إلى الحسن بن علي رضي الله عنه بعد استشهاد أبيه واستخلفوه، إلا أن خلافته لم تثبت أمام قوة معاوية، وكان لرواج إشاعة انهزام جيوشه أمام جند الشام الأثر الأكبر بتخلي أهل العراق عنه، فلم يجد بداً من النزول عن الخلافة حقناً للدماء[3].

وتذهب بعض الآراء إلى أنَّ الدافع الحقيقي الذي دعا الحسين للتنازل، أنَّه شعر أنْ لا قِبَلَ له بمعاوية وجنده، فعقد معه صلحاً يتنازل له بموجبه عن الخلافة، على أن يكون الأمر بعد معاوية شورى بين المسلمين يُولّونَ عليهم من أحبوا، وفي اليوم الخامس والعشرين من ربيع الثاني سنة 41هـ دخل معاوية الكوفة، حيث أُخِذَتْ له البيعةُ بحضور الحسن والحسين-رضي الله عنهما - وسمي هذا العام بعام الجماعة، ثم رحل الحسن إلى المدينة ولزم منزله حتى مات[4].

هذه كانت البدايات الأولى للخلافة الأموية، التي امتدت حتى عام 132هـ بدءا بمعاوية المؤسس والباني، وانتهاءاً بمروان الثاني، وتعد فترة الحكم الأموي من المراحل المهمة في التاريخ العربي الإسلامي؛ لما شهدته من إنجازات عسكرية وحضارية.

توسعت حدود الدولة الإسلامية توسعاً عظيماً، وامتدت من حدود الصين شرقاً إلى حدود فرنسا غرباً، وقد رافق ذلك بدايات عملية الاندماج بين السكان بمختلف فئاتهم وقومياتهم مما ولّدَ الكثير من المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقد شهدت فترة الحكم الأموي تغيرات في نظام الحكم، فأصبح الحكم وراثياً، وانحصر في الأسرة الأموية؛ الأمر الذي أدى لظهور حركات معارضة عديدة، تميز بعضها بالقيام بأعمال مسلحة، كالخوارج والعلويين والزبيريين وغيرهم.

وعلى الرغم من هذا الاتساع في الحدود وعظمة الإنجازات ونشر الإسلام في كافة أرجاء المعمورة؛ إلا أن ذلك لم يدم إلى ما لا نهاية، فقد اجتمعت في الدولة الأموية مجموعة من العوامل والمؤثرات أدت إلى إضعافها وتهلهل أركانها وسقوطها في نهاية الأمر، ومن هذه المؤثرات على سبيل المثال، تولية العهد لاثنين يلي أحدهما الآخر ما أدى إلى المنافسة والشقاق، إضافة إلى ظهور روح العصبية التي عدها الكثيرون مؤثراً مباشراً وقوياً أدت إلى انحلال الحزب الأموي، وصولاً إلى انغماس بعض الخلفاء الأمويين بحياة الترف والبذخ، إضافة إلى عامل آخر تمثل بتعصب الأمويين للعربية والعرب؛ ما أدى إلى إثارة غضب الموالي، الذين اشتركوا مع الخوارج ويزيد بن المهلب (ت 102هـ/ 720م) [5] في ثوراتهم المناوئة للدولة، حتى نشطت الحركة العباسية فانضموا إليها[6]. ويمكننا تحديد الحقبة الزمنية التي حكم فيها الأمويون إلى حدود زمانية وأخرى مكانية كما يلي:

عند الحديث عن الحدود المكانية للدولة الأموية نجدها قد تركزت في بيئات أساسية، وهي بيئة الحجاز خاصة مكة والطائف والمدينة المنورة، التي كانت تمثل -قبل الخلافة الأموية- مركز الدولة الإسلامية، وبيئة البادية "نجد"، أما البيئة الثالثة فهي بيئة العراق والجزيرة الفراتية، والبيئة الرابعة تتمثل ببيئة خراسان، والخامسة بيئة الشام مركز الخلافة الأموية، وفي نطاق هذه الحدود والرقاع يمكننا القول إن الفتوحات في العهد الأموي بدأت في عهد معاوية، حيث وصلت إلى بلاد السند والهند شرقاً، وجهز في عام 48هـ جيشاً لغزو القسطنطينية، وامتدت الفتوحات إلى إفريقيا وصولاً إلى بلاد السودان، واستمرت الفتوحات بين مد وجزر، من عهد خليفة إلى آخر، ففي عهد الوليد بن عبد الملك

([1]) الطبري، تاريخ الطبري، 18/6.
([2]) ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، 125/2؛ الجاحظ، التاج، ص121.
([3]) حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، 278/1.
([4]) المسعودي، مروج الذهب، 7/3؛ حسن إبراهيم، تاريخ الاسلام، 278/1.

([5]) يزيد بن المهلب بن أبَيّ الأزدي (ت102هـ/720م) من القادة الشجعان ولي خراسان بعد وفاة أبيه 83هـ، ولي العراق في عهد سليمان بن عبد الملك. ينظر: الزركلي ، الأعلام، 189/8 .
([6]) ينظر: الطبري، تاريخ الطبري، 288/8-289؛ محمد بن أحمد كنعان، تاريخ الدولة الأموية، ص145-146؛ حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، 324/1.

مثلاً اشتهر ثلاثةٌ من القادة الذين كان لهم الأثر العظيم في فتوحات ما وراء النهر، فقد تَمَّ فَتْحُ بخارى وخراسان ومدن خوارزم وسمرقند التي بفتحها وَطَّدَ قتيبة بن مسلم (ت96هـ/517م) [1] مركزه في بلاد ما وراء النهر، ثم كانت هناك محاولة لفتح بلاد الصين، وكانت هناك محاولات لفتح بلاد السند أيضا حيث وصلت الفتوحات لغاية نهر السِّنْد، الذي كان يعرف بنهر "مهران"؛ أما غرباً فقد عبر موسى بن نصير (ت97هـ/ 715م) [2] بلاد المغرب ونشر الإسلام هناك وصولا إلى طنجة، ولم يقف في طريقه إلا قلاع سَبْتَة الحصينة، ومن ثم انطلقت الفتوحات وصولا إلى الأندلس[3].

وعلى هذا يمكننا القول إن الدولة الإسلامية في العهد الأموي وصلت في حدودها إلى بلاد الهند والصين شرقا وإسبانيا وجبال البرانس غربا، وهي بذلك مثلت إمبراطورية عظيمة في تلك الحقبة الزمنية القياسية التي امتدت ما بين (41-132هـ).

المبحث الثاني: أغراض الوفادة في العصر الأموي.

أرى أن أكثر الوفادات التي كانت ترد على الخلفاء الأمويين من مختلف أقاليم الدولة الإسلامية حملت أغراضا وأبعادا سياسية، ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في كثير من الأحداث والتغيرات السياسية، فقد لعبت هذه الوفادات دورا في إعطاء الخلافة جانبا من مشروعيتها، وذلك بما كانت تحمله بعضها من بيعة الأقاليم للخليفة الأموي، وذلك لإتمام مبايعة الخليفة والتي يمكننا تسميتها بالبيعة العامة، أو أن قسماً من هذه الوفادات كان لها الدور الأساسي في إقرار النظام الوراثي للخلافة الأموية، وتشجيع الخلفاء على تولية أبنائهم لولاية العهد، كما ولعبت الوفادات دورا في عزل وتعيين الولاة وبعض عمال الدولة وموظفيها، بينما مثل بعضها واحداً من الأساليب التي كان الخليفة من خلالها يتعرف على طبيعة عمل الولاة، ومدى رضى الناس عنهم، والاطلاع على أوضاع الأقاليم المختلفة للدولة، ووضحت أيضا العلاقة بين الخلافة الأموية، ومركز الدولة من جهة، وبين الحركات المعارضة من جهة أخرى، والتغيرا ت التي كانت تطرأ في عهد هذا الخليفة أو ذاك.

يعد معاوية بن أبي سفيان – مؤسس الدولة الأموية – هو أول من فتح أبوابه على مصاريعها لتلك الوفود فكانت ترد تباعا إلى ساحته تعلن ولاءها تارة، وتشكو مظلمة تارة أخرى، وهو دائم الحفاوة بها، يضفي عليها من نواله، وتبعه الخلفاء الأمويون من بعده يستنون بسنته[4] وفيما يلي أهم أغراض الوفادة في العصر الأموي:

أولاً: الوفادات السياسية.

من خلال دراستنا للوفادات في العصر الأموي، وجدنا أن جل هذه الوفادات حملت أبعادا سياسية كان لها دور أساسي في تغيير المظاهر السياسية، حيث ساهمت في إعطاء الخلافة مزيداً من مشروعيتها من خلال وفود البيعة التي قدمت على مركز الخلافة التي شجعت ودعمت الخلفاء على تولية أبنائهم، مقرة بذلك أول نظام وراثي في الحكم الإسلامي،هذا بالإضافة إلى الدور السياسي الذي لعبته الوفادات في عزل وتعيين الولاة، إذ إنها كانت الواسطة والوسيلة لبث الشكاوى ونقل وجهات النظر المختلفة إلى مركز الخلافة، بالإضافة إلى توضيح وجهة نظر المعارضين للحكم الأموي والفرق والحركات التي دبت جذورها منذ زمن سيدنا علي τ حتى نهاية حكم بني أمية، وعليه نرى تقسيم الوفادات السياسية إلى ما يلي:

1 - وفادات بهدف عقد البيعة.

إنَّ من أهم ما يمكن أن يقال في وفادات البيعة، هو طلب معاوية البيعة لابنه يزيد (ت 64هـ/683م) [5] وذلك سنة ثلاث وخمسين[6] إذ أظهر معاوية عهدا مفتعلاً وقرأه على الناس، فيه عَقَدَ البيعة ليزيد بولاية العهد من بعده، حيث استخدم كل الوسائل ليروض الناس، ويجري المشاورات؛ مستغرقاً سبع سنوات، متنقلا بين الأباعد والأقارب، حتى

([1]) قتيبة بن مسلم الثقفي،(ت96هـ/517م) أمير فاتح، ولي الري وخراسان . ينظر: الزركلي، الأعلام، 190/5 .

([2]) موسى بن نصير،(97هـ/715م) فاتح الأندلس، نشأ في دمشق. ينظر: الزركلي، الإعلام، 330/7؛ الكامل في اللغة والأدب، 291/2.

([3]) المَقْري التلمساني، نفح الطيب، 214/2؛ الطبري، تاريخ الطبري ، 4/4.

([4]) شوقي ضيف، العصر الإسلامي ،ص428.

([5]) يزيد بن معاوية (ت64هـ/683م) وهو ثاني خلفاء الدولة الأموية، توفي بالقرب من حمص. ينظر: الزركلي،الأعلام، 187/8.

([6]) المسعودي، مروج الذهب،3-32/4.

استوثق من أكثر الناس ومن مشاوراته في سبيل تحقيق ذلك أن سأل عبد الله بن الزبير(ت 72هـ، 692م) [1] يوما "ما ترى في بيعة يزيد ؟" فقال:" يا أمير المؤمنين، إني أناديك ولا أناجيك، إن أخاك من صدقك، فانظر قبل أن تتقدم، وتذكر قبل أن تندّم، فإن النظر قبل التقدم، والتفكر قبل التندم " فضحك معاوية وقال:" ثعلبٌ راوغ، تعلمت السجع عند الكبر، في دون ما سجعت على ابن أخيك"، ثم التفت إلى الأحنف بن قيس وقال:" ما ترى في بيعة يزيد؟" قال: "نخافكم إنْ صدقناكم، ونخاف الله إن كذبنا"[2].

فلما كانت سنة خمس وخمسين، كتب معاوية إلى سائر الأمصار، أن يفد عليه من كل مصر قوم، وكان ممن وفد عليه من أهل المدينة محمد بن عمر بن حزم (ولد10هـ...)[3]، فخلا به معاوية وقال:" ما ترى في بيعة يزيد ؟" فقال:" يا أمير المؤمنين، ما أصبح اليوم على الأرض أحد هو أحب إلي رشدا من نفسك سوى نفسي، وإنَّ يزيدا أصبح غنيا بالمال، وسطا في الحسب، وإن الله سائل كل راع عن رعيته، فاتق الله وانظر من تولي أمة محمد "فأخذت معاوية الدهشة وقال: "يا محمد إنك امرؤ ناصح، قلت برأيك، ولم يكن عليك إلا ذلك، إنَّه لم يبق إلا ابني وأبناؤهم، فابني أحبُّ إلي من أبنائهم، اخرج عني، ثم جلس معاوية إلى أصحابه وأذن للوفود[4].

وكان قد اتفق مع أصحابه ممن يوافقون على بيعة يزيد أن يقولوا ويصرحو ا بموافقتهم، وكأنهم هم من يريد ذلك، فوقف الضحاك بن قيس الفهري(ت 65هـ،684م) [5] وقال:"يا أمير المؤمنين، إنه لا بد للناس من والٍ بعدك، والأنفس يُغْدى عليها ويُراح، وإنَّ الله تعالى قال (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) [6] ولا ندري ما يختلف به العصران، ويزيد ابن أمير المؤمنين في حسن معدنه، وقصد سيرته، من أفضلنا حلماً، وأحكمنا علماً فولّه عهدك، واجعله لنا علماً من بعدك، فإنا قد بلونا في الجماعة والألفة، فوجدناها أحقنُ للدماء، وآمن للسبل، وخيراً في العاقبة والآجلة"[7].

ثم تكلم عمرو بن سعيد [8] فقال" أيها الناس إن يزيداً أملٌ تأملونه، وأجل تأمنونه، طويل الباع، رحب الذراع، إذا صرتم إلى عدله وسعكم، وإن طلبتم رفده أغناكم، جدعٌ قارح، سوبقَ فسبق، وموجِدَ فمجد، وقورعَ فقرع، فهو خلف أمير المؤمنين ولا خلف منه " فقال معاوية: اجلس أبا أمية فلقد أوسعت وأحسنت[9].

ثم قام اليزيد بن المقفع "وقيل ابن المقنع[10] "فقال" أمير المؤمنين هذا، وأشار إلى معاوية، فإن هلك فهذا، وأشار إلى يزيد، فمن أبى فهذا، وأشار إلى السيف"
فقال له معاوية: اجلس فإنك سيد الخطباء[11].

ثم تكلم الأحنف بن قيس فقال: "يا أمير المؤمنين، أنت أعلم بيزيد في ليله ونهاره، وسره وعلانيته، ومدخله ومخرجه، فإن كنت تعلمه لله رضاً ولهذه الأمة، فلا تشاور الناس فيه، وإن كنت تعلم غير ذلك، فلا تزوده الدنيا وأنت تذهب إلى الآخرة"[12].

ويذكر أن الناس تفرقوا بعد ذلك ولم يذكروا إلا كلام الأحنف.

من الواضح أن معاوية كان يدرك جيدا المعارضة التي من الممكن أن تلقاها دعوته تلك، ومن أهم معارضي هذه الدعوة عبد الله بن عامر ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص، وكان من دهاء معاوية أن استقدم مسكين الدارمي الشاعر(ت89هـ/ 708م) [13] وطلب منه أن يقول أبياتاً في ذلك – البيعة ليزيد- عندما يكون مجلسه حافلاً، وحدث له ما أراد، ويزيد يجلس عن يمينه وأشراف الناس من بني أمية وغيرهم في المجلس، فاستأذن الدارمي في الإنشاد فأُذِنَ له فقال:

- طويل-

إنْ أُدْعَ مسكيناً فإنّي ابنُ معشرٍ وعن النّاس أحمي عنْهُمْ وأذودُ

([1]) عبد الله بن الزبير (ت72هـ/692م) ينظر: الأصفهاني،الأغاني، 130/7.
([2]) القيرواني، زهر الآداب،3-1138/4.
([3]) محمد بن عمرو بن حزم (ولد 10 هـ،...م) من فقهاء المدينة . ينظر:الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 171/1.
([4]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 344/4-345.
([5]) الضحاك بن قيس الفهري وهو الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب الفهري(ت65هـ/684م).ينظر: الزركلي،الأعلام، 215/3.
([6]) الرحمن، 29/55.
([7]) ابن عبد ربه، م.س، 345/4ا. العصران : الغداة والعشي والليل والنهار، قصد سيرته : استقام، ابن منظور، لسان العرب.
([8]) عمرو بن سعيد بن لأي بن غالب،وهو أحد العشرة الذين كانوا مع النبي الكريم عندما تحرك الجبل. ينظر : الأصفهاني، الأغاني 336/10.
([9]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 334/4-348؛ القيرواني، زهر الآداب،3-927/4.
([10]) اليزيد بن المقفع، بعد الرجوع لمعاجم الأعلام لم أعثر له على ترجمة .
([11]) الجاحظ، البيان والتبيين، 300/1؛ ابن عبد ربه، م،س، 346/4؛ المسعودي، مروج الذهب، 3-32/4.
([12]) ابن عبد ربه، م، س، 346/4.
([13]) مسكين الدارمي، هوربيعة بن عامر (ت89هـ/708م) وفد على معاوية وكان له دور بارز في بيعة يزيد ينظر: الأصفهاني، الأغاني،220/20.

إليك أميرَ المؤمنيــنَ رحـلِتها تُثيرُ القطا ليلاً وَهُنّ هُجـودُ
وهاجرةٍ ظلَّتْ كــأنَّ ظِباءهـا إذا ما اتقتها بالقرون سُجـودُ
ألا ليتَ شعري ما يقولُ ابنُ عامرٍ ومروانُ أمْ ماذا يقولُ سـعيدُ
بني خلفـــاء الله مهـلاً فإنما يبوئها الرحمنُ حيث يـريـدُ
إذا المِنْبَرْ الغَربيُّ خـلاه ربـه فإنَّ أميـرَ المؤمنينَ يزيـدُ[1]

لقد كان لقصيدة الدارمي التي عرضها على الوفود عند البيعة ليزيد التأثير الكبير، حيث وضعت بني أمية في موقف يصعب معه المعارضة على هذه البيعة، فانطلق معاوية بعدها يكسب تأييد الأقاليم.

ويذكر أن صاحب فكرة البيعة ليزيد هو المغيرة بن شعبة، والذي شعر يوما بأن معاوية يعد العدة لعزله عن ولاية الكوفة، فوفد عليه، وتقرب له من خلال طرحه لفكرة البيعة ليزيد، وما كان من معاوية إلا أن أعجب بالفكرة وعدل عن فكرة عزله، وطلب منه أن يأخذ التأييد لبيعة يزيد[2].

لقد كانت خطة معاوية محكمة، حيث يذكر بأنه أوصى الضحاك بن قيس، وخاصته من أهل الشام، بأنه سيتكلم مع الوفود، وطلب من الضحاك أن يقاطعه ويطلب البيعة ليزيد، وبالفعل حدث ما رسم له معاوية، أما بالنسبة للأحنف بن قيس فقد كانت إجابته لمعاوية في غاية الأهمية، لأنه يدرك أن له وزناً معروفاً بين الناس، وقد كانت إجابته ذكية، إذ خلص نفسه من موقف حرج وهو عدم اغضاب الخليفة، وعدم مداهنته في نفس الوقت، وبعد ذلك بايع الناس يزيد بن معاوية، وبذلك يكون معاوية قد نجح بتخطيطه ودهائه في أن يثبت للناس أن البيعة ليزيد تمت بعد استشارة الوفود وذوي الرأي متخلصاً بهذا من المعارضة[3].

ولم يكن تأثير الوفادات في هذا المجال مقتصراً على معاوية، حيث يذكر أنه كان لوفادة عبد الله بن همام السلولي(ت 100هـ/...)[4] على يزيد بن معاوية، الأثر في تشجيعه على عقد البيعة لابنه معاوية الثاني، حيث أنشده شعراً رثى فيه معاوية وحضه على أخذ البيعة لولده يقول فيه: - الوافر-

تعزو يا بني حربٍ بصبرٍ فمن هذا الذي يرجو الخلودا
تَلَقَّفَهـا يزيــدٌ عن أبيه وخُذْها يا معاويَ عن يزيدا[5]

وكان للوفادات دورٌ في تشجيع الخليفة عبد الملك بن مروان على التفكير في جعل الخلافة من بعده لابنه الوليد(ت96هـ/715م) [6] وخلع أخيه عبد العزيز؛ ومن أمثلة ذلك عندما وفد نابغة بني شيبان الشاعر(ت 125هـ/743م) الشاعر(ت125هـ/743م) [7]،على الخليفة والناس حواليه فمثل أمامه قائلاً:

- المنسرح-

لابْنُكَ أولى بمُلكِ والِـدِه وعَمَّهُ إن عصاكَ مُطرَّحُ[8]

فتبسم عبد الملك ولم يحب أن يتكلم في ذلك بإقرار ولا دفع، فعلم الناس أن رأيه في خلع أخيه عبد العزيز، ثم جاء الكتاب من الحجاج مع الوفادة التي أرسلها وفيها بيعة الوليد بن عبد الملك[9].

2 – وفادات أدت إلى تعيين الولاة وبعض موظفي الدولة أو عزلهم .

يعد تعيين الولاة والقادة من أهم ما يقوم به الخليفة، ففي العهد الأموي ارتبطت سياسة تعيين الولاة وموظفي الدولة أو عزلهم بسياسة كل خليفة من جهة، وبظروف أقاليم الدولة الإسلامية من جهة أخرى، إلا أنه كان للوفادات التي ترد على الخلفاء الأمويين وللأغراض المختلفة تأثيرٌ في مجال تعيين بعض الولاة أو موظفي الدولة أو عزلهم في بعض الأحيان؛

ففي خلافة معاوية كان يختار وُلاته من بين الرجال الذين وقفوا إلى جانبه، أو من الذين امتازوا بمقدرة وكفاية وضبط إداري نتيجة للظروف التي كانت تتطلبها الأوضاع المحيطة به في بداية الأمر كعمرو بن العاص، وبسر بن أرطأة (ت86هـ/705م) [1] والمغيرة بن شعبة، ومروان بن الحكم وغيرهم[2].

([1]) الأصفهاني، الأغاني، 20/227-228.
([2]) الطبري، تاريخ الطبري، 247/3 ؛ المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 294/3.
([3]) الطبري م. س ، 322/5؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3/ 250-251.
([4]) عبد الله بن همام السلولي (ت100هـ،...) من بني مرة، شاعر إسلامي، أدرك معاوية وعاش إلى أيام سليمان بن عبد الملك، يقال إنه أول من جمع بين التهنئة والتعزية . ينظر: الزركلي، الأعلام، 143/4؛ المبرد،الكامل في اللغة والأدب، 58/1.
([5]) ابن سلام، طبقات الشعراء، ص184؛ المسعودي، مروج الذهب، 67/3.
([6]) الوليد بن عبد الملك (ت96هـ/517م) من ملوك الدولة الأموية، ولي بعد وفاة والده 86هـ وجه الجيوش للفتوح . ينظر : الأصفهاني، الأغاني،86/5.
([7]) نابغة بني شيبان وهو عبد الله بن المخارق بن سليم (ت125هـ/743م) شاعر بدوي من شعراء الدولة الأموية .ينظر: الزركلي: الأعلام 136/4.
([8]) النابغة الشيباني، الديوان، ص52.
([9]) الطبري، تاريخ الطبري، 413/6؛ الأصفهاني، الأغاني، 121/7؛ ابن الأثير، الكامل،101/4.

وعندما اجتمعت الكلمة على خلافته بعد تنازل الحسن بن علي τ عام "41هـ" بدأ معاوية يعمل من أجل امتصاص النقمة من نفوس معارضيه وكسبهم إلى جانبه، وكانت وسيلته إلى ذلك سياسة الحلم واللين وإغداق الأموال[3].
ومن الوفادات التي كان لها دور في عزل بعض الولاة:
1- وفد أهل العراق على معاوية، حيث سألهم عن أهل العراق، وعن أهل البصرة تحديداً والذي كان عليها عبد الله بن عامر فقام خطيبهم وقال: "يا أمير المؤمنين؛ إن أهل البصرة أكلهم سفهاؤهم، وضعف عنهم سلطانهم"[4].

من الملاحظ هنا أن معاوية لاحظ تدهور أحوال البصرة الأمنية من خلال الكلمات التي سمعها من الوافد، الأمر الذي دعاه للاستيضاح والوقوف على حقيقة الأمر هناك، مما دفعه لعزل عبد الله وتولية قيس بن الهيثم(ت 85هـ/804م) [5].

لقد كان للوفادات الدور الكبير في اطلاع الخليفة على أعمال الولاة وعلاقاتهم مع الناس، حيث مثلت الوفادات وسيلة اتصال مباشر بين الخليفة من جهة، وبين الرعية من الجهة الأخرى، فكانت أبوابهم مشرعة لاستقبال الوافدين وسماع آرائهم حول الوالي وصاحب الخراج والقاضي وغيرهم من عمال الدولة في مختلف المجالات وسلوكهم مع الرعية.

2- كما حملت وفادة عبيد الله بن زياد بن أبيه [6] والي البصرة على معاوية في ثناياها سبب عزله ورده إليها ثانية، حيث وفد عبيد الله على معاوية على رأس وفد من أهل العراق، فقال له معاوية: "إأذن لوفدك على منازلهم وشرفهم"، فأذن لهم، ودخل الأحنف بن قيس في آخرهم – وكان سيء المنزلة من عبيد الله – فلما نظر إليه معاوية رحب به وأجلسه معه على السرير، ثم تكلم الوفد فأثنوا على عبيد الله، والأحنف ساكت لا يتكلم، فقال معاوية، مالك يا أبا بحر لا تتكلم؟ فقال: إن تكلمت خالفت القوم، فقال معاوية: انهضوا فقد عزلته عنكم، واطلبوا والياً ترضونه، فبدأ القوم يبحثون عن والٍ، فكانوا يأتون بني أمية وأشراف الشام، والأحنف جالس فلم يأتِ أحدٌ، ثم جمعهم معاوية بعد ذلك، فسمى كل فريق من الوفد واحداً،واختلفوا فيما بينهم والأحنف جالس لا يتكلم فقال معاوية: مالك يا أبا بحر لا تتكلم؟ فقال: "إن وليت علينا أحداً من أهل بيتك لم تعدل بعبيد الله أحداً، وإن وليت من غيرهم فانظر في ذلك "فقال معاوية: إني قد أعدته عليكم، ثم أوصاه بالأحنف، وقبح مباعدته إياه، وقيل لما هاجت الفتنة لم يفِ لعبيد الله أحد غير الأحنف[7].
وتذكر مصادر الدراسة أن الأحنف بن قيس تميز بجرأته على معاوية ومجادلته والرد عليه في بعض تصرفاته، ومن أمثلة ذلك أنه كان في حضرة معاوية يوماً، وعنده أشراف الشام، فقام رجل من أهل الشام خطيباً، وختم بشتم علي τ فأطرق الناس جميعاً، فوقف الأحنف وقال: "إن هذا القائل لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين للعنهم، فاتق الله ودع علياً، فقد لقي الله، وأُفْرِدَ في حفرته، وخلا بعمله، وكان والله ما علمنا المبرز بسبقه، الطاهر خلقه، الميمون نقيبته، العظيم مصيبته "فغضب معاوية وقال: "يا أحنف لقد أغضيت العين على القذى، وقلت بغير ما ترى، وأيم الله، لتصعدن المنبر، فلتلعنه طائعاً أو كارهاً.

فقال الأحنف: "إن تعفني فهو خير لك، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا تجري به شفتاي أبداً، فقال معاوية: قُمْ فاصعد المنبر، فقال: أما والله؛ مع ذلك لأنصفنك في القول والفعل، قال معاوية وما أنت قائل؟.

قال: "أصعد المنبر فأحمد الله وأشكره؛ وأثني على نبيه الكريم وأقول "أيها الناس إنَّ أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن علياً، ألا وإنّ علياً ومعاوية اختلفا فاقتتلا؛ وادَّعى كل واحد منهما أنه قد بُغِيَ عليه وعلى فئته، فإذا دعوت فأمّنوا يرحمكم الله، ثم أقول اللهم العن أنت وملائكتك وأنبيائك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه، والعن الفئة الباغية، اللهم العنهم لعناً كثيراً، أمّنوا يرحمكم الله، والله يا معاوية لا أزيد ولا أنقص منها حرفاً واحداً؛ ولو كان فيها ذهاب نفسي؛ فقال معاوية إذاً نعفيك يا أبا بحر[8].

([1]) بسر بن أبي أرطأة وهو عمر بن عويمر بن عمران بن سيار بن نزار بن كنانة (ت86هـ/705م) تولى البصرة 41هـ شهد فتح مصر. ينظر: المبرد، الكامل في اللغة والأدب179/2 ؛الأصفهاني، الأغاني ، 13/5.
([2]) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص242.
([3]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 212/2.
([4]) الطبري، تاريخ الطبري، 194/3-195.
([5]) قيس بن الهيثم وهو من بني سلمة من لؤي (ت85هـ/804م) من الخطباء الشجعان، من أعيان البصرة في الإسلام . ينظر الزركلي، الأعلام، 209/5.
([6]) عبيد الله بن زياد بن أبيه، تولى خراسان ثم البصرة، من الولاة الفاتحين الشجعان ينظر: الأصفهاني، الأغاني، 59/18).
([7]) الطبري، تاريخ الطبري، 257/3؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 257/3.
([8]) ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، 26/4؛ الأبشيهي، المستطرف، 69/1؛ إحسان النص، الخطابة العربية، ص384-385.

3- وكان لوفادة الحارث بن خالد بن الصاحب بن هشام بن المغيرة المخزومي [1] الأثر في تعيينه والياً على مكة، حيث وَفَدَ على عبد الملك بن مروان(ت86هـ/705م) [2] في سنة خمس وسبعين، وأقام في بابه شهراً لا يصل إليه فانصرف عنه وقال فيه:

- طويل-

صَحِبْتُكَ إذْ عيني عليها غشاوةٌ فلما انجَلتْ قَطّعْتُ نفسي ألومُها
حبَسْتُ عليْكَ النفسَ حتى كأنما بكَفّيْكَ يَجْري بُؤْسُها ونعيمُها

فبلغ قوله عبد الملك بن مروان ، فأرسل إليه فرده ، وقال له : " أرأيت عليك غضاضة من مقامك ببابي؟" قال الحارث : لا. ولكني اشتقت إلى أهلي ووطني ، ووجدت فضلاً من القول فقلت، وَعَلَيَّ قد دَيْنٌ لزمني ، فقال عبد الملك:

وكم دينك؟ قال: ثلاثون ألفا، فقال: أقضاء دينك أحب إليك أم ولاية مكة؟ قال: بل ولاية مكة، فولاه إياها[3].

4- كما كان لوفادة الأحوص الشاعر على الوليد بن عبد الملك أثرها في عزل أبي بكر بن حزم [4] والي المدينة، وتعيين وتعيين عثمان بن حيان المري عليها، ويشير ابن رشيق إلى ذلك بقوله " كان ابن حزم أميراً على المدينة، فتحامل على الأحوص الشاعر تحاملاً شديداً، فشخص إلى الوليد بن عبد الملك، فأنشده قصيدة مدحه فيها، فلما وصل إلى قوله:

-بسيط-

لا ترثِيَنَّ لحزمي أن ظَفِرْتَ به يوماً ولو أُلقِيَ الحزمِيُّ في النارِ
الناخسينَ لمروانٍ بذي خشبٍ والداخلين على عثمان في الدّار[5]

فقال له الوليد: صدقت والله، لقد غفلنا عن حزم وآل حزم، ثم كتب عهداً لعثمان بن حيّان_المري(ت150هـ/767م) [6] [6] على المدينة، وعزل ابن حزم وأمر باستئصال أموالهم وإسقاطهم جميعاً من الديوان[7].

نلاحظ أن الأحوص استطاع أن يثير الوليد على ابن حزم وآله حيثُ ذَكَّرَهُ بمواقفهم من مروان وتقصيره عن نصرة عثمانτ وأطلعه على مواقفه وتصرفاته معه ما جعل الوليد يستنكر ذلك استنكاراً شديداً بحيث يأمر بعزله واستئصال أموال آل حزم وإسقاطهم من الديوان.

من خلال ما سبق نلاحظ اهتمام الخلفاء الأمويون بالوفادات ؛ وذلك للاطلاع على أحوال الرعية والبحث عن الشخص الأكثلر موالاةً لهم ، ونجدهم يغدقون الأعطيات في سبيل نيل الرضى والطاعة.

3 – وفادات المعارضين للحكم الأموي.

إن بعض الوفادات التي كان يقوم بها المعارضون للحكم الأموي على خلفاء بني أمية وولاتهم، وطبيعة المحادثات التي كانت تجري بينهم؛ تبين لنا الطبيعة السياسية لتلك الوفادات.

من المعروف أن طبيعة العلاقة بين بني أمية وبني هاشم اتسمت بالتنافس على الزعامة قبل الإسلام، واستمرت تلك العلاقة بعد الإسلام أيضا، وعندما آلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان بدأ باستخدام سياسة الحلم واللين وإغداق الأموال لاسترضاء المعارضين لحكمه وانتزاع النقمة من نفوسهم [8] لا سيما بنو هاشم، لأنه كان يدرك تماما حقيقة مكانتهم ودرجة تأثيرهم على حكمه، لهذا نجده يتغاضى عن أحاديثهم التي كانوا يسمعونه إياها في مجلسه عند وفادتهم عليه، ومنهم عقيل بن أبي طالب (ت 60هـ/ 680م) [9] الذي وفد عليه يوماً مغضباً لأخيه، فرحب به معاوية وقربه وأوسعه حلماً واحتمالاً، وأمر له بنزل وحمل إليه مالاً كثيراً، ثم قال له يوماً: والله إن علياً غير حافظ لك، قطع قرابتك، وما وصلك، ولا اصطنعك " فقال عقيل:" والله لقد أجزل العطية وأعظمها، ووصل القرابة وحفظها، وحسن ظنه بالله إذ ساء به ظنك، وحفظ أمانته، وأصلح رعيته، إذ خنتم وأفسدتم وجرتم، فاكفف لا أبا لك، فإنه عما تقول بمعزل"[10].

وفيما ذكر أيضا أنه اجتمعت بنو هاشم عند معاوية يوماً، فأقبل عليهم وقال:" يا بني هاشم إن خيري لكم لممنوح، وإن بابي لكم لمفتوح، فلا يقطع خيري عنكم علة، ولا يوصد بابي دونكم مسألة؛ ولما نظرت في أمري وأمركم رأيت أمراً مختلفاً، إنكم لترون أنكم أحق بما في يدي مني، وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقكم قلتم أعطانا دون حقنا، وقصر

([1]) الحارث بن خالد بن العاص ، ولاه عبد الملك بن مروان مكة. ينظر: الأصفهاني،الأغاني، 308/3.
([2]) عبد الملك بن مروان،أحد الخلفاء الأمويين (ت86هـ/705م). ينظر : الزركلي، الأعلام، 165/4.
([3]) ابن عبد ربه،العقد الفريد،229/1-230.
([4]) أبو بكر بن حزم ، من قضاة المدينة، تولى إمارة المدينة. ينظر: صفة الصفوة، 343/1.
([5]) ابن رشيق، العمدة،52/1.
([6]) عثمان بن حيان المري،(ت150هـ/767م) من الغزاة، من أهل دمشق، ولي المدينة في عهد الوليد 93هـ.ينظر: الزركلي، الأعلام، 205/1.
([7]) ابن رشيق، م.س، 1/ 51-52.
([8])اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 312/2.
([9])عقيل بن أبي طالب (ت60هـ/680م) أعلم قريش بأيامها وأنسابها، فصيح اللسان.ينظر: الأصفهاني، الأغاني، 148/5).
([10]) ينظر : ابن عبد ربه، العقد الفريد، 6/4؛ المسعودي، مروج الذهب،3-4/39-40؛ الأبشيهي، المستطرف،84/1.

بنا على قدرنا، فصرت كالمسلوب، والمسلوب لا حمد له، وهذا مع إنصاف قائلكم وإسعاف سائلكم "فرد ابن عباس(ت68هـ/687م) [1] فقال:" والله ما منحتنا شيئاً حتى سألناه، ولا فتحت لنا باباً حتى قرعنا، ولئن قطعت عنا خيرك خيرك لله أوسع منك، ولئن أغلقت دوننا بابك لنكفّن أنفسنا عنك، وأما هذا المال فليس لك منه إلا ما لرجل من المسلمين، ولنا في كتاب الله حقان، حق في الغنيمة، وحق في الفيء، ولولا حقنا في هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله خف ولا حافر، كفاك أم أزيدك؟" فال: كفاني إنك تهر ولا تنبح[2].

ولم تختلف سياسة يزيد بن معاوية تجاه بني هاشم، حيث كانت تقوم على محاولة استرضائهم لا سيما بعد استشهاد الحسين بن عليτ محاولاً الاعتذار عما قام به والي العراق عبيد الله بن زياد في قتله الحسين، فلذلك نجده شديد الحفاوة والتكريم للوافدين من بني هاشم، والأمثلة على ذلك كثيرة منها قدوم عبد الله بن جعفر(ت80هـ/ 700م) [3] عليه، فأجازه بضعف ما كان يجيزه معاوية، محاولاً كسبه إلى جانبه حيث سأله "كم كان عطاؤك" ؟ فقال: ألف ألف، قال: قد ضاعفناها لك، فقال: فداك أبي وأمي وما قلتها لأحد قبلك، فقال: أضعفناها لك ثانية، فقيل ليزيد أتعطي رجلاً واحداً أربعة آلاف ألف؟ قال: ويحكم! إني أعطيتها أهل المدينة أجمعين[4].

يبدو من خلال ما سبق أن علاقة خلفاء بني أمية مع بني هاشم اتسمت باللين والمداراة وإغداق الأموال، محاولةً للتقرب منهم، لأنهم يدركون تماماً قوتهم وتأثيرهم على الناس، وكانوا يتظاهرون بالحرص الشديد عليهم وإدامة صلة القرابة معهم، لذلك كانوا يتغاضون عن أحاديثهم وانتقاداتهم، حيث كان الهاشمي إذا دخل على الخليفة من بني أمية أسمعه غليظ الكلام، وقال له كل قول صعب، ويبدو أن الأمويين لم يأبهوا بمثل هذه الانتقادات ما دامت معارضة لسانية فقط، فهم لا يحولون بين الناس وألسنتهم، ولكنهم وعندما يشعرون بأن المعارضة اللسانية سوف تتحول إلى فعل وحركة؛ كانوا يتصدون لها بكل الوسائل للحد منها، وهذه سياسة وضع أسسها معاوية وسار عليها الخلفاء من بعده[5].

ومن طريف ما يروى عن وفادات المعارضين للبيت الأموي وفادة أروى بنت الحرث بن عبد المطلب(ت 50هـ/...م) [6] على معاوية وهي عجوز كبيرة، فلما دخلت عليه قال:مرحباً بك وأهلاً يا عمة، كيف كنت بعدنا ؟ قالت: "يا ابن أخي؛ لقد كَفَرْتَ يَدَ النعمة، وأسَأْتَ لابن عمك الصُّحْبَة، وتسميتَ بغير اسمك، وأخَذْتَ غير حقك بغير بلاءٍ كانَ مِنْكَ ولا من آبائِك، ولا سابقة في الإسلام، ولقد كفرتم بما جاء به محمد ρ فأتعسَ الله مِنْكُمْ الجُدود، وأضرعَ مِنْكُمْ الخُدود، وردَّ الحق إلى أهله، ولو كره المشركون، وكانت كلمتنا هي العليا، ونبينا ρ هو المنصور، فَوُليتُمْ علينا من بعده، وتحتجّون بقرابتكم من رسول الله ρ، ونحنُ أقربُ إليه مِنْكُمْ وأوْلى بهذا الأمر؛ فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، وكان علي بن أبي طالب τ بعد نبينا ρ بمنزلة هارون من موسى، فغايتنا الجنة وغايتكم النار".

فقال عمرو بن العاص وقد كان حاضراً: كفى أيتُها العجوز الضالة، واقصري من قَوْلك، وغُضي من طَرفك.فقالت: ومن أنت لا أمّ لك؟ قال: عمرو بن العاص، فقالت: يا ابن اللخناء تتكلم! وأمّك كانت أشهر امرأة تُغَنّي بمَكة، وآخَذهُنَّ للأجر، أرْبَع على ظَلْعك واعْنَ بشأن نفسك، فوالله ما أنت من قريش في اللباب من حَسَبها، ولا كريم مَنْصِبها، وقد ادعاك خمسة نفر من قريش، كلهم يزعم أنه أبوك، فَسُئِلَتْ أمُّكَ عنهم فقالت: كلهم أتاني، فانظروا من أشبَهَهُمْ به، فألحقوه به، فغلبَ عليك شبه العاص بن وائل، فَلَحِقْتَ به، ولقد رأيتُ أمّك أيام مِنى بمكة مع كلِّ عبدٍ عاهرٍ فاتم بهم فإنك بهم أشبه.

فقال مروان: كَفَى أيتُها العجوز واقصري لما جِئْتِ له، ساخ بصرك مع ذهاب عقلك، فلا تجوز شهادتك، فقالت:" وأنت أيضاً يا ابن الزرقاء تتكلم ! فوالله لأنتَ إلى سفيان بن الحارث بن كَلَدة أشبه منك بالحَكَم، وأنت لشبهه بزرقةِ عينيهِ وحُمرة شعرك، مع قِصَرْ قامتك...، وظاهر دمامتَه، ولقد رأيتُ الحكم مادّ القامة، وما بينكم قرابة إلا كقرابة الفرس الضامر من الأتان المُقْرَب، فاسأل أمّك تخبرك بشأن أبيك إنْ صَدَقَتْ، ثم التفتت إلى معاوية فقالت: والله ما جَرّأ عليَّ هؤلاء غيرك، وإنّ أمك للقائلة يوم أحد في قتل حمزة – رحمه الله -.

-الرجز-

نَحْنُ جَزَيْناكُمْ بيَوْم بدرٍ والحَرْبُ بعد الحرب ذاتُ سُعُرِ

([1]) ابن عباس بن عبد المطلب (ت68هـ/687م) لازم النبي ρوروى له 1660حديث. ينظر: الزركلي، الأعلام 95/4.

([2]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 10/4-11.

([3]) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (ت70هـ/ 700م) صحابي ولد في الحبشة سمي بحر الجود لكرمه. ينظر: الأصفهاني،الأغاني، 84/5.

([4]) ابن عبد ربه، م، س، 312/1؛ الأبشيهي، المستطرف،174/1.

([5]) الأصفهاني، الأغاني،17/16.

([6]) أروى بنت الحرث بن عبد المطلب (ت50هـ/...م) عاشت إلى زمن معاوية ووفدت عليه، اشتهرت بالفصاحة والبلاغة، . ينظر: معجم أعلام النساء، ص14.

ما كان لي عن عُتْبَةَ مِنْ صَبْرٍ أبي وعمي وأخـي وصهري
فشكر وحشي عليَّ دهري حتى ترم أعظمـي في قبري

فأجبتها:

- الرجز-

يا بِنْتَ جبّارٍ عَظيمَ الكُفْرِ خُزيْتِ في بدرٍ وغيرِ بَدْرِ
صَبَّحَكِ اللهُ قُبَيْلَ الفَجْرِ بالهاشميين الطِّوالِ الزُّهْرِ
بكل قطّاع حسام يفـري حمزة ليثي وعلي صقري

فقال معاوية لعمرو ومروان: ويحكما! وقال لها: عفا الله عما سلف يا خالة، هات حاجتك، فقالت: ما لي إليك حاجة[1].

وقد أضاف صاحب جمهرة خطب العرب في عصورها الزاهرة على الخبر أن المحاورة لم تنته هنا، ويضيف أن معاوية سألها عن حاجتها فقالت: تأمر لي بألفي دينار وألفي دينار وألفي دينار، فقال: وما تصنعين يا عمة بألفي دينار؟ قالت:اشتري بها عينا خرخارة في أرضٍ خَوَّارة؛ تكون لولد الحارث بن عبد المطلب، قال: نعم الوضع وضعته، فما تصنعين بألفي دينار؟ قالت: أُزَوّجُ بها فتيانَ عبد المطلب من أكفائهم، قال: نعم الوضع وضعتها، فما تصنعين بألفي دينار؟ قالت: استعين بها على عسر المدينة، وزيارة بيت الله الحرام، قال: نعم الوضع وضعتها، هي لك نعم وكرامة، ثم قال: أما والله لو كان علي ما أمر لك بها، قالت: صَدَقْتِ، إنَّ عليا أدى الأمانة، وعمل بأمر الله، وأخذ به، وأنت ضَيَّعْتَ أمانتك، وخُنْتَ الله في ماله،فأعطيت مال الله من لا يستحقه، وقد فرض الله في كتابه الحقوق لأهلها وَبَيَّنَها، فلم تأخذ بها، ودعانا علي إلى أخذ حقنا، الذي فرض الله لنا، فشُغِلَ بِحَرْبك عن وضع الأمور مواضعها، وما سألتك من مالك شيئاً فتمُنّ به، إنّما سألتُكَ من حقنا، ولا نرى أخذ شيءٍ غيرَ حقنا، أتذكر علياً؟ فضَّ الله فاك، وأجهد بلاءَكَ، ثم علا بكاؤها وجعلت تندب علياً، فأمر لها بستة آلاف دينار، وقال لها يا عمة: أنفقي هذه فيما تحبين، فإذا احتجت فاكتبي إلى ابن أخيك يُحسِن صفدك ومعونتك، إن شاء الله[2].

هكذا هي سياسة الأمويين في تقريب وارضاء المعارضين للبيت الأموي، فالخليفة لا يألو جهداً في سبيل نيل رضاهم وتجنب نقمتهم.

4- وفادات إلزامية بطلب من الخليفة.

هناك لون آخر من الوفادات على معاوية وبعض الخلفاء الأمويين، وهي أن يؤتى بالشخص مجبراً بطلب من الخليفة، وخير مثال على ذلك عندما كتب معاوية لواليه على البصرة "أما بعد: فانظر عبد الله بن هاشم بن عتبة(ت98هـ/716م) [3]، فَشُدَّ يَده إلى عنقه، ثم ابعث به إليّ" وما كان من والي البصرة إلا أن حمله مقيدا مغلولاً بأمر من الخليفة إلى الشام وأُدخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص فقال معاوية لعمرو، هل تعرف هذا ؟ قال: لا؛ قال: هذا الذي يقول أبوه يوم صفين:

- الرجز-

إني شريتُ النفسَ لما اعتلاَ وَأكْثَرَ اللّوْمَ وما أقلاَ
أعَوْدٌ يَبْغي أهلَهُ مَحَلا قد عالجَ الحياةَ حتّى ملاَ

فتحدث ابن العاص وقال ما قال بحق عبد الله وأوصى بضرورة قتله، فقال عبد الله: "يا عمرو إن أُقتَل فرجلٌ أسلمه قومه[4]، وأدركه يومه، أفلا كان هذا منك أن تحيد عن القتال، ونحن ندعوك للنزال، وأنت تلوذ بسمال النطاف[5]وعقائق النطاف[5]وعقائق الرصاف، كالأمة السوداء والنعجة القوداء[6]، لا تدفع يد لامس". فقال عمرو: أما والله لقد وقعت في في لهاذم[7] شذقم للأقران ذي لبدٍ، ولا أحسبك منفلتاً من مخاليبِ أمير المؤمنين، فقال عبد الله: أما والله يا ابن العاص إنَّكَ لَبَطِرٌ في الرفاء، جبانٌ عند اللقاء، غشومٌ إذا وُلّيت، هَيَّابة إذا لقيت، تَهْدِرُ كما يَهْدِرُ العَوْدُ المنكوس، المقيَّدُ بين مجرى الشول لا يستعجل في المُدَّة، ولا يُرجى في الشِّدة، أفلا كان هذا مثْكَ إذا غَمَرَكَ أقوامٌ لم يُعَنَّفوا صِغاراً، ولم يُمَزَّقوا كِباراً، لهم أيْدٍ شِداد، وألسنةٌ حِداد، يدعمونَ العوَجَ، ويُدْهِبون الحَرَج، يُكْثِرونَ القليل، ويُعِزّونَ الدّليل "فقال عمرو: أما والله لقد رأيتُ أباكَ يومئذ تخفقُ أحشاؤهُ وتَبِق أمعاؤه، فقال عبد الله: يا عمرو إنا قد بلوناكَ ومقالتك فوجدنا لسانك كذوباً وغادراً، خلوتَ بأقوامٍ لا يعرفونك، وجُند لا يسأمونك، ولو رُمْتَ المنطق في غير أهل الشام؛ لجحظ إليك عقلك، ولتلجلج لسانك، ولاضطرب فخذاك اضطراب القعود الذي أثقله حمله".

([1]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 346/1-348 ؛ أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، 380-384.
([2]) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب،ص383-384.
([3]) عبد الله بن هاشم بن عتبة، (ت 98هـ/ 716م). ينظر : الزركلي، الأعلام، 195/4.
([4]) أسلمه قومه: خذله، ابن منظور، لسان العرب، مادة: سلم.
([5]) نطاف. جمع نطفة وهي الماء الصافي، ابن منظور، م. ن، مادة: نطف.
([6]) عقائق الرصاف: الغدران يتجمع فيها الماء. النعجة القوداء: مفردها أقود وهو الذلول ، ابن منظور، لسان العرب.
([7]) لهاذم: القاطع من الأسنان ، ابن منظور، م.ن.

فقال معاوية: إيهاً عنكما، وأمر بإطلاق عبد الله، فقال عمرو لمعاوية:

- طويل-

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني وكان من التوفيق قتلُ ابن هاشم
أليس أبوه يا معاوية الذي أعان عليَّاً يومَ حزِّ الغلاصم[1]

فَرَدَّ عبدُ الله قائلاً:

-طويل-

معـاويَ إنَّ المـرءَ عمراً أبَتْ لـــه ضَغِينَةٌ صَدْرٍ غِشُّـها غَيْرُ نائِمِ
يرَى لك قَتْلي يا ابْنَ هِنْـــدٍ، وإنـما يَرَى ما يَرَى عمرو مُلوكَ الأعاجِمِ
عَلى أنَّـهم لا يقتُلُـونَ أســيرَهم إذا مُنِعَتْ مِنْـهُ عهـودُ المُسـالِمَ
وقد كان منّـا يـومَ صِفِّيـنَ نَفْـرَةٌ عليـك جنـاها هاشم وابن هاشمِ
قَضَى ما انقضى منها وليس الذي مضى ولا ما جَرَى إلا كَأَضْغاثِ حالِمِ
فإنْ تَعْفُ عنـي تعف عن ذي قرابــةٍ وإنْ تَرَ قَتْـلي تَسْتَحِلَّ مَحارمي

فقال معاوية:

- طويل-

أرى العَفْوَ عَنْ عُلْيَا قُرَيْشٍ وَسيلَةً إلى الله في اليومِ العَصيبِ القُماطِرِ

وَلَسْتُ أرى قتلَ العُدَاةِ ابْنَ هاشِمٍ بإدراكِ ثأري في لِـؤَيٍّ وعامِرِ
بل العَفْوَ عَنْهُ بعدَ ما بَانَ جُرْمه وزَلَّت بهِ إحدى الجُـدود العوائر[2]

وقد كتب معاوية بن أبي سفيان إلى عامله على الكوفة؛ أن يوفد عليه الزرقاء ابنة عدي ابن قيس الهمدانية [3]، وأوصاه أن يرسلها مع مجموعة من محارمها وعدد من فرسان قومها، وأوصاه بأن يُمَهِّدَ لها وطأً ليناً ويسترها بستر خصيف، ويوسع لها في النفقة، فأرسل الوالي عامله وقرأ عليها الكتاب فقالت: "إنْ كان أمير المؤمنين جعل الخيار إليَّ فإني لا آتيه، وإنْ كان حتَّمَ فالطاعةُ أولى"، فحملها إليه.

فلما دخلت على معاوية قال: مرحباً وأهلاً، قدمتِ خير مقدم قدِمه وافد، كيف حالك؟ قالت:" بخير يا أمير المؤمنين، أدام الله لك النعمة" قال: كيف كنتِ في سيرك؟ قالت:" ربيبة بيتٍ أو طفلاً ممهداً". قال: بذلك أمرناهم؛ أتدرين فيم بعثتُ إليك ؟ قالت: "أنىّ لي بعلم ما لا أعلم"؟ قال: ألست الراكبة الجملَ الأحمر يوم "كذا وكذا " تَحُضِّينَ على القتال وتوقدين الحرب؟ فما حملك على ذلك؟.

قالت: "يا أمير المؤمنين؛ ماتَ الرأس وبُتِرَ الذَنَبْ، ولم يَعُدْ ما ذهب، والدهور عَجَبْ، ولا يَعْتَبُ مَنْ عَتِبْ، والدهرُ ذو غِيَر، ومن تَفَكَّرَ أبصر، والأمرُ يَحْدُث بَعْدَه الأمر"قال: صدقتِ؛ أتحفظين كلامك يومئذ؟.

قالت: لا والله لا أحفظه، ولقد أُنْسِيتُه، وإنما كان ذلك تَحْريضاً نَطقَ به اللسان، قال لكني أحفظه "لله أبوك حين تقولين : أيها الناس، ارْعَوُوا وارجعوا، إنكم قد أصبحتم في فتنة غَشَّتْكم جلابيبَ الظُّلم...، ليقض الله أمراً كان مفعولاً، ألاَ وإنَّ خِضابَ النساءِ الحِنَّاء، وخضابَ الرجال الدماء، ولهذا اليوم ما بعده" والله يا زرقاء لقد شَرَكْتِ عَلِيَّاً في كل دمٍ سَفَكَهُ بصفين. فقالت:" أحسنَ اللهُ بِشارَتَك، وأدام سلامتَك؛ فمثْلُكَ بَشَّرَ بِخيْرٍ وسَرَّ جَليسَهُ" قال: أويَسُرُّك ذلك؟ قالت: "نعم والله، لقد سُررْتُ بالخبر فأنّى لي بتصديق الفعل".

فضحك معاوية وقال: والله لوَفاؤكم له بعد موتِهِ، أعجبُ من حُبكم له في حياته. أذكري حاجتك. قالت:"يا أمير المؤمنين، آلَيْتُ على نفسي ألاَّ أسألَ أميراً أعَنْتُ عليه أبداً ، ومثْلُك أعطى عن غير مسألة، وجاد عن غير طِلْبة. قال: صدقتِ! وأمر لها وللذين معها بجوائز وكُسا ومال كثير وردَّها إلى الكوفة[4].

نلاحظ من خلال ما سبق أن خلفاء بني أمية امتازوا بالصفح والعفو عن المذنبين الذين كانوا يفدون عليهم، حتى وإن كانوا قد اخطأوا في حقهم، خاصة من أولئك الذين ناصروا علياً، بل كانوا يجيزونهم ويغدقون عليهم، خاصة معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان، لما امتاز به عهدهما من كثرة المعارضة، وما تمتعا به من حكمة وعقلية سياسية،

([1]) الغلاصم: أصل اللسان، ابن منظور، لسان العرب.
([2]) المسعودي، مروج الذهب،3-4/18-20؛ أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص141-144.
([3]) الزرقاء ابنة عدي الهمدانية ،من النساء البليغات، ذات شجاعة كبيرة، كان لها دور مميز في صفين، وفدت على معاوية . ينظر: معجم أعلام النساء،ص362.
([4]) ابن عبد ربه، العقد الفريد،1/338-339؛ الأبشيهي، المستطرف،1/199.

وكان الهدف من وراء هذا كله؛ هو كسب أكبر عدد ممكن من المعارضين إلى صفهم وذلك عن طريق الصفح والعفو وإغداق الأموال.

والعفو عند معاوية يأخذ مداه الواسع في معاملة الوافدين سواء كانوا رجالاً أم نساءً من أصحاب علي، فكان يعفو ويصفح عن الذين ساندوا علياً وشايعوه في حربه ضد معاوية، وهو بذلك يعبر عن الحلم والدهاء الذي امتازت به سياسته وعرف به، وقد خاطبه الوافدون والوافدات بذلك[1].

ثانياً: الوفادات الاجتماعية.

يمكننا القول إن عصر الخلفاء حمل وفادات ذات أبعاد اجتماعية مختلفة، وتتلخص هذه الأبعاد في الظروف الاجتماعية والسياسية الجديدة، التي سادت في ذلك العصر، حيث كانت الدوافع القبلية والارتباطات الإقليمية أكبر باعث لتوليد علاقات جديدة ومنافرات ومفاخرات كانت قد اختفت في العصر الإسلامي، ورغم اختفائها إلا أنها عادت لتنبعث من جديد في عصر بني أمية، بل يمكن القول إن بني أمية عملوا على إذكائها وساعدوا في انتشارها[2].

وفي هذا المجال شاعت تقاليد جديدة ترسخت في الخلافة الأموية تمثلت في إرسال وفود التهنئة والتبريك في الخليفة الجديد والتعزية بمصاب معين،وما إلى ذلك، كما أن هناك وفادات اجتماعية أخرى تأثرت بطبيعة العصر وظروفه المختلفة والجديدة، ولعل أهم أشكال الوفادات الاجتماعية وتقاليدها في العصر الأموي يتمثل فيما يلي:

1 – وفادات التهنئة والتعزية.

أصبح تقديم التهاني والتعازي للخلفاء من التقاليد التي ترسخت في الخلافة الأموية،فقد دأبت أقاليم وأمصار الدولة الإسلامية على إرسال الوفادات إلى عاصمة الخلافة دمشق لنقل التهاني والتعازي في حال تولية خليفة جديد، أو عقد خليفة البيعة في ولاية العهد لأحد أبنائه، أو موت خليفة أو أحد المقربين منه.

وقد كان تقديم التهنئة للخليفة الأموي وتعزيته في آن واحد مدعاة للوفادات التي يمتاز أفرادها بالقدرة الكلامية الفائقة، والبلاغة المميزة، لكي يستطيع الوافد التعبير عن حدثين مختلفين في آن واحد[3].

ومن الأمثلة المميزة على ذلك؛ ما كان بعد وفاة معاوية بن أبي_سفيان وانتقال الأمر ليزيد _من بعده، حيث اجتمعت وفود العرب ببابه للتعزية بالفقيد والتهنئة بالخلافة، ويذكر أن يزيد دخل بيته بعد وفاة معاوية ولم يظهر للناس ثلاثاً، فلما كان في اليوم الرابع خرج إليهم، فصعد المنبر فحمد الله وصلى على النبي وقال:" إنَّ معاوية كان حبلاً من حبال الله، مَدَّهُ الله ما شاء أن يمده، ثم قطعه حين شاء أن يقطعه، وكان دون مَنْ كان قبله، وخيرُ مَنْ بَعْدَه، إنْ يغفر الله له فهو أهله، وإن يعذبه فبذنبه، وقد وُلّيت الأمر بعده، ولست اعتذر بجهلٍ ولا اشتغل بطلب علم، فعلى رسلكم فإن الله لو أراد شيئاً كان، اذكروا الله واستغفروا" ثم نزل ودخل منزله ثم أذن للناس[4].

وقفت الوفود أمام يزيد حائرة أتعزيه بوالده أم تهنئه بالخلافة، ولم يجرؤ أحد على الجمع بينهما، حتى وقف عطاء بن أبي صيفي الثقفي[5]، كما ذكر الجاحظ في البيان والتبيين، فقال: " يا أمير المؤمنين؛ أصبحت قد رُزِئْتَ خليفة الله، وأُعطيتَ خِلافة الله، وقد قضى معاوية نحبه، فغفر الله ذنبه، وقد أُعْطيتَ بعده الرياسة ووُليت السياسة، فاحتسب عند الله أعظم الرزية، واشكره على أعظم العطية[6]. فقال يزيد: أدنُ مني يا ابن صيفي، فدنا منه حتى أجلسه قريباً منه[7].

ثم قام عبد الله بن مازن [8] فقال:" السلام عليك يا أمير المؤمنين؛ رُزِئْتَ خَيْرَ الآباء، وسُميت خير الأسماء، فهنأك الله في العطية، وأعانك على الرعية، فقد أصبحت قريش مفجوعة بعد ساستها، مسرورة بما أحسن الله إليها من الخلافة بك، والعُقبى من بعده، ثم أنشأ يقول:

- الرجز-

اللهُ أعْطـاكَ التي لا فَوْقَـها وقـد أرادَ المُلْحِدونَ عَـوْقَها
عَنْـكَ فيـأبى إلا سـَوْقَـها إليـك حتّى قَلْـدوكَ طَـوْقَها

فقال يزيد: أُدنُ مني يا بن مازن، فدنا حتى جلس قريباً منه[1].

([1]) ينظر:محمد عبد الحي شعبان، صدر الإسلام والدولة الأموية، ص90.
([2]) إحسان النص، الخطابة العربية، ص227.
([3]) المسعودي، مروج الذهب، 3-67/4.
([4]) المسعودي، مروج الذهب، 3-68/4.
([5]) عطاء بن أبي صيفي الثقفي، بالرجوع إلى كتب التراجم والأعلام لم أعثر له على ترجمة.
([6]) الجاحظ، البيان والتبيين،191/2؛ المسعودي، م.س، 4،67/3؛ القيرواني، زهر الآداب، 1-91/2- 92.
([7]) الجاحظ أورد في البيان والتبيين ج 2/ص/132 إن أول من تحدث هو عبد الله بن هَمّامٍ السلولي وهو بذلك يتفق مع باقي الروايات التي تؤكد أنه أول من جمع بين التهنئة والتعزية.
([8]) عبد الله بن مازن بن خماش بن سليمة. ينظر: الزركلي،الأعلام، 137/7.

فقام عبد الله بن همام السلولي فقال: " آجرك الله يا أمير المؤمنين على الرزية، وصبَّركَ على المصيبة، وبارك لك في العطية، ومنحك محبة الرعية، مضى معاوية لسبيله غفر الله له، وأورده موارد السرور، ووفقك بعده لصالح الأمور، فقد رُزئتَ خليلاً، وأُعطيتَ جزيلاً، جئت بعده للرياسة، ووُليتَ السياسة، أصبحت بأعظم المصائب، ومُنِحْتَ أفضل الرغائِب، فاحتسب عند الله أعظم الرزية، واشكره على أفضل العطية، وأحْدِثْ لخالقك حمداً، والله يمتعنا بك ويحفظك، ويحفظ بك وعليك" وأنشأ يقول.

- بسيط –

إصْبِرْ يَزِيدُ فقد فارَقْتَ ذا مَقَةٍ ... واشكُرْ حَباءَ الذي بالمُلْكِ أصفاكا
أصبحتَ لا رزْءَ في الأقوامِ نَعْلمه ... كما رُزِئتَ ولا عُقبى كَعُقبـاكـا
أُعْطيتَ طـاعةَ خَلْقِ الله كلـهمُ ... وأنتَ تَرْعـاهُمْ والله يرعـاكـا
وفي معاوية الباقي لنـا خَـلَفٌ ... إمَّا نُعيتَ ولا نَسْمَعْ بِمَسْعاكـا

فقال يزيد: أُدنُ مني يا بن همام، فدنا حتى جلس قريباً منه[2].
فقام الناس بعد ذلك يعزون بالفقيد ويهنئون بالخلافة، فلما ارتفع عن مجلسه أمر لكل واحدٍ منهم بمال على مقداره في نفسه ومحله في قومه، وزاد في عطائهم ورفع مراتبهم[3].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن صاحب العقد الفريد ذكر أن أول من جمع بين التهنئة والتعزية هو عبد الله بن همام السلولي وليس الثقفي[4]، وصاحب زهر الآداب يورد الخطبة المثبتة هنا بأنها للسلولي وليست للثقفي[5].

ونحن نرى ومن خلال ما وصلنا إليه من مصادر ؛ أنَّ كثرة الروايات تكاد تثبت بشكل قاطع أنَّ أول من خطبَ وقال شعراً جامعاً بين التهنئة والتعزية هو عَبْدُ الله بن هَمّامٍ السلولي.

وعندما توفي عبد الملك بن مروان وجلس ابنه الوليد، دخل عليه الناس وهم حائرون أيعزونه أم يهنئونه، فأقبل غيلان بن سلمة الثقفي(ت23هـ/644م) [6] فسلَّم عليه ثم قال:" يا أمير المؤمنين؛ أصبحت قد رزيت خيرَ الآباء، وَسُمِيتَ خَيْرَ الأسماء، وأعطيتَ أفضل الأشياء، فَعَظَّمَ اللهُ لك في الرزيّة الصبر، وأعطاك في ذلك نوافلَ الأجْرِ وأعانَكَ على حُسْنِ الولاية والشكر، ثم قضى لعبد الملك بخير القضية، وأنزله بأفضل المنازل المرضية، وأعانك من بعده على الرعية " فقال له الوليد: من أنت؟ فانتسب له، قال: في كم أنت؟ قال: في مائة دينار فألحقه بأهل الشرف[7].

ومن وفادات التهنئة الأخرى، ما كان في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيزτحيث أنه وعندما استخلف، قدمت عليه الوفود من كل بلد، وممن قدم عليه وفد أهل الحجاز، وعندما مثلوا بين يديه؛ برز منهم غلام للكلام، فقال عمر:"يا غلام؛ ليتكلم من هو أسن منك " فقال الغلام: يا أمير المؤمنين؛ إنما المرءُ بأصغريْه قَلْبِه ولِسانِه، فإذا منح الله عبده لساناً لافظاً وقلباً حافظاً فقد أجاد له الاختيار؛ ولو أن الأمور بالسن؛ لكان هاهنا من هو أحق بمحلك منك، فقال عمر: صدقت؛ تكلم فهذا السحر الحلال، فقال: "يا أمير المؤمنين؛ نحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة، ولم تُقدِمُنا إليك رغبةٌ ولا رهبة، لأنا قد أمِنّا في أيامك ما خفنا؛ وأدركنا ما طلبنا " فسأل عمر عن سن الغلام،فقيل: عشر سنين[8].

وقد ذُكر في بعض الروايات أن عمر بن عبد العزيز قال للغلام: عِظْني فقال:" يا أمير المؤمنين لا يَغْلِبَنَّ جَهْلُ القوم بك مَعْرِفَتَكَ بِنَفْسِكَ؛ فإن قوماً خَدَعَهُمْ الثناءُ وغَرَّهم الشكر، فزلَّت أقدامهم، فهووا في النار، أعاذك الله من أن تكون منهم، والحق بسالف هذه الأمة " فبكى عمر وقال: اللهم لا تُخلِنا من واعظ[9].

ومن وفادات التهنئة الأخرى على عمر بن عبد العزيز، وفادة خالد بن عبد الله القسري (ت 126هـ/743م) [10] الذي مثل بين يديه وقال: من كانت الخلافة زانته فقد زينتها، ومن كانت شرفته، فقد شرَّفتها، فأنت كما قال الشاعر:

([1]) المسعودي، مروج الذهب،3-4/ 68.
([2]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 270/3؛ 350/4؛ المسعودي، مروج الذهب،3-4/68؛ القيرواني، زهر الآداب 1-2/91-92.
([3]) ابن عبد ربه، م. س، 350/4؛ القيرواني،م. س، 1-2/92.
([4]) ابن عبد ربه، م،س،270/3؛ 350/4.
([5]) القيرواني،م،س، 1-2/91-92.
([6]) غيلان بن سلمة الثقفي وهو بن متعب بن مالك بن كعب بن عمر بن بن سعد بن عوف (ت 23هـ/644م) حكيم وشاعر، أسلم يوم الطائف، وفد على كسرى،ينظر: الزركلي، الأعلام،5/ 124؛ المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 9/2.
([7]) الجاحظ، البيان والتبيين،192/2.
([8]) القيرواني، زهر الآداب،1-2/40 ،41؛ الأبشيهي، المستطرف،72/1؛ المسعودي، مروج الذهب، 3 -4/178.
([9]) القيرواني ، م،س ،1-2/41 ؛ الأبشيهي، المستطرف، 72/1.
([10]) خالد بن عبد الله القسري(ت126هـ/743م)، أمير العراقين، يماني الأصل، ولي مكة 89هـ. ينظر: الزركلي، الأعلام،297/2؛ المبرد، الكامل في اللغة والأدب 37/1.

- خفيف-

وتزيدينَّ أطيَبَ الطيب طيباً أنْ تَمسِّيـه أينَ مِثْلُكِ أينا
وإذا الدّر زانَ حُسْنَ وجـوهٍ كانَ للدُرِّ حُسنُ وجهُكِ زينا

فقال عمر: إن صاحبكم أعطى مِقْوَلاً ولم يُعطِ مَعْقولاً[1].

2- وفادات الشكوى والتظلم:

نشطت وفادات الأقاليم إلى مركز الدولة الأموية دمشق، وذلك بتشجيع من الخلفاء أنفسهم،بهدف عرض المشاكل التي يعاني منها أهل تلك الأقاليم، مطالبةً الخلافة بحل هذه المشاكل، سواء أكانت هذه الوفادات على شكل أفراد أو جماعات، أو حتى وفادات نسائية، وقد حملت هذه الوفادات مظاهر الشكوى والتظلم إلى الخليفة وبث المعاناة، سواء أكانت معاناة فردية تقع على الشخص، أو جماعية تقع على قومه، أو إقليمية تقع على القطر بأكمله كالتظلم من الولاة مثلاً، وقد وجدت وفادات تظلم وشكاوي كثيرة ومتناثرة في كتب الأدب والتاري خ والسير، ولا مجال لحصرها، واكتفينا بالتمثيل عليها، وهي كالتالي:

أولاً :- وفادات الرجال.

أ - وفود عبد العزيز[2] بن زرارة(ت50هـ/670م) [3] وهو سيد أهل الكوفة على معاوية بن أبي سفيان، وعندما أُذِنَ له له بالدخول وقف بين يديه وقال: " يا أمير المؤمنين؛ لم أزل أهزُّ ذوائب الرحال إليك، إذ لم أجد مُعَوَّلاً إلا عليك، أمتطي الليل بعد النهار، وأرسُمَ المجاهل بالآثار، يقودني إليكَ أملٌ، وتسوقني بلوى، والمُجتهدُ يُعذَر...، فقال معاوية: "أحْطُطْ عن راحلتك رحلها" وخرج عبد العزيز بن زرارة مع يزيد بن معاوية إلى الصائفة، فهلك هناك؛ فكتب فيه يزيد إلى معاوية، فقال لزرارة: أتاني اليوم نعي سيد شباب العرب، فقال زرارة: يا أمير المؤمنين هو ابني أو ابنك، فقال بل ابنك فقال:" للموت ما تلد الوالدة"[4].

ب - ومن الوفادات التي تحمل مفهوم الشكوى والتظلم، وتطالب بتحسين الوضع الاقتصادي، وفادة أهل العراق على معاوية وفيهم الأحنف بن قيس، حيث تجمع الوفد بالباب فخرج إليهم الحاجِبُ وقال:" إن أمير المؤمنين يعزم عليكم أنْ لا يتكلم أحد إلا لنفسه"، فلما وصلوا إليه ووقفوا أمامه، وقف الأحنف وقال:"لولا عزيمة أمير المؤمنين لأخبرته أنّ دافة دفت، ونازلة نزلت، وثائبة ثابت[5]، كلهم به حاجة إلى معروفِ أمير المؤمنين وبرِّهِ "فقال معاوية:"حَسبُكَ يا أبا بحر قد كفيتَ الشاهد والغائب"[6].

وقد وفد الأحنف بن قيس مرةً أخرى على معاوية، ونقل له معاناة أهل البصرة جَرَّاء الضيق الاقتصادي بسبب تعاقب الجَفاف الذي حل بمدينتهم، وحالة النزاع والقتال نتيجة للعصبيات القبلية، ما أدى إلى تدهور أوضاعها الاقتصادية فقال:" يا أمير المؤمنين؛ إن أهل العراق عدد يسير، وعظم كسير، مع تتابع من المُحول [7]، واتصال من الدُحول [8]، فالكثير فيها قد أطرق، والمُقِلَّ منها قد أمْلَقْ، وبلغ منه المختلق، فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعش الفقير ويجبر الكسير، ويسهل العسير، ويصفح عن الذحول، ويداوي المحول، ويأمر بالعطاء، ويكشف البلاء، وإن السيد من يعم ولا يخص، ومن يدعو الجفلى[9] ولا يدعو النقرى[10]، إن أُحْسِنَ إليه شكر، وإن أُسيء إليه غفر، ثم يكون من وراء ذلك لرعيته

([1]) الجاحظ، البيان والتبيين، 195/1.
([2]) في صبح الأعشى 304/1 ،ورد الاسم عبد العزى بن زرارة .
([3]) عبد العزيز بن زرارة من بني كلاب (ت50هـ/670م) قائد في زمن معاوية، سماه معاوية فتى العرب. ينظر: الأصفهاني، الأغاني، 128/8.
([4]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 311/1؛ القلقشندي، صبح الأعشى، 304/1؛ أبو علي القالي، الأمالي، 1 -198/2؛ أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص372.
([5]) دافة دفت: أي أن قوم من أهل البادية أقحمتهم السنة؛ ثائبة ثابت: الأضياف يثوبون القوم وينزلون بهم، ابن منظور، لسان العرب.
([6]) الجاحظ، البيان والتبيين، 87/2 -88؛ الأبشيهي، المستطرف، 154/1.
([7]) المحول: الجدب والقحط ، ابن منظور ، لسان العرب ،مادة: محل.
([8]) الذحول: إدراك الثأر،ابن منظور ،م.ن،مادة: ذحل.
([9]) الجفلى: الدعوة العامة،ابن منظور، م،س،مادة: جفل.
([10]) النقرى: الدعوة الخاصة.ابن منظور، م.س، مادة: نقر.

عماداً يدفع عنهم الملمات ويكشف عنهم المعضلات "فقال معاوية:"ها هنا يا أبا بحر [1]، ثم تلا قوله تعالى (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) [2].

يبدو من خلال ما سبق أن معاوية قد استجاب لمطالب الوفد، وامتثل لقول الأحنف ومطالبته بإصلاح وضع أهل العراق، وأهل البصرة بصورة خاصة، وخير ما يدل على هذه الاستجابة،ما أوردناه عند الحديث عن وفادات أدت إلى عزل الولاة، حيث قام معاوية بعزل والي البصرة عبد الله بن عامر الذي ضعف سلطانه.

ج- ويذكر أيضاً أن البادية أصيبت بقحط شديد في عهد الوليد بن عبد الملك، فخرج إليه الفرزدق(ت 110هـ/728م) [3] يشكو له ما يعانيه أهل البادية جراء ذلك، وينقل إليه دعوتهم في طلب الإغاثة والمعونة، حيث مدحه بقصيدة طويلة طالباً مساعدته منها[4]:

-الطويل-

وكم من منادٍ والشريفان دونه	إلى الله يشكو والوليد مَفاقِرُه
بيتُ يُرامى الذئب دون عياله	ولو مات لم يشبع من العظم طائِرُه
فقالوا أغثنا إنْ بلغتَ بدعْوةٍ	لنا عند خير الناس إنَّك زائِرُه
فقلت لهم إن يُبلغَ الله ناقتي	وإياي إني بالذي أنا خابِرُه
فلم أرَ شيئاً غيرَ إقبال ناقتي	إليك وأمري قد تعيَّتْ مصادِرُه[5]

فقال له الوليد: حجتك، قال تملأ إبلاً قمحاً وإبلاً زيتاً وإبلاً دراهم، فأفرقها على أهل البوادي من بابك إلى اليمامة،وتكتب إلى عمالك كلما نَفَدَ شيء أُعيد لي، ففعل[6].

نلاحظ من خلال هذه الوفادات الجرأة الكبيرة في طرح ما يريده الوافد، من خلال الحرية التي أتاحها الخلفاء الأمويون للوافدين في عرض مشاكلهم، كما نلمس الدقة والوضوح في الطرح، بحيث يتمكن الوافد من إقناع الخليفة بصحة وجهة نظره، وعدالة مطالبه، ومشروعيتها، فلذلك كان الخلفاء يستجيبون لها بكل رحابة صدر، وعن طيب خاطر.

د- ونجد في وفادة عقبة بن هبيرة(ت50هـ/670م) [7] الشاعر المخضرم على معاوية جرأة كبيرة في التظلم والشكوى والجور الذي لحق به وبقومه، مطالباً بالحق المسلوب، الشكوى من الخليفة معاوية وولده يزيد اللذيْن قاما باقتطاع أرضهم وإتباعها لأنفسهم، فالشاعر هنا لا يخشى أحداً حتى ولو كان الخليفة، في سبيل المطالبة بحق عشيرته، نجد هذه الشكوى مبثوثة في ثنايا قصيدته التي منها:

- الوافر-

معاويَ إنّنا بشرٌ فأسجحْ	فَلَسْنا بالجبالِ ولا الحديدِ
فَهَبْها أمةً ذَهَبَتْ ضَياعاً	يزيدُ أميرُها وأبو يزيــدِ
أكَلْتُمْ أرْضَنا وجَرَّدتمونا	فهلْ من قائِمٍ أو مِنْ قصيدِ

وهنا نلمس الجرأة على المعتدي ولو كان الخليفة وخاصته؛ الأمر الذي جعل معاوية لا يناقشه لأنه صاحب حق، وأمر له بحقه وأعاد له أرضه[8].

هـ- ومن وفادات الشكوى وطلب المساعدة الأخرى ما حدث من أمر قدوم أحد الوفود على الخليفة هشام بن عبد الملك، وكان فيهم رجل من قريش، وهو أكبرهم سناً، فوقف متوكأً على عصا وقال: "يا أمير المؤمنين؛ إن خطباء قريش قد قالت فيك فأطنبت، وأثنت عليك فأحسنت، والله ما بلغ قائلهم قدرك، ولا أحصى ثناؤهم فضلك، أفتأذن لي بالكلام؟" قال: تكلم، قال: أفوجز أم أطنب؟ قال: بل أوجز، فقال: "تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى، وزيَّنَك بالتقوى، وجَمَع لك خيرَ الآخرة والأولى، إنَّ لي حوائج سأذكرها، لقد كبرت سني، وضعفت قواي، واشتدت حاجتي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسري، وينفي فقري " قال: وما يجبر كسرك وينفي فقرك ؟ قال: ألف دينار وألف دينار وألف دينار، قال: هيهات يا ابن الجهم! بيت المال لا يحتمل هذا، قال: كأنك آليت يا أمير المؤمنين أن لا تقضي إلي حاجة مقامي هذا، قال: ألف دينار لماذا؟ قال: أقضي بها ديْناً فَدَحَني حَمْلُه، وأرهقني أهلُه، قال: نعم المسلك أسلكتها، ديناً قضيت وأمانة أديت وألف

([1]) القيرواني، زهر الآداب،1 -88/2؛ الأبشيهي، المستطرف،67/1؛ أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب،ص363؛ محمد طاهر درويش، الخطابة العربية في صدر السلام، 132/2.

([2]) محمد، 30/47.

([3]) الفرزدق،همام بن غالب(ت110هـ/728م). ينظر:المبرد،الكامل في اللغة والأدب95/1 <6/8

([4]) الزمخشري ، ربيع الأبرار، 423/1-424.

([5]) الفرزدق، الديوان، ص 219.

([6]) الزمخشري، م،س، 424/1.

([7]) عقبة بن هبيرة الاسدي (ت50هـ/670م) شاعر جاهل إسلامي، عاصر معاوية ووفد عليه. ينظر : الزركلي، الأعلام، 240/4.

([8]) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 99/1.

دينار لماذا؟ قال: أُزَوِّجُ بها مَنْ أُدْرِكَ من ولدي، فأشُدَّ بهم عضدي، ويكثر بهم عددي، قال: ولا بأس، أغضضت طرفاً، وحصنت فرجاً، وأمّرتُ نسلاً، وألف دينار لماذا ؟ قال: اشتري بها أرضاً فأعود بفضلها على ولدي، وبفضل فضلها على ذوي قرابتي، قال: ولا بأس، أردت ذخراً، ورجوت أجراً، ووصلت رحماً، قد أمرنا لك بها، فقال: الله المحمود على ذلك، وجزاك الله يا أمير المؤمنين والرحم خيراً، فقال هشام: تالله ما رأيت رجلاً ألطف في سؤال ولا أرفق في مقال من هذا، هكذا ليكن القرشي[1].

و- ومن الوفادات على الخليفة عمر بن عبد العزيز τ، وفادة الشاعر جرير(ت 110هـ/782م)[2] ممثلاً لأهل الحجاز، ناقلاً شكواهم للخليفة بما أصاب بلادهم من جدب وقحط عاد عليهم بالوبال وسوء الحال، وعندما مثل بين يديه استأذنه بالإنشاد فقال: "ما لي وللشعر يا جرير؟" إني لفي شغل عنه، قال: يا أمير المؤمنين إنها رسالة أهل الحجاز، قال: هاتها إذاً. فأنشده:

- بسيط-

كم من ضريرٍ أميرَ المؤمنينَ لدى ... أهْلِ الحِجازِ دَهـاهُ البُؤسُ والضَرَرُ
أصابتِ السنةُ الشَّـهباءُ ما مَلَكَتْ ... يمينُـه فَجنـاه الجُهْدَ والكِبَـرُ
ومن قطيعِ الحشـا عاشت مُخبَّأةً ... ما كانتِ الشَّمسُ تلقاها ولا القَمَرُ
لما اجتَلَتْهُ صُروفُ الدَهْرِ كارِهةً ... قامَتْ تُنادي بأعلى الصَوْتِ يا عُمَرُ![3]

ثانياً:- وفادات النساء .

ولم يقتصر هذا اللون من الوفادات على الرجال دون النساء، فقد كانت هناك وفادات نَسويَّةٌ متعددة وكثيرة على الخلفاء الأمويين، وفي مختلف الأغراض، ومنها ما كان في مجال الشكوى، نورد منها:

أ - وفادة ليلى الأخيلية (ت 80هـ، 700م) [4] على الحجاج (ت 95هـ،...م) [5]، حيث دخلت عليه ومعها جاريتان لها، ويذكر أنه وعندما رآها طأطأ رأسه حتى ظُنّ أن ذقنه أصاب الأرض، ثم قعدت بين يديه، فسألها الحجاج عن نسبها فانتسبت له، فقال لها: يا ليلى ما أتى بك؟ قالت: "إخلاف النجوم، وقلة الغيوم، وكَلَبُ البرد، وشدة الجهد،وكنت بعد الله الرفد " فقال: صفي لنا الفجاج، فقالت:" الفجاج مُغبرَّة، والأرض مُقشعرة، والمِبرك معتل، وذو العيال مختل، والهالك للقل، والناس مُسنتون، رحمة الله يرجون، وأصابتنا سنون مجحفة مبلطة، لم تدع لنا هُبعاً ولا رُبعاً، ولا عافطة ولا نافطة، أذهبت الأموال وفرقت الرجال وأهلكت العيال" [6]، ثم أنشدت شعراً: - الطويل-

أحجاجُ لا يُقْلِلَ سلاحَك إنَّها المنـ ... ـايا بكفِّ اللهِ حَيْثُ تـراها
إذا هَبطَ الحَجاجُ أرضاً مريضـةً ... تَتَبَّعَ أقصـى دائهـا فشفاهـا
شفاها من الدّاءِ العُضال الذي بها ... غلامٌ إذا هـزَّ القنـاةَ سقـاها
فما وَلَدَ الأبكارُ والعـون مثلَـه ... ببحرٍ ولا أرضٍ يَجِـفُّ ثَراها[7]

فالتفت الحجاج وقال: حسبك يا غلام! اذهب إلى فلان وقل له إقطع لسانها، فما كان من الغلام إلا أن أمر بإحضار الحجَّام، فقالت له الاخيلية: ثكلتك أمّك، أما سمعتَ ما قال؟ إنّما أمَرَكَ أنْ تقطعَ لساني بالصِّلَةِ، فبعث إلى الحجاج يستثبته، فاستشاط غضباً وهمَّ بقطع لسانه، وعندما عادت إليه قالت: كاد وأمانة الله أنْ يَقْطع مِقْوَلي[8]، ثم قالت:

- البسيط-

حجاجُ أنت الذي ما فَـوقك أحـدُ ... إلا الخليفةُ والمُستَغْفَرُ الصّمَـدُ
حجاجُ أنْتَ شهابُ الحربَ إنْ لقِحَت ... وأنتَ للناس نورٌ في الدُجى يَقِدُ[9]

([1]) أبو علي القالي، الأمالي، 1 ،147/2.
([2]) جرير الخطفي هو أبو حرزة جرير بن عطية الخطفي (ت 110هـ/ 728م) هو حذيفة بن بدر، يكنى أبو محرز ة. ينظر: الأصفهاني، الأغاني، 5/8.
([3]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 1/321-324).
([4]) ليلى الأخيلية بنت عبد الله بن كعب بن معاوية، من النساء المتقدمات في الشعر، وفدت على معاوية والحجاج. ينظر: الكامل في اللغة والأدب، 250/1 ؛ الأصفهاني، الأغاني، 210/11.
([5]) الحجاج بن يوسف الثقفي، (ت 95هـ/...م) قائد، داهية، سفاك، خطيب، نشأ في الطائف، قاتل الزبير، ولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، وأضاف اليها العراق. ينظر: الأصفهاني، الأغاني، 62/3.
([6]) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 407-408.
([7]) ليلى الأخيلية، الديوان، ص244 ؛ الديوان ، ص88 .
([8]) ينظر: أبو علي القالي، الأمالي، ،84/2 ؛ الأبشيهي، المستطرف 67/1؛ القيرواني، زهر الآداب،3-1005/4.
([9]) ليلى الأخيلية،الديوان، ص208 ، الديوان، ص36.

ب - ومن وفادات النساء المميزة الأخرى في مجال الشكوى والتظلم، ما كان من وفادة سودة بنت عمارة بن الأشتر [1] على معاوية، حيث استأذنت فأُذِنَ لها، فقال لها معاوية: كيف أنت يا ابنة الأشتر؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين. قال: ألست القائلة لأخيك:

- الكامل-

شمِّرْ كَفِعْلِ أبيكَ يا بنَ عمارةٍ يومَ الطِّعان ومُلْتقى الأقران
وانْصرْ علياً والحسينَ ورَهْطَه واقصد لهندٍ وابنَـها بهَوان[2]
إنَّ الإمـامَ أخـا النبي مُحَمَّـدٍ عَلَمُ الهُـدى ومَنَارةُ الأيمان

قالت: يا أمير المؤمنين؛ مات الرأس، وبُتر الذنب، فدع عنك تذكار ما قد نُسي، وبالله أسال يا أمير المؤمنين؛ إعفائي مما استعفيته، قال: قد فعلت، فقولي حاجتك، فقالت: "يا أمير المؤمنين؛ إنك للناس سيد، ولأمورهم مُقَلَّد، والله سائلك عما افترضه الله عليك من حقنا، ولا زلت تقدم علينا ما ينهض بعزك، ويبسط سلطانك، فيحصدنا حصاد السنبل، ويدوسنا دياس البقر، ويسومنا الخسيسة، ويسألنا الجليلة، هذا بسر بن أرطأة قدم بلادي، وقتل رجالي، وأخذ مالي، ولولا الطاعة لكان فينا عِزٌّ ومنعة، فإما عزلته فشكرناك، وإما لا فعرفناك، "فقال معاوية: إياي تهددين بقومك؟ والله لقد هممت أن أردك إليه على قتب أشرس فينفذ حكمه فيك، فسكتت ثم قالت:

- البسيط-

صلى الإلهُ على رُوحٍ تَضَمّنَهُ قبرٌ فأصبحَ فيه العدلُ مدفونا
قد حَالفَ الحَقَّ لا يبغي به ثمناً فصارَ بالحق والإيمان مقرونا

قال: ومن ذلك؟ قالت علي بن أبي طالب رحمه اللهَ، قال: ما أرى عليك له أثرا، قالت: "بلى والله، لقد أتيته يوماً في رجل ولاه صدقاتنا فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين، فوجدته قائماً يصلي، فانفتل من صلاته وقال برأفةٍ وتعطف، أَلَكِ حاجةٌ؟ فأخْبَرْتُه خَبَرَ الرجل، فبكى ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إني لم آمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقك، وكتب إليه وَعَزَلَه. فقال معاوية: اكتبوا لها بالإنصاف والعدل عليها، فقالت: إليَّ خاصة أم لقومي عامة؟ قال: وما أنت وغيرك؟ قالت: هي والله الفحشاء واللؤم، إن لم يكن عدلاً شاملاً وألا يسعني ويسع قومي، قال: اكتبوا إليها بحاجتها[3].

ثالثاً: وفادات النصح والإرشاد.

حملت بعض الوفادات أغراضاً دينية أو عقائدية؛ لما للناحية الدينية من أهمية في حياة الناس والمجتمع في تلك الفترة، وكانت تلك الوفادات التي على الخلفاء الأمويين والولاة تهدف إلى نصحهم وإرشادهم وحثهم على التمسك بالشريعة الإسلامية وعدم الابتعاد عنها، لما فيها من صلاح أمر الأمة، يدفعهم إلى ذلك شعورهم الديني ومصلحة الأمة، وبالمقابل كان الخلفاء الأمويون يحتفون بالوافدين إليهم من الوعاظ والعلماء والفقهاء، وكانوا يستقدمونهم ليستنيروا بنصائحهم وإرشاداتهم التي تنفذ إلى القلوب وتترك صداها في نفوسهم، فكانت تذكرهم بالله عز وجل والدين وحرماته والرسول الكريم وسنته، والسلف الصالح وآثارهم، واليوم الآخر، ووجوب التزام الحق وحرب الباطل والتبصير بحقوق الله عز وجل والعباد، وما للناس في أعناقهم من أمانة وعهود، ووجوب الحكم بالسوية، والعدل في الرعية، وكانت بعض تلك النصائح والمواعظ تصل حد التقريع والتعنيف[4].

أ- تعد المحاورة التي دارت بين سليمان بن عبد الملك(ت99هـ/717م) [5] وأبي حازم الأعرج (ت140هـ/...م) [6]، الذي الذي كان يفد عليه باستمرار، خير دليل على ما ذهبنا إليه من قول في هذا المجال، حيث مثلت هذه الوفادة رسالة العالم الجليل في تقديم الموعظة لأولي الأمر وإرشادهم إلى طريق الحق، عالم لا تأخذه في الله لومة لائم، وكانت إجابته عن أسئلة سليمان بصراحة متناهية، وجرأة كبيرة، لأن هدفه هو مرضاة الله عز وجل، والعمل بالقول واللسان لحث أُولي الأمر لتطبيق مبادئ الإسلام، حيث سأله سليمان لماذا نَكْرَهُ الموت؟ قال: "لأنكم عَمَّرْتُم دنياكم وأخربتم آخرتكم، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب[7].

لقد كان جريئاً في إجابته، صريحاً كل الصراحة في بيان سبب كراهية الخليفة للموت، فسأله الخليفة ما المخرج لما نحن فيه؟ فقال:" تنظر إلى ما عندك فلا تضعه إلا في حقه، وما ليس عندك فلا تأخذه إلا بحقه" قال: ومن يطيق ذلك يا

([1]) سودة بنت عمارة بن الاشتر، امرأة شاعرة، وفدت على معاوية وكانت حادة معه.ينظر: تاريخ دمشق، 178 .
([2]) ابن هند: معاوية، وأمه هند بنت عتبة، وهي تريد له الذل والهوان والنصر لعلي.
([3]) ابن عبد ربه، العقد الفريد،1/335-336؛ أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص 375.
([4]) إحسان النص، الخطابة العربية، ص250.
([5]) سليمان بن عبد الملك، احد الخلفاء الأمويين (99هـ/717م) ولي بعد وفاة الوليد، عام 96هـ امتدت الفتوحات في عهده . ينظر: الأصفهاني، الأغاني،75/7.
([6]) أبو حازم الأعرج وهو سلمة بن دينار ابو حازم المدني(ت140هـ/...م) وفد على سليمان بن عبد الملك.ينظر:الجوزي، صفوة الصفوة، 354/1.
([7]) المسعودي، مروج الذهب، 169/3.

أبا حازم؟ قال: "فَمِنْ أجل ذلك مُلِئَت جهنم من الجنّ، والناس أجمعين، قال: ما مالك؟ قال: "مالان، هما الثقة بما عند الله، واليأسُ مما في أيدي الناس". قال: ارفع حوائجك إلينا. قال: "هيهات، قد رفعتها إلى مَنْ لا تُحْتَزَل الحوائجُ دونه، فإنْ أعطاني منها شيئاً قبلت، وإن زوى عني منها شيئاً رضيت"[1].

وقد تحدث أبو حازم عن المحسن والمسيء، فالمحسن يأتي أهله مسروراً والمسيء كالعبد الآبق يأتي مولاه محزوناً، وعندما سُئِلَ عن أفضل الأعمال قال: أداءُ الفرائض مع اجتناب المحارم، وعن أفضل القول يقول: كلمةُ حقٍ عند من تخاف وترجو، وأعقل الناس من يعمل بطاعة الله، وأجهل الناس من باع آخرته بدنيا غيره[2].

وفي ختام المحاورة قال له سليمان بن عبد الملك: عظني، فأوجز فقال: "يا أمير المؤمنين؛ نزِّه ربك وَعَظِّمْهُ بحيث يراك تجتنب ما نهاك عنه، ولا يفقدك من حيث أمرك به "فبكى سليمان، فقال له بعضُ الحاضرين: ويحك ! لقد أسرفت على أمير المؤمنين، فقال: "إن الله عز وجل أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه "ثم خرج، فبعث له الخليفة بمال فرده [3].

نلاحظ أن هذه الوفادة، بل هذه الموعظة موجزة في كلماتها، عميقة في معانيها،فيها تأكيد على الإيمان بالله والتبصير بحقوقه، وهو لا يأبهُ إنْ أعْجَبَ ذلك الخليفة أم لم يُعْجِبْهُ، لأن واجبه كعالم ورجل دين هو تذكير الخليفة، وهو لا ينتظر جزاء ذلك الشكر أو جزيل العطاء من الخليفة، حيث نراه قد رَدَّ المال المقدم له، الأمر الذي يدل على أنّه لا يبحث عن الدنيا وعرضها، وهو لا يبغي من وراء مواعظه إلا مرضاة الله، وصلاح أمر الخليفة؛ الذي يقود إلى صلاح الرعية، وتثبيت تعاليم الدين العظيم.

ب- ومن الوفادات التي كانت تهدف للنصح والإرشاد لدى الخلفاء، ما كان من الأعرابي الذي وفد على سليمان بن عبد الملك فقال:" يا أمير المؤمنين؛ إني أكلمك بكلام فاحتمله، فإن وراءه إن قبلته ما تحبه" قال: هاته يا أعرابي، فإنا نجود بسعة الاحتمال على من لا نأمن غيبته، ولا نرجو نصيحته، وأنت المأمون غيباً، الناصح جيباً، قال:" إني سأطلق لساني بما خرست عنه الألسن، تأديةً لحق الله تعالى؛ إنه قد اكتنفك رجالٌ أساءوا الاختيار لأنفسهم، وابتاعوا دنياك بدينهم، ورضاك بسخط ربهم، وخافوك في الله ولم يخافوا الله فيك، فهم حربٌ للآخرة، وسَلَمٌ للدنيا، فلا تأمَنْهُمْ على ما ائتمنك الله عليه؛ فإنهم لم يألوا الأمانة تضييعاً، والأمة كسفاً وخسفاً، وأنت مسئول عما اجترموا، وليسوا مسئولين عما اجترم ت؛ فلا تُصلح دنياهم بفساد آخرتك؛ فإن أعظم الناس عند الله غبناً من باع آخرته بدنيا غيره".فقال سليمان:" أما أنت يا أعرابي فقد سللت لسانك وهو سيفك". فقال:" أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك"[4].

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز، والذي عُرِفَ بِشدّة ورعه وتقواه وزهده وحرصه على إقامة العدل وإحقاق الحق، فإنه كان من أكثر خلفاء بني أمية استقداماً للعلماء والأتقياء، طلباً للنصيحة والإرشاد والوعظ للاستعانة بهم في حكم الرعية وتطبيق مبادئ الإسلام.

([1]) الجاحظ، البيان والتبيين، 139/3؛ المسعودي، م.س،167/3.
([2]) المسعودي،م.س، 168/3.
([3]) ابن عبد ربه، العقد الفريد ،120/3-121؛ الجاحظ، م،س، 128/3،127 ؛ المسعودي، م،س، 169/3؛ أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب ص417.
([4]) القيرواني، زهر الآداب،1-303/2.

ج- فعندما آلت إليه الخلافة استقدم كلاً من سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب(ت 106هـ/ 725م) [1] ومحمد بن كعب القرظي (ت118هـ/...م وقيل 129هـ) [2] ورجاء بن حيوة(ت112هـ/ 730م) [3]، ليسترشد بآرائهم، فقال لهم:" إني قد بُليتُ بهذا البلاء فأشيروا عليّ فقال سالم بن عبد الله:" إن أردت النجاة غداً من عذاب الله، فصُمْ عن الدنيا، وليكن إفطارك فيها عند الموت " وقال محمد بن كعب:" إن أردت النجاة غداً من عذاب الله تعالى؛ فليكن كبيرُ المسلمين عندك أباً، وأوسَطُهُم عندك أخاً، وأصغَرهم عندك ولداً، فبرَّ أباك، وارحم أخاك، وتحنن على ولدك " فقال ابن حيوة:" إن أردت النجاة غداً من عذاب الله تعالى فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم متى شئْتَ مُتْ"[4].

وقد ذُكر أن الكعبي قال له أيضاً: "لا تتخذنَّ وزيراً إلا عالماً، ولا أميناً إلا بالجميل معروفاً، وبالمعروف موصوفاً؛ فإنهم شركاؤك في أمانتك، وأعوانُك عل أمورك؛ فإن صَلحوا أصْلحوا، وإنْ فَسِدوا أفْسدوا"[5].

ويذكر أيضاً أن سالم السديوفد على عمر بن عبد العزيز وكان من خاصته فقال له عمر: أسرّك يا سدي ما وُلّيْتَ ؟ قال:" سَرَّني للناس وساءَني لك " فقال: إني أخاف أنْ أكون أوبقت نفسي، فقال:" ما أحْسَنَ حالَك إذا كُنْتَ تخافُ، إني أخافُ عليك أنْ لا تخافَ " قال: عِظني. فقال:" أبونا آدم خرج من الجنة بخطيئة واحدة[6].

رابعاً: وفادات التكسب المادي.

حرص خلفاء بني أمية على أن يكونوا دائما قادةً مميزين قادرين على ضبط الأمور وإدارتها والسيطرة عليها، خاصة في ظل الخلافات الكثيرة والظروف السياسية المعقدة متمثلةً بكثرة المعارضة والفرق الدينية والسياسية المختلفة.

لقد كان لزاماً على البيت الأموي أن يقوم بكل ما بوسعه ما أجل المحافظة على السلطان، وهذا يعني حاجتهم لكل الأصوات المساندة لهم، لا سيّما أصوات الشعراء والذين حرصوا على أن يكونوا وسيلة الإعلام في القصور، ولسان حال الرعية التي تنقل للخليفة تطلعاتهم وآراءَهم، ونتيجة لإدراك الخلفاء للأهمية البالغة للوافدين على بلاطهم، والشعراء على وجه الخصوص،الأمر الذي دفعهم للحفاوة البالغة بهم وإكرامهم وإغداق الأموال عليهم، وقد تفنن الشعراء في المدائح لهم، والتي وصلت إلى حد التملق أحيانا، فقد وصفوهم بالمنصورين دائماً من الله، لأنهم ينتهجون سنة المصطفى ρوهم الذين استخلفهم الله في الأرض للدفاع عن الدين ونصرته، فجرير مثلاً يصف عبد الملك بن مروان بأنه ركن الدين والحفيظ على أحكام الشرع، ولولاه لما اجتمع المسلمون في صلواتهم بالمساجد، إلى آخر ذلك من وصف يصل إلى درجة التملق والمبالغة[7] ومن أمثلة ذلك قوله:

- البسيط-

لولا الخليفـةُ والقرآنُ يقرأُه ... ما قامَ للناس أحكامٌ ولا جُمَعُ
أنتَ الأمينُ أمينُ اللهِ لا صَرِفٌ ... فيما وُليتَ، لا هيَّابـةٌ ورِعُ
أنْتَ المُبارَك يَهْدي اللهُ شيعَتَه ... إذا تَفَرّقتِ الأهواءُ والشِّيَعُ[8]

إنَّ قيام بني أمية باحترام الشعر والشعراء والإغداق عليهم، شجعهم على التسابق للوصول إلى أبواب الخلفاء والولاة من أجل مدحهم، واستغلال هذا المديح في سبيل التكسب، ونيل الجوائز والحصول على الأعطيات، مما كان له كبير الأثر في تطور الشعر وتجويده؛ بالبحث عن المعاني الجديدة والأوصاف التي ترضي الممدوحين وتنال رضاهم، وعليه يمكننا القول إن تطور فن المديح انطلق ليحقق أهدافاً مزدوجة لكلا الطرفين، الخلفاء في سبيل ترسيخ حكمهم، والشعراء في سبيل الحصول على الهبات والأعطيات[9].

([1]) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت 106هـ/725م) من التابعين وعلمائهم، أحد فقهاء المدينة السبعة ينظر: الزركلي ،الأعلام،71/3.

([2]) محمد بن كعب القرظي وهو محمد بن كعب بن سليم القرظي المدني(ت118هـ،وقيل 129هـ).

([3]) رجاء بن حيوة وهو رجاء بن حيوة بن جندل بن الأحنف بن امرؤ القيس الكندي (ت112هـ/730م) شيخ أهل الشام، من الوعاظ، لازم عمر بن عبد العزيز . ينظر: الزركلي، الأعلام، 17/13؛ المبرد، الكامل في اللغة والأدب،368/2).

([4]) الأبهيشي، المستطرف،106/1؛ أبو علي القالي، الأمالي،308/2.

([5]) أبو علي القالي، م.س،29/2.

([6]) المسعودي، مروج الذهب،3-175/4.

([7]) الحوفي، أدب السياسة،ص146-148.

([8]) جرير، الديوان، ص355.

([9]) محمد عبد المنعم الخفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، ص54 وما بعدها.

قبل الدخول في تفصيل وفادات التكسب يمكننا القول: إنّ الشعر كان سياسياً، يمتزج فيه عنصر الدعاية بالمدح الشخصي، ولهذا أفرد بنو أمية مكانةً خاصةً له، فتحوا أبوابهم لكل وافد على هذه الشاكلة، فبذلوا الأعطيات وأغدقوا الأموال بسخاء، فكان ذلك كله مدعاة لكثرة الوفادات عليهم.

أ- ومن الأمثلة على هذا اللون من الوفادات ما كان من وفادة رجل من بني ضِبَّة على الخليفة عبد الملك ابن مروان، حيث وقف أمامه مادحاً بقوله:

- الكامل –

واللهِ ما نَدْري إذا مـا فاتَنـا طلبٌ إليكَ مَنْ الذي نَتَطَلَّبُ
فلقد ضَرَبْنا في البلادِ فَلَمْ نَجِدْ أحداً سِوَاكَ إلى المكارمِ يُنْسَبُ
فاصْبِرْ لعادَتِنا التي عَوَّدْتَنـا أولا فأرْشِدْنا إلى مَنْ نَذْهَبُ

فقال عبد الملك: إليّ إليّ!وأمر له بألف دينار، ثم أتاه في العام المقبل فقال:

- الطويل-

يَرُبُّ الذي يأتِي مِن الخَيرِ إنّهُ إذا فَعَلَ المَعْروفَ زادَ وتَمّما
وليسَ كبـانٍ حينَ تمَّ بنـاؤه تَتَبّعَـهُ بالنّقْضِ حتّى تَهَدّمـا

فأعطاه ألفي دينار، وأتاه في العام الثالث فقال: -طويل-

إذا استُمْطِروا كانوا مَغازيرَ في النَّدَى يَجُودُونَ بالمَعْرُوفِ عَوْداً على بَدْءِ

فأعطاه ثلاثة آلاف دينار[1].

وقد كان الخلفاء على دراية تامة بالشعر وفنونه، وكان بعضهم بمثابة الحَكَمْ والناقد لبعضه، فعندما وفد الشعراء عمر بن أبي ربيعة وكثيِّر عزة (ت 105هـ/723م) [2] وجميل (ت 82هـ/701م) [3] على عبد الملك بن مروان قال لهم: أنشِدوني أرَقَّ ما قُلتُم في الغواني، فأنشده جميل بن معمر:

- الطويل-

حلفتُ يميـناً يا بُثَينـةُ صادقـاً فإنْ كُنْتُ فيها كاذبـاً فَعَميتُ
إذا كان جلدٌ غيرَ جِلْـدِكِ مَسّني وباشَرَني دونَ الشّعَارِ شَرِيتُ[4]
ولو أنَّ راقي الموتِ يَرْقي جنازتي بمَنطِقِها في الناطقينَ حَيَيتُ[5]

وأنشده كثير فقال:

-الكامل-

بأبي وأمي أنتِ من مظلـومـةٍ طَبِنَ العـدوُّ لها فغيَّر حـالهـا
لو أنَّ عزةَ خاصمت شمس الضحى في الحسنِ عند مُوّفقٍ لقضى لها
وسعى إليَّ بصَرمِ عزةَ نِسوةٌ جَعَلَ المليكُ خُدُودَهُـنَّ نِعَالها[6]

وأنشد ابن أبي ربيعة فقال:

-الطويل-

ألا ليتَ قبري يومَ تُقضى مَنِيَّتي بِتِلكَ التي بَيْنَ عَيْنَيْكِ والفَمِ
وليتَ طهوري كان ريقَكِ كُلَّـهُ وليتَ حُنوطي من مُشاشكِ والدَّمِ
ألا ليت أُمَّ الفضل كانت قرينَتي هنـا أو هنـا في جَنَّةٍ أو جَهنّـمِ[7]

فقال عبد الملك لحاجبه: أعط كل واحد منهم ألفين، وأعط صاحب جهنم عشرة آلاف[8].

ب- ومن طريف ما ذكر عن وفادات الشعراء على الخلفاء والولاة، ما كان من النابغة الجعدي الذي اقتحم المسجد على ابن الزبير وهو في صلاة الفجر وأنشده:

-الطويل-

([1]) أبو علي القالي، الأمالي،1-283/2.
([2]) كثير بن عبد الرحمن الخزاعي،(ت 105هـ/723م) شاعر متيم، وفد على عبد الملك، توفي في المدينة . ينظر : الزركلي، الأعلام،219/5.
([3]) جميل بن معمر العذري (ت82هـ/701م) شاعر من عشاق العرب، وفد على عمر بن عبد العزيز. ينظر: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 69/1؛ الأصفهاني، الأغاني، 95/5.
([4]) شريت: يقال أشرى جلده، خرج عليه الشرى، وهو بثور صغيرة لونها أحمر حكاكة، ابن منظور، لسان العرب،مادة: شرى.
([5]) جميل بن معمر، الديوان، ص29.
([6]) كثير عزة ،الديوان ،ص394. *طَبِنَ: فَطِنَ ،ابن منظور ، لسان العرب، مادة طبن.
([7]) عمر بن أبي ربعة، الديوان، ص369.
([8]) أبو علي القالي، الأمالي،2/66-67.

حَكَيْتَ لَنـا الصِّدِّيقَ حِينَ وَلِيتَنَـا وَعُثْمانَ والفارُوقَ فَارتَاحَ مُعْدِمُ
وَسَوَّيْتَ بَيْنَ النَّاسِ في العَدْلِ فاسْتَووْا فَعَادَ صَبَـاحاً حَالِكُ اللَّيْلِ مُظْلِمُ
أتاكَ أبُـو لَيْـلى يَشُـقُّ بِهِ الـدُّجَى دُجَى اللَّيْلِ جَوَّابُ الفَلاةِ عَثَمْثَمُ[1]
لِتَرْفَعَ مِنْـهُ جانبـاً مُدْ دَعْدَعَتْ بِهِ صُرُوفُ اللَّيالِي والزَّمَانُ المُصَمِّمُ[2]

فقال له الزبير: هون عليك يا أبا ليلى؛ فإن أيسر وسائلك عندنا الشعر، أما صفوة أموالنا فلبني أسد، وأما عقوقها فلآل الصديق، ولك في بيت المال حقان، حقٌ لِعُصْبَتِكَ رسول الله ρ، وحقٌ بحقك في المسلمين، ثم أمر له بسبع قلائص وراحلةٍ رحيل، ثم أمر بأن توقر له حباً وتمراً، فجعل أبو ليلى يأخذ التمر فيستجمع به الحب فيأكله، فقال له ابن الزبير: لشدَّ ما بلغ منك الجهدُ يا أبا ليلى[3].

ج- ومن الوفادات النسائية بهدف التكسب ما كان من وفادة ليلى الأخيلية على معاوية، حيث يسير إذ رأى راكبا، فقال لبعض شرطته، ائتني به وإياك أن تروعه، فأتاه فقال: أجب أمير المؤمنين معاوية، فقال: إياه أردت، فلما دنا الراكب وحدَر لثامه، فإذا هو ليلى الأخيلية، فأنشأت تقول:

- الوافر-

معاويَ لَمْ أكَدْ آتيكَ تَهْوى برَحلي نحو ساحَتِكَ الرِّكابُ.
تجوبُ الأرضَ نَحْوَكَ ما تأنَّى إذا ما الأكمَ قَنَّعَها السّرابُ.
وكنتَ المُرتَجى وبكَ استغاثت لِتُنْعشها إذا بَخِلَ السَّحـابُ[4]

فقال: ما حاجتك؟ قالت: ليس مثلي يطلب إلى مثلك حاجة، فتخيّر أنت! فأعطاها خمسين من الإبل؛ ثمّ قال: أخبريني عن مُضَرَ، قالت: فاخر بمضر، وحارب بقيس، وكاثر بتميم، وناظر بأسد[5].

د- ويذكر أيضاً أنها وفدت على عبد الملك بن مروان وقد أسنّت فقال لها: ما رأى فيك توبةٌ حتى هويك؟ قالت: ما رآه الناس فيك حين ولوك، فضحك عبد الملك وأمر لها بجائزة[6].

هـ- ومن وفادات الشعراء الأخرى على الخلفاء، وفادة جرير الخطفي الشاعر على عبد الملك بن مروان ومدحه إياه طمعاً في عطاياه، وكان جرير قد نزل البصرة قبل ذلك، فسمع به الحجاج واستنشده، فمدحه بشعرٍ كثير[7] منها قوله:

- الكامل-

مَنْ سدَّ مُطَّلَعَ النِّفاق عليكُمُ أم مَنْ يَصولُ كصَوْلةِ الحَجّاج

وقوله:

- الوافر-

دعا الحَجّاجُ مثلُ دُعاءِ نُوحٍ فأسمعَ ذا المعارجِ فاستجابا[8]

واستمر على هذا الحال في مدح الحجاج إلى أن وصلت شهرته للخليفة عبد الملك، فبعث به إليه، ويقال أرسله مع ابنه محمد[9] وعندما مثل بين يدي عبد الملك بن مروان مدحه بقصيدة منها: -

-الوافر-

تَعَـزَّتْ أمُّ حَـرْزَةَ ثُمَّ قالـتْ رَأيتُ المورِدِينَ ذَوِي لِقاحِ
تُعِلِلُ وَهِيَ سـابِغَةٌ بنيهـا بأنْفاسٍ مِنَ الشَّـمِ القَـراحِ
سأمْتَـاحُ البُحُـورَ فَجَنِّبينـي أذاةَ اللَّوْمِ وَانْتَظِري امْتِياحِي
ثِقِي بِاللهِ لَيْسَ لَـهُ شَـرِيكٌ وَمِنْ عِنْدِ الخَلِيفَةِ بِالنَّجـاحِ[10]
أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا وَأنْدى العالَمينَ بُطُونَ راحِ[11]

([1]) عثمثم: الجمل القوي الشديد، ابن منظور، لسان العرب، مادة: عثم.
([2]) النابغة الجعدي، الديوان، ص157-152.
([3]) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 330/2؛ الأصفهاني، الأغاني، 5 -32/6-33.
([4]) القيرواني، زهر الآداب،3-1002/4-1003.
([5]) القيرواني، م.ن ،3-1002/4-1003.
([6]) ابن قتيبة، الشعر والشعراء،449/1.
([7]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 320/1.
([8]) جرير، الديوان، ص17،90؛ ابن قتيبة، م، س، 449/1.
([9]) الأصفهاني، الأغاني، 7 -70/8-71؛ الخبر ورد في الأغاني، 7 -18/8 باختلاف كبير.
([10]) الموردون: أصحاب الإبل يوردونها الماء. لقاح: جمع لقحة، وهي الناقة في أول إنتاجها.أم حرزة: إحدى زوجاته.تعلل أبنائها: تشغلهم. سابغ: جائعة. النفس من الماء: الجرعة. الشبم البارد: القراح الصافي. امتاح: استقى من الميح. أندى: أجود، ابن منظور، لسان العرب.
([11]) جرير، الديوان، ص97-98.

ولم يلبث أن أخذ يهاجم من ثار على عبد الملك، مثل عمرو بن الأشدق، وتحدث عن فتنة ابن الزبير، وكيف عالجها الخليفة وقضى عليها، ومضى يمدح الخليفة وأسرته، وأنهم هم الجديرون من بين القرشيين بالخلافة، متحدثاً عن انقياد الأمة له واجتماعها تحت لوائه[1].

- الوافر-

فَما شَجَراتُ عِيصكَ في قُرَيْشٍ بِعَشَّاتِ الفُرُوعِ ولا ضَواحي[2]
رَأى النّاسُ البَصيرَةَ فاسْتَقاموا وَبَيَّنَتْ المراضُ مِنَ الصَّحاحِ[3]

لم يستطع الخليفة إخفاء إعجابه الشديد بهذا الشعر، حيث كان متكئاً فاستوى جالساً، وقال: من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت.
ثم قال له: يا جرير أترى أم حرزة ترويها مئة ناقة من نَعَمِ كلب ؟ قال:" إذا لم تُروِها يا أمير المؤمنين فلا أرواها الله " فأمر له بمائة ناقة من نَعَمِ كلب، كلها سود الحدقة، فقال:" يا أمير المؤمنين، إنها أباق، ونحن مشايخ وليس بأحدنا فضل على راحلته، فلو أمرت بالرعاء، فأمر له بثمانية من الرعاء، وكانت بين يدي عبد الملك صحاف من فضة يقرعها بقضيب في يده، فقال له جرير: والمِحْلَبْ يا أمير المؤمنين، وأشار إلى صحيفة منها؛ فنبذها إليه بالقضيب، وقال: خذها لا نفعتك[4]. وفي ذلك قال جرير:

-البسيط-

أعْطوا هُنَيْدَةَ يَحْدوها ثمانيةٌ ما في عَطائِهِم مَنٌّ ولا سَرَفُ[5]

ويعد جرير في هذه القصيدة ليس مادحاً فحسب، بل هو محامٍ عن عبد الملك وحكمه، يدافع عن حقه في الخلافة ويهاجم خصومه، وهو من هذه الناحية يعد شاعراً سياسياً بالمعنى التام، شاعراً يحامي ويدافع عن نظرية الأمويين في الحكم ويناضل عنهم، وما يزال يسدد سهامه إلى خصومهم، وهو في ذلك يحفهم بإطار رائع من التقوى والعمل الصالح مقرراً أن شيعتهم على الحق، وأن من يخالفهم من الشيع أهل باطل وأهواء وبدع[6]، حيث يقول:

-البسيط-

لولا الخَليفَة والقرآن يقرأه ما قام للنّاس أحكامٌ ولا جُمَعُ

إلى قوله....

يا آلَ مَروانَ إنَّ الله فَضَّلَكُمْ فَضْلاً عَظيماً على مَنْ دينُهُ البِدَعُ[7]

وبعد وفاة عبد الملك لزم ابنه الوليد، وله فيه مدائح كثيرة، ولزم ابنه عبد العزيز أيضا، وساهم في تشجيع الوليد لتنحية أخيه سليمان عن ولاية العهد، والبيعة لابنه عبد العزيز...، وبقي لدى الخلفاء الأمويين مادحاً مسترفداً إلى أن جاء عهد عمر بن عبد العزيز، فانتقل يمدحه إلا أن موقفهτ من الشعر والشعراء كان مغايراً، ومع ذلك فقد ظلَّ يمدحه في كثير من قصائده ، وكانت له وفادات كثيرة عليه[8].

ومن وفادات الشعراء على الخلفاء، وفادة الفرزدق على سليمان بن عبد الملك والتي تعد أول وفادة له على الخلفاء الأمويين، ومدحه قائلاً:

-الطويل –

تَرَكْتُ بَنِي حَرْبٍ وكانوا أئِمَّةً وَمَرْوانَ لا آتِيهِ، وَالمُتَخَيِّرا
أباكَ، وَقَدْ كانَ الوَليدُ أرادَني لِيَفْعَلَ خَيْراً أوْ لِيُؤمِنَ أوْجَرَا[9]
فما كُنْتُ عَنْ نَفْسي لأرْحَلَ طائعاً إلى الشأم حتى كُنْتَ أنْتَ المُؤَمَّرا[10]

([1]) شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص282.
([2]) ضواحي: الشجرة عثة الفروع دقيقة الأغصان. الضاحية: بادية العيدان ولا ورق لها، ابن منظور، لسان العرب.
([3]) جرير، م. س ، ص99.
([4]) ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد،321/1؛ الأصفهاني، الأغاني،7-73/8؛ القالي، ذيل الأمالي، 42/1 -44؛ ابن قتيبة، الشعر والشعراء،168/1.
([5]) جرير، الديوان، ص389. هنيدة: اسم المائة من الإبل، ابن منظور،لسان العرب.
([6]) شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص283.
([7]) جرير، م،س، ص355-356.
([8]) الأصفهاني، الأغاني، 7 -52/8؛ شوقي ضيف،العصر الإسلامي، ص284.
([9]) أي أنه لم يذهب حين دعاه الوليد في حينه على الرغم من تأكده بأن الخليفة لم يكن يريد له إلا الخير، وإنه سوف يؤمنه من خوفه، ولكنه سافر إلى الشام مسرعاً ودون تردد عندما علم أنّ الخليفة اليوم هو سليمان بن عبد الملك.
([10]) الفرزدق، الديوان، ص 176- 177.

ومنذ ذلك أصبح الفرزدق من شعراء بني أمية الذين يدعون لهم ويدافعون عن خلافتهم، مضفين عليهم هالةً قدسية من التقوى والبر، تحفها المبالغة المسرفة، ومثال ذلك قوله في سليمان بن عبد الملك أيضاً[1].

-الكامل-

أنتَ الذي نَعَتَ الكتابُ لنا ... في ناطق التوراة والزُّبُرِ
كم كان من قِسٍ يُخَبِّرُنا ... بخلافة المهدي أو حَبْرِ

جعلَ الإلهُ لنا خِلافتَهُ ... بُرْءَ القُروح وَعِصْمَةَ الجَبْرِ[2]

الوفادات في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز

أما في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز τ فأمْر الشعراء كان مختلفاً تماماً، ولم يكن الأمر كما عهدوه مع باقي الخلفاء، فبمجيئه بدأت سياسة جديدة للدولة، في الدين والدنيا، وجمع إلى العدل والتواضع والنزاهة والرحمة، الزهد والتقوى والورع والعفة، والسهر على أمور الرعية، فكان شبيهاً بجده عمر بن الخطاب τ[3]، وتتحدث مصادر التاريخ وكتب الدراسة عن مواقفه من الشعر والشعراء الشيء الكثير، وكان يقول دائماً مالي وللشعر؟ إني لفي شغلٍ عنه، وكان لا يسمح للشاعر بالإنشاد أمامه إلا في حالات معدودة، وللصالح العام، فعندما وفد عليه جرير مثلا وطلب منه الإذن بالقول رفض، فقال جرير: إنها رسالة أهل الحجاز، فقال: هاتها، وقد مر ذكر الأبيات كاملة في موضع آخر[4].

وقد وفد كثيِّر والأحوص(ت105هـ/723م)[5] ونصيب(ت108هـ/726م)[6] على عمر بن عبد العزيز كعادتهم في وفاداتهم على الخلفاء الأمويين بهدف التكسب، فمكثوا ببابه أربعة أشهر لم يؤذن لهم، وبعد عناء شديد أُذِنَ لهم بالدخول، فقال كثيِّر: "يا أمير المؤمنين؛ طال الثواء، وقلت الفائدة، وتحدث بجفائك إيانا وفود العرب" قال: "يا كثيِّر؛ (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ)[7]؛ فأي واحد من هؤلاء أنت"؟. فاستأذنه بالإنشاد فقال: نعم ولا تقل إلا حقاً فقال كثيِّر[8]: كثيِّر[8]:

-الطويل-

وُليتَ فَلَمْ تَشْتم علياً ولا تُخِفْ ... بَرياً وَلَمْ تَقْبَل إشارة مُجْرِمِ
وَصَدَّقْتَ بالفِعْلِ المقامَ مع الذي ... أتيْتَ فَأمسى راضياً كلّ مُسْلِمِ

إلى أنْ قال..

ولَوْ يَسْتطيعُ المسلمون لَقَسَّموا ... لك الشطرَ مِنْ أعمارِهم غَيْرَ نُدَّمِ
فاربحْ بها من صفقةٍ لِمُبايعٍ ... وأعظمْ بها أعظِم بها ثُمَّ أعظمِ[9]

فقال: إنك مسئول عما قلت، ثم تقدم الأحوص، واستأذنه في الإنشاد، فقال: قُل ولا تَقُل إلا حقاً[10] فقال:

-الطويل-

وما الشِّعْرُ إلا حكمةٌ من مؤلِّفٍ ... بمَنطِقِ حَقٍّ أو بمَنطِقِ باطِلِ
فلا تَقْبَلَنْ إلا الذي وافَقَ الرِّضا ... ولا ترْجعَنَّا كالنِّساءِ الأرامِلِ

إلى أن قال...

وقَبْلَكَ ما أعطى الهُنَيْدَةَ جِلَّةً ... على الشعرِ كَعْباً من سَدِيس وبازل

([1]) ابن قتيبة، الشعر والشعراء،410/1؛ المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 150/1؛ شوقي ضيف،العصر الاسلامي،ص272.
([2]) الفرزدق،الديوان، ص230-236.
([3]) محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، 236/2.
([4]) ابن عبد ربه، العقد الفريد،321/1- 322.
([5]) الأحوص وهو بن عبد الله أمية بن عبد شمس بن عبد مناف (ت 105هـ/ 723م) شاعر هجاء من طبقة جرير والأخطل والفرزدق، وفد على الوليد بن عبد الملك . ينظر: الزركلي، الأعلام، 116/4.
([6]) نصيب (ت 108هـ/ 726م) شاعر فحل، تنسك في آخر عمره.ينظر: الزركلي، الأعلام، 31/8.
([7]) التوبة : 9/ 60.
([8]) ابن عبد ربه، م،س، 324/1-325؛ الأصفهاني، الأغاني، 9-296/10؛ ابن قتيبة، الشعر والشعراء،505/1.
([9]) ابن عبد ربه، العقد الفريد ، 324/1-325.
([10]) ابن عبد ربه، م.ن، 327/1 ؛ الأصفهاني،الأغاني 7-51/8.

رَسولُ الإلهِ المُسْتَنارُ بِنـورِهِ عليه سلامٌ بالضُـحى والأصـائل[1]

فقال: إنك مسؤول عما قلت، ثم تقدم نصيب، فاستأذنه في الإنشاد؛ فلم يأذن له، وأمره بالغزو إلى دابق، فخرج إليها وهو محموم، وأمر للأحوص بثلاثمائة درهم ولكثير مثلها،ولنصيب مئة وخمسين[2].

وقد ذكر أيضاً أن الشعراء وفدوا على عمر بن العزيز مرةً أخرى، كما كانت العادة بالنسبة لهم، ولم يؤذن لهم، فبعثوا بعبد الله بن عتبة بن مسعود ليتوسط لهم لدى الخليفة، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنّ النبي ρ قد مُدِحَ وأعطى، وفيه أُسوة لكل مُسلِم...، فقال من بالباب منهم؟ قال: عمر بن أبي ربيعة، قال: أليس هو القائل[3]:

- الطويل-

ألا ليْتَ أنّي يَوْمَ حانَتْ مَنِيَّتي شَمَمْتُ الذي بَيْنَ عَيْنَيْكِ والْفَمِ[4]

والله لا دخل علي أبداً، ومن بالباب غيره؟ قيل: جميل بن معمر العذري، فقال: هو الذي يقول:

- الطويل-

ألا ليْتَنا نَحْيا جَميعاً وإنْ نَمُتْ يُوافي لدى المَوتى ضَريحي ضَريحها[5]

فوالله لا دخل على ابدأ، فمن بالباب غيره؟ فذُكرَ الفرزدق والأخطل فلم يأذن لهما، وذُكرَ جرير الخطفي، فأذِنَ له، فدخل عليه يقول[6]:

- البسيط –

إنّ الذي بَعَثَ النبيّ محمداً جَعَلَ الخِلافَـة في إمامٍ عادل
وَسِعَ الخَلائِقَ عَدْلُه ووفاؤه حتى ارْعَوَى وأقام مَيْلَ المائِل[7]

فلما مثل بين يديه قال: اتق الله يا جرير، ولا تقل إلا حقاً[8] فقال:

-البسيط-

كَمْ باليَمـامةِ مِنْ شعثاءَ أرمَلَـةٍ ومِنْ يَتيمٍ ضَعيف الصَّـوتِ والنّظر
مِمَّنْ يَعدُّوكَ تكفـي فَقدَ والدهِ كالفَرخ في العُشِّ لم يَنْهَض ولَمْ يَطِر
يَدْعوكَ دعوةَ ملهـوفٍ كأنّ بهِ خَبَلاً مِنَ الجـنِّ أوْ مَسّاً من النَّشَـر
خليفـة الله ماذا تأمُـرَنَّ بِنـا لسْنـا إليكم ولا فـي دارِ مُنْتظـر
إنّا لَنَرْجـو إذا ما الغَيْثُ أخْلَفَنا مِنَ الخَليفـةِ ما نرجـو مِنَ المَطـر
نالَ الخِلافـة إذْ كانتْ له قدراً كمـا أتى ربَّـه موسى علـى قَـدَر
هذي الأرامِلُ قَدْ قضَّيتُ حاجَتَهـا فَمَـن لِحاجَةِ هذا الأرْمَـلِ الذَّكَـر[9]

فقال عمر: إن عندي أربعين ديناراً وخلعتين، وأنا مُقاسمك ذلك، فخرج من عنده فسأله من بالباب من الشعراء، ما وراءك؟ قال: ما يسوؤُكُمْ !خرجت من عند أمير يعطي الفقراء ويمنع الشعراء، وإني عنه لراضٍ[10].

ومن وفادات التكسب الأخرى ما كان من وفادة رجل من أهل يثرب يُعرَف بالأسلمي، على المهلب بن أبي صفرة في العراق، ولما مثل بين يديه وقف وقال:" أصلح الله الأمير؛ إني قد قطعت إليك الدهناء، وضربتُ أكباد الإبل من يثرب، فإنه أشار عليّ بعض ذوي الحِجى [11] والرأي، بقَصْدِكَ لِقضاء حاجتي، فقال: هل أتيتنا بوسيلة ؟ أو بقرابة عشيرة؟ فقال: لا ولكني رأيتك أهلاً لقضاء حاجتي، فإن قُمْتَ بها فأنت أهل لذلك، وإن يَحُل دونها حائل، لم أذم يومك، ولم أيأس من غدك، فقال المهلب لحاجبه: اذهب وادفع إليه ما في خزانة مالنا الساعة، فأخذه ودفع له ثمانين ألف درهم، فلم يملك

([1]) ابن عبد ربه،م .س،325/1-326؛ الأصفهاني،م،س، 9-297/10
([2]) ابن عبد ربه،العقد الفريد ، 326/1، يريد كعب بن زهير :والسديس من الإبل: الذي دخل في السنة الثامنة، والبازل الذي فطر نابه أي انشق.
([3]) ابن عبد ربه،م،ن، 325/1-326 ؛ الأصفهاني،الأغاني، 9-298/10.
([4]) عمر بن أبي ربيعة، الديوان، ص329؛ ابن عبد ربه، م.س، 327/1.
([5]) جميل بن معمر العذري، الديوان،ص34.
([6]) ابن عبد ربه، م. س، 329/1 ؛ الأصفهاني، م .س، 7-51/8.
([7]) جرير، الديوان،ص415.
([8]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 329/1؛ الأصفهاني،الأغاني، 7،-8/ 51-52.
([9]) جرير، الديوان، ص275.
([10]) الأصفهاني،م،س،7،52/8 ؛ الأبشيهي، المستطرف،89/1-90؛ خبر وفادة الشعراء على عمر بن عبد العزيز وردت في العقد الفريد بشكل كامل 323/1-330.
([11]) ذوي الحجى: أصحاب الرأي والمشورة، ابن منظور، لسان العرب، مادة: حجى.

نفسه فرحاً، فقال له الأمير: هل ما وصلك يقوم بقضاء حاجتك ؟ فقال: نعم أيها الأمير؛ وزيادة، فقال الأمير: الحمد لله على نجاح سعيك، واجتنائك جني مشورتك، وتحقق ظن من أشار عليك بقصدنا "فوقف الأسلمي وقال:

-البسيط-

يا مَن على الجُودِ صاغَ اللهُ راحَتَهُ فليس يُحْسِنُ غير البَذْلِ والجُودِ
عَمَّتْ عطاياكَ أهلَ الأرضِ قاطِبَةً فأنتَ والجودِ منحوتان مِنْ عُودِ
من استشارَ قَبابُ النَّجْحِ مُنْفَتحٌ لديه فيما ابتغاهُ غَيْرُ مَردودِ[1]

نلاحظ من خلال سؤال المهلب للأسلمي، ما إذا كان من عشيرته أو من ذوي قرابته، حيث أنَّ بعض الوافدين كانت تدفعهم دواعي القرابة والمصاهرة، إلى الطمع في العطاء والمنح، إذ كان يمثل ذلك دافعاً لعطائهم.

ومن الوافدين الذين دفعتهم القرابة للوفادة على الخلفاء زيد بن منية التميمي (ت 37هـ/657م)[2] الذي وفد على معاوية من البصرة، فشكا إليه ديناً لزمه. فقال معاوية لحاجبه، أعطه ثلاثين ألفاً، وليوم الجمل ثلاثين ألفاً أخرى، ثم قال له: الحق بصهرك، فقدم على عتبة بن أبي سفيان(ت44هـ/664م)[3] بمصر، فلحق به ومثل بين يديه وقال: "إني سرت إليك شهرين، أخوض فيهما المتآلف، ألبسُ أردية الليل مرة، وأخوضُ في لُحَجْ السراب أخرى، موقراً من حسن الظن بك، وهارباً من دهر فطم، ودين لزم، بعد غنى جَدَعْنا به أُنوف الحاسدين فلم أجد إلا إليك مهرباً، وعليك مِعْوَلاً " فقال عتبة بن أبي سفيان: مرحباً بك وأهلا، إنّ الدهر أعاركم غِنى، وخلطكم بنا، ثم استرد ما أمكنه أخذه، وقد أبقى لكم منا ما لا ضيقة معه، وأنا واضع يدي ويدك بيد الله "وأعطاه ستين ألفاً[4].

خامساً: وفادات علمية.

كانت الوفادات التي ترد على الخلفاء الأمويين، والأحاديث التي كانت تجري بينهم تتسم بسمات ثقافية متنوعة، بعضها يتعلق بتدوين الحديث النبوي الشريف، والبعض الآخر منها حول الاهتمام بالأنساب والقصص والأخبار الماضية والمعارف الأخرى، كما تركت وفادات الشعراء والخطباء والبلغاء،واهتمام الخلفاء بهم أثارها على الشعر والخطابة، كان له أثر غير مباشر على ازدهار الحركة الأدبية في العصر الأموي، كما أفرزت هذه الوفادات اهتمام الخلفاء وتقديرهم للعلم والعلماء.

ومن الأمثلة على اهتمام الخلفاء والولاة بالعلم والعلماء ما كان من عبد الملك بن مروان عندما كتب إلى الحجاج قائلاً:" أن ابعث إليّ رجلاً يصلح للدين والدنيا أتخذه سميراً وجليساً وخليلاً، فقال الحجاج: ما له إلا عامر الشعبي (ت103هـ/721م)[5]، وبعث به إليه، فلما دخل عليه وجده قد كبا مهتماً، فقال: ما بال أمير المؤمنين؟ قال: ذكرت قول زهير:

-الطويل-

كأنّي وقد جاوزتُ سبعينَ حِجَّةً خلعتُ بها عني عِذار لِجامي
رَمَتْني بَناتُ الدَّهْرِ مِنْ حيث لا أرى فَكَيْف بِمَنْ يُرْمى وليس برامي[6]

فقال له الشعبي: ليس كذلك يا أمير المؤمنين؛ ولكن كما قال لبيد بن ربيعة، وقد بلغ سبعين حجةً:

- الطويل-

كأني وقد جاوزت سبعينَ حِجةً خلعتُ بها عن مَنْكِبَيَّ ردائِيا

ولما بلغ سبعاً وسبعين سنة قال:

- البسيط-

باتت تشكّى إليَّ النفسُ موهِنةً وقد حملتُكِ سبعاً بعدَ سبعينا
فإن تُزادي ثلاثاً تُبْلِغي أمـلاً وفي الثلاثِ وفـاءٌ للثمانينا

ولما بلغ تسعين قال:

-الكامل-

وَلَقَد سَئِمْتُ مِنَ الحيـاةِ وطـولها وسؤال هذا الناس كيف لبيـدُ

---

(1) الأبشيهي، المستطرف،1/100-101.
(2) زيد بن منية التميمي، (ت 37هـ/ 657م) أول من أرخ الكتب، صحابي من الولاة، استعمله أبو بكر على حلوان .ينظر: الأصفهاني، الأغاني،11/388).
(3) عتبة بن أبي سفيان (ت44هـ/664م) أمير مصر، توفي في الإسكندرية. ينظر: الزركلي، الأعلام،4/200؛ المبرد، الكامل في اللغة والأدب،1/403.
(4) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 1/210.
(5) عامر الشعبي وهو عامر بن شراحيل بن عبد الهمداني الشعبي(ت 103هـ/ 721م) من التابعين،.ينظر: الزركلي، الأعلام،3/251.
(6) زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص107.

ولما بلغ عشراً ومائة قال:

- الطويل-

أَلَيْسَ ورائي إنْ تراخَت مَنِيَّتي لزوم العصا تُحني عليها الأصابع[1]

ولما بلغ ثلاثين ومائة وحضرته الوفاة قال:

-الطويل-

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مُضَرْ
فقوما وقولا بالذي تعلمانَه ولا تخمِشا وجهاً ولا تحلقا شعرْ
وقولا هو المرءُ الذي لا صديقه أضاعَ ولا خانَ الخليل ولا غدرْ
إلى سنةٍ ثم السلام عليكما ومَن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذر[2]

قال الشعبي: فلقد رأيت السرور في وجه عبد الملك طمعاً في أن يعيشها[3].

ومن الوفادات الأخرى التي تقع ضمن الوفادات العلمية ما روي عن اجتماع كل من راوية جرير، وراوية نصيب، وراوية جميل، وراوية الأحوص، وراوية كثير، وافتخر كل واحد منهم بصاحبه، وادعى بأنه الأشعر، واختلفوا كثيراً، وأجمعوا في نهاية الأمر بأن يلجأوا للسيدة سكينة بنت الحسين رضي الله عنها (ت117هـ/730م) [4] لتحكم بينهم، وذلك لعلمها وتبصرها بالشعر، فدخلوا عليها، وذكروا لها ما كان بينهم فقالت لراوية جرير: أليس صاحبك الذي يقول:

-الكامل-

طَرَقَتْكَ صائِدةُ القلوب وليس ذا وقتُ الزيارة فارجعي بسلام[5]

وأي زيارة أحلى من الزيارة بالطروق، قبّح الله صاحبك وقبّح شعره، فهلا قال: فادخلي بسلام، ثم قالت لراوية كثيِّر، أليس صاحبك الذي يقول:

-طويل-

يقر بعيني ما يقرُ بعينها وأحسن شيء ما به العين قرّتْ[6]

وليس شيء أقر بعينها من النكاح، أيحب صاحبك أن ينكح ؟ قبّح الله صاحبك وقبح شعره. ثم قالت لراوية جميل، أليس صاحبك الذي يقول:

فَلَوْ تَرَكَتْ عقلي مَعي ما طَلَبْتُها ولكنْ طِلابيها لِما فاتَ مِنْ عَقْلي[7]-طويل-

فما أراه هوى، وإنما طلب عقله، قبّح الله صاحبك وقبح شعره، ثم قالت لراوية نصيب أليس صاحبك الذي يقول:

أهيمُ بِدَعْدٍ ما حييتُ فإن أمُتْ فَوا حُزني مَن ذا يَهيمُ بها بعدي[8]-طويل-

فما له هِمَّةٌ إلا مَن يتعَشَّقها بعده، قبحه الله وقبح شعره، هلا قال:

- طويل-

أهيمُ بِدَعْدٍ ما حييتُ فإنْ أمُتْ فلا صَلَحَتْ دعدٌ لذي خُلَّةٍ بعدي

وقالت لراوية الأحوص أليس صاحبك الذي يقول:

-الكامل-

من عاشقين تواعدا وتراسلا ليلاً إذا نجم الثريا حلقا
باتا بأنعم ليلةٍ وألذها حتى إذا وضح الصباح تفرقا[9]

قبحه الله وقبح شعره، هلا قال: تعانقا.

فلم تثن على أحدٍ منهم، وأحجم الرواة وتفرقوا[1].

([1]) لبيد بن ربيعة، الديوان، ص 185؛ 50؛ 80.
([2]) لبيد بن ربيعة، م.س، ص73.
([3]) ابن عبد ربه، العقد الفريد،1/316-318.
([4]) سكينة بنت الحسين، (ت117هـ/730م) شاعرة نبيلة، من أجمل النساء، كان لها مجلس أدبي تحكم به بين الشعراء، تزوجت من مصعب بن الزبير . ينظر: ازركلي،الأعلام،3/109.
([5]) جرير، الديوان، ص551.
([6]) كثير عزة ، الديوان،ص107،ويقول محقق الديوان بأنها نسبت لكثير .
([7]) جميل بن معمر، الديوان، ص130.
([8]) الأبشيهي، المستطرف، ص 88.
([9]) الأبشيهي، المستطرف، ص89.

المبحث الثالث: الخصائص الفنية لأدب الوفادة في العصر الأموي.

لقد شهد العصر الأموي حركة أدبية واسعة؛ كنتيجة طبيعية للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها الدولة في العصر الأموي، فعندما نشأ الخلاف بين المسلمين على الخلافة وظهرت الحزبية، ثم تطور الخلاف إلى حرب بين معاوية والإمام علي τ، واستشهد في نهايتها الإمام، وظفر معاوية بالخلافة، كان من نتائج ذلك أن انقسم المسلمون أحزابا وشيعاً، ففي الشام حزبٌ يشايع بني أمية، وفي الحجاز حزب يؤيد عبد الله بن الزبير، وفي العراق حزب يؤيد العلويين ويعمل على استرداد حقهم في خلافة الرسول ρ، وإلى جانب ذلك هناك حزب الهاشميين، وحزب الخوارج الذي ينظر للخلافة نظرة ديمقراطية تقوم على الشورى، وينكر ما عداه من الأحزاب[2].

ومنذ أن بدأت الدولة الأموية ومعاوية يسعى إلى تثبيت ملكه من خلال إحياء روح العصبية القبلية التي أدت إلى انقسام العرب وتناحرهم، وحتى إلى العصبية العنصرية بين العرب والعجم، واتباع سياسة الدهاء والحزم وبذل الأعطيات، حتى استقرت له ولبني أمية الأمور، إلى أن جاء عبد الملك بن مروان، فاشتدت المعارضة وكثر المطالبون بالخلافة، وامتد سلطان العرب، وزاد دخل الدولة واكتمل شباب الجيل الذي نشأ في الإسلام، وبدأ يستمتع بخيرات الفتوح وجمال الحضارة، ويختلط بأجناس شتى من الناس، ويساهم بسنانه ولسانه في الفتن والثورات التي واجهت الدولة الأموية.

كل ذلك كان له أثره في نهضة الأدب العربي الإسلامي، فقد زحم الشعر الأموي بنفسه في هذه الاضطرابات والعصبيات، فما كان له أن يقف بمعزل عن كل هذه المثيرات، بل كان على العكس تماما، لأنه مثل وسيلة الإعلام شبه الوحيدة في التعبير عن وجهة نظر الحزب أو الجماعة، خاصة أن العرب جميعا كانوا قد ساهموا في هذه الخصومات، حيث وصلنا إلى حالة شعرية نادرة،إذ تحول الشعر إلى صناعة وتوفر بكثرة[3].

وكان من الطبيعي بعد أن استقر الحكم لبني أمية؛ أن تظهر حركة أدبية واسعة متأثرة بالظروف السابقة، وحاملةً للأفكار والآراء التي تراوحت ما بين الشكوى وقضاء الحوائج، ورفع المظالم، واستقصاء الأعطيات والمنح، والموعظة، والتهنئة والتعزية وغير ذلك من الأغراض[4].

امتد العهد الأموي ما بين(41-132هـ)، من معاوية بن أبي سفيان، الخليفة الملك المؤسس، وانتهاءاً بمروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، وكانت هناك اختلافات بين خليفة وآخر وفي كل المجالات، إلا أنهم جميعاً تقريباً كانوا يشجعون مثل هذه الوفادات، وكانوا يسعون أحيانا إلى استقدام الوافدين من مختلف أقاليم الدولة الإسلامية، وذلك لتحقيق أغراض متعددة، على رأسها العمل على تثبيت دعائم الحكم لبني أمية، وغير ذلك من الأغراض سالفة الذكر، كل هذا وذاك أوجد حركة واسعة من الوفادات متعددة الأغراض، وكانت تخضع لتقاليد وآداب سبق ذكرها[5].

ومن الطبيعي أن كل حركة أدبية؛ كان من اللازم أن يرافقها حركة نقدية، في كل الاتجاها ت والتحركات يتأثر بها ويؤثر فيها، وقد وجدنا بيئات نقدية ازدهرت في العصر الأموي، مثل بيئة الحجاز وباديتها، وبيئة العراق، وبيئة الشام، كلها كان لها عظيم الأثر في الأدب بشقيه الشعر والنثر، الأمر الذي ينطبق على الوفادات[6].

إن هذه الوفادات كان مركزها ومسرحها قصر الخليفة أو ديوان الوالي، حيث نجد الخلفاء الأمويين أنفسهم كان لهم دورٌ أساسي وهام في التأثير في أدب الوفادة بشقيه الشعر والنثر، إذ أنهم كانوا؛ علاوة على اهتمامهم بالشعر وتقديمهم له، ناقدين لهذا الشعر أو النثر، فكان يزيد بن معاوية مثلاً شاعراً وأديباً، حيث قال عن نفسه عندما بويع بالخلافة بعد وفاة معاوية "وقد وليت الأمر من بعده، ولست أعتذر بجهل، ولا أشتغل بطلب علم" [7] وهذا يؤكد أنه كان على درجة عالية من العلم، وكان عبد الملك بن مروان مغرماً بالشعر والأدب مشجعاً له، ولهذا كانت مجالسه تعج بالشعراء والأدباء، فتحول قصر الخلافة في عهده إلى منتديات أدبية، وكان عبد الملك نفسه يحكم بين الشعراء وينتقد الشعر مبيناً محاسنه وهفواته، ويجيز الأفضل تشجيعاً له، لهذا فقد وفد عليه الشعراء بكثرة لافتة للنظر بالمقارنة مع باقي

([1]) الأبشيهي، م.ن،1/88-89.
([2]) ينظر: شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص70.
([3]) ينظر: عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص103-105.
([4]) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه،ص70.
([5]) الأسطل، الوفود في العهد المكي،ص16.
([6]) عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص106.
([7]) المسعودي،مروج الذهب، 3-67/4

الخلفاء، وكان من أهم الوافدين عليه شعراء النقائض جرير والأخطل والفرزدق، حيث طلب منهم يوماً أن ينشده كل واحد منهم بيتاً يمدح به نفسه، فنجده حكم لجرير حين قال:

- الوافر-

أنا الموتَ الذي آتى عليكمُ فليس لهاربٍ منه نجاءُ[1]

فقال: خذ المال يا جرير فأنت أشعرهم، فلعمري إن الموت أتى على كل شيء.

ولم يقتصر دور خلفاء بني أمية على استقدام الوفادات، وحث الشعراء والخطباء على القول وإجازة المحسن، ونقد الأدب، بل تعداه إلى تدخلهم في أغراض الشعر حيث كان لهم دور في دفع الشعراء لابتكار معان جديدة، وصياغة قصائدهم بعناية فائقة، فعبد الملك بن مروان كان يدعو ويشجع الشعر الذي يتضمن الأوصاف الدينية والأخلاق،والصفات الحميدة، ولهذا نراه يقول للأخطل الذي وفد عليه ليمدحه بقصيدة، إن كنت شبهتني بالصقر والأسد فلا حاجة لي في مدحتك، وإن كنت كما قالت الخنساء لأخيها صخر فهات، فقال الأخطل. وما قالت يا أمير المؤمنين؟ قال[2]:

- الطويل-

وما بلغ المهدون في القول مدحةً ولو أطنبوا إلا الذي فيك أفضل

وجارك محفوظٌ منيعٌ بنخوةٍ من الضيم لا يبكي ولا يَتَذلّل[3]

من الواضح هنا أن عبد الملك بن مروان قد أسهم بعمله هذا، وباتجاهاته تلك؛ بالنهضة الأدبية التي شهدها العصر، فقد شجع الرواة والشعراء على القول والتنافس، ولم يقتصر الدور عليه وحده، فالوليد بن عبد الملك أيضاً كان يكرم الشعراء ويشجعهم، وكان سليمان بن عبد الملك يعقد المجالس الأدبية للشعراء، وقد طلب منهم يوماً أن يقول كل واحد منهم قصيدة يذكر فيها مآثر قومه ولا يكذب، وجعل لمن يتفوق جائزة، وتبارى مجموعة من الشعراء، وفاز بالجائزة الشاعر أبو النجم[4]،وهذا يعد شكلاً من أشكال المفاخرات التي شجعها خلفاء بني أمية.

وكانت مجالس هشام بن عبد الملك تغص بالشعراء والأدباء، وقد كان ذوّاقاً للشعر،فقد وفد عليه نصيبٌ الشاعر يوماً وأخلى له المجلس واستنشده، وحين رآه وعليه آثار المرض ورغم ذلك أنشد، رقَّ له هشام وقال:" ويحك يا نصيب لقد أضررنا بك وبرواحلك " ووصله وأحسن صلته واحتفى به[5].

إذاً تستمر حركة الوفادات، ونجد أن الخلفاء حتى مروان بن محمد قد استمروا في تشجيع الشعراء والأدباء الوافدين، الأمر الذي أدى إلى الإبداع الأدبي في مختلف الميادين والمجالات، وهذا ما كان له الأثر الكبير في تطور أدب الوفادات من النواحي الفنية.

1- الخصائص الفنية من حيث اللغة والألفاظ.

منذ أن تأسست ومعاوية يسعى لتثبيت ملكه بوسائل شتى تراوحن بين الشدة واللين والشد والجذب ،كل هذا وذاك كان له أثره في نهضة الأدب العربي، فقد زحم الشعلر نفسه لأنه الوسيلة الإعلامية الوحيدة تقؤيباً في التعبير عن وجهة نظر الحزب.

تحدثنا في الفصول السابقة عن موضوعات الوفادة واتجاهاتها الرئيسية، وبيّنا أن ألوانها كانت متعددة، فمنها السياسي والاجتماعي، الاقتصادي وغيره، وأوضحنا ما لحق بها من تطور للمادة الأدبية سواء كانت خطابة أم شعراً، وكيف استطاعت الوفادات أن تمثل الحياة السياسية والدينية والاجتماعية، وعرضنا بعض النصوص على سبيل المثال لا الحصر، وبقي أن نستخلص من تلك النصوص الخصائص الفنية لهذا اللون الأدبي في هذا العصر.

من خلال دراستنا لخصائص الألفاظ في أدب الوفادات في عصر بني أمية، وجدنا إن هذه الألفاظ كانت موطناً للفصاحة الأصيلة والبيان العربي السليم من شوائب اللحن واللكنة، فقد كان البلغاء يقصدون البادية ليقوموا ألسنتهم بمشافهة أهلها، وبذلك كان الوافد في خطابته يميل إلى استخدام الطابع البدوي، وكأنه يهدف من وراء ذلك إلى الإيحاء للآخرين بالقوة، ونجد أن الكلمات منسقة، والألفاظ حسنة، والتعابير ذات دلالة واضحة ومؤدية للمعنى المراد التعبير عنه دون لبس أو غموض، مع العناية بترتيب الألفاظ والعبارات، لتكون واضحة الدلالة على المعاني، كان الشاعر والخطيب يتجنب العبارات الملتوية والغامضة، والألفاظ المبهمة الدلالة، كالإكثار من الجمل الاعتراضية، أو إطالة الجملة إطالة مسرفة، والابتعاد عن إيراد الألفاظ الحوشية الغريبة، فالمراد هو نقل الأفكار إلى السامع نقلاً سريعاً يفضي إلى سرعة التأثر والاستجابة من جانبه، خاصة وأن العربي يؤثر بطبعه الوضوح ودقة التعبير[6].

([1]) جرير، الديوان، ص7.
([2]) العسكري، المصون في الأدب،ص 63 -64.
([3]) الخنساء، الديوان، ص245.
([4]) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص102.
([5]) الأصفهاني، الأغاني، 312/1.
([6]) ينظر: إحسان النص، الخطابة العربية، 145.

يمكننا هنا أن نخلص إلى أن اللغة في الوفادات تميزت بالتالي:

1 - قوة العبارة وجزالتها، لأنها تعبر عن مشاعر مهتاجة لدى الخطيب أو الوافد، فهو يسعى من خلال عبارته الوصول إلى قلب السامع والتأثير فيه، وخير مثال على ذلك ما قاله عبد الله بن هاشم بن عتبة لعمرو بن العاص عند معاوية" يا عمرو؛ أن أُقتَل فَرَجُلٍ أسلَمَهُ قومه، وأدركه يومه...، إنك لَبَطِرٌ في الرفاء، جبان عند اللقاء،غشوم إذا وُلّيت[1].

2 - قصر الجمل ليشتد وقعها، ويتلاحق تأثيرها على السامع؛ مثل قول ليلى الأخيلية للحجاج عندما قال لها: صفي لنا الفجاج، فقالت:" الفجاج مغبرة، والأرض مُقْشَعِرّة، والمبرك معتل، وذو العيال مختل، والهالك للقل، والناس مسنتون..." [2].

ومن الوفادات التي تميزت فيها اللغة بدقة الألفاظ وصدق الدلالة والسجع ومساواة الجمل والقدرة على إيصال الفكرة بطرق متعددة، وفادات الأحنف بن قيس على معاوية، والذي كان دائماً ومن خلال انتقاء الألفاظ، وتنسيق العبارات، يخلص نفسه من أي إحراج يجد نفسه قد وضع فيه، أو موقفٍ فرض عليه، ومن الأمثلة الحية على ذلك؛ أنّه عندما عارض الأحنف البيعة ليزيد، حيث قال:"يا أمير المؤمنين؛ أنت أعلم بيزيد في ليله ونهاره، وسره وعلانيته، ومدخله ومخرجه، فإن كنت تعلمه لله رضاً، ولهذه الأمة، فلا تشاور الناس فيه، وإن كنت تعلم فيه غير ذلك؛ فلا تزوده الدنيا وأنت تذهب إلى الآخرة"[3].

فهو يعارض، ولكن بطريقة لبقة وحكيمة، فهو السيد الذي يعرف قدر نفسه، يصارح معاوية في أخص ما يهمه بكل لباقة وكياسة، يدافع عن رأيه بعنف، وهو مؤمن بما يقول، وهو سيد بني تميم، إذ قال عنه معاوية " هذا الرجل إذا غضب، ثار لغضبه مئة ألف فارس، لا يسالون فيما غضب " وبسيادته تلك يصل حاضره المشرق عند معاوية بماضيه عند عمر بن الخطاب τ [4]، فالأحنف بن قيس يجيب معاوية عندما طلب منه أن يلعن علياً τ على المنبر، فقال:إن أجبرتني سأقول " أيها الناس إني داعٍ فأمِّنوا، إنَّ أمير المؤمنين معاوية طلب مني أن ألعن علياً...، وادعّى كُلٌّ منهما أنه بُغِيَ عليه...، اللهم العن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه، والعن الفئة الباغية"[5].

ومن خلال النظر في بعض خطب الوفادات نجدها تخلو من عاطفة الصدق، حيث كان الوافد أقرب إلى التزلف منه إلى الصدق، كما في الوفود التي جاءت تطالب بالبيعة ليزيد، فكثير من المتكلمين نمقوا عباراتهم وألفاظهم بشكل يجعلها لا تخلو من النفاق؛ وذلك لنيل رضى معاوية ويزيد، مثل قول عمرو بن سعيد " إن يزيداً أملٌ تأملونه، وأجلٌ تأمنونه، طويل الباع، رحب الذراع، إذا صرتم إلى عدله وسعكم، وإن طلبتم رِفْدِهِ أغناكم، جَدَعٌ قارح، سوبقَ فسَبَق، ومجد فمجد وقورع فقرع، فهو خلف أمير المؤمنين ولا خلف منه" [6] فهو بذكر هذه الصفات يعارض نفسه ويجافي الحقيقة، فهو يعلم كل العلم مَنْ هو يزيد، وما هو مسلكه، وهو لا يقول هذا الكلام إلا تملقاً ومداهنة وإرضاءً للخليفة وولي عهده.

وكان للتأثر بالقرآن الكريم والحديث الشريف الأثر العظيم في أدب الوفادة ، حيث أننا نلمح الأنماط الجديدة التي تعلمها العرب في التفكير والجدل والنظر العقلي[7]، إضافةً إلى البحث عن الألفاظ التي توحي بهذا التأثر، مع محاولة الوافد التأثير بالسامعين من خلال استخدام صيغ النداء والتعجب والاستفهام والتمني، وما تؤديه من معانٍ إضافية؛ كالتوبيخ والتقريع والتهديد والدعاء والتيئيس ونحو ذلك[8].

ومن الأمثلة على ذلك المحاورة التي دارت بين معاوية والزرقاء ابنة عدي بن قيس الهمدانية، حيث قال لها: "ألست الراكبة الجمل الأحمر يوم كذا وكذا، تحضين على القتال، وتوقدين الحرب..." فقالت:" مات الرأس وبتر الذنب، ولم يعد ما ذهب..، قال:" صدقت! أتحفظين كلامك يومئذ ؟ قالت: لا والله...، وقال: "والله يا زرقاء لقد أشركت علياً في كل دمٍ سفكه في صفين..، [9].

([1]) المسعودي، مروج الذهب، 3 -4/16-18؛ الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص350.
([2]) القالي، الأمالي،1 -2/84؛ الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي،ص350.
([3]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4/346.
([4]) ابن عبد ربه، م.ن ،2/118.
([5]) ابن عبد ربه، م،س، 4/26؛ النويري، نهاية الأرب، 7/137؛ إحسان النص، الخطابة العربية، ص 384-385
([6]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4/344-348؛ القيرواني، زهر الآداب، 3 -4/927 .
([7]) إحسان النص، الخطابة العربية، ص132.
([8]) ابن عبد ربه، م.س، 3/121.
([9]) ابن عبد ربه، م. س، 1/338؛ الأبشيهي، المستطرف، 1/ 199.

وقد نجح خطباء الوفادات في توظيف الآيات مع ما يُلائِمها من الخطبة؛ حتى ليحسب الذي لا يحفظ القرآن أن القرآن كله للخطيب، ويدل استخدامهم للآيات القرآنية على تذوقهم للبلاغة، وأنهم وجدوا في آي القرآن الكريم تعبيراً صادقاً عما يقولونه، وربما يبغون من ذلك إلى توريث كلامهم صفة البهاء والوقار والرقة وسلس الوقع[1].

ونجد أيضاً أثر الاقتباس للصور البيانية الساحرة من القرآن الكريم، وذلك بهدف إحداث وقع معين في نفوس السامعين، ومنهم من حاكى القرآن الكريم محاكاة تامة في ألفاظه وطريقة أدائه وتركيبه، ومن أمثلة ذلك قول الحجاج في دير الجماجم مثلاً: "دير الجماجم وما دير الجماجم" وفي يوم الزاوية يقول" يوم الزاوية وما يوم الزاوية "وفي ذلك محاكاة لقوله تعالى:

(الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ) [2] وقوله: (الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ)[3].

ونجدَ أن خطباء الوفادات قد أكثروا أيضا من الاستشهاد بالشعر حتى أن بعضهم كان يبدأ خطبته بالشعر بدلا من البسملة والحمدلة؛ كما فعل الحجاج في خطبته في الكوفة بقوله:

- الوافر-

أنـا ابنُ جَـلا وطـلاعُ الثنـايا مَتى أضَع العمـامَـة تَعْـرفوني

وربما كانوا يريدون من ذلك تدعيم أفكارهم بالإضافة إلى اقتباس معاني الشعر وعباراته علاوة على أن الشعر كان مصدر ثقافتهم الأصلية، وكان له التأثير الواسع في نفوس الناس إضافة إلى تشابه الأشعار مع الخطابة في سبيل الاستمالة وتأييد الدعاوى[4].

إنَّ الخطابة في الأعم والأغلب؛ حافظت على أساليبها بالألفاظ والمعاني وركزت على السهولة والوضوح، واستخدام الأسلوب العاطفي من خلال التأثير في نفوس السامعين ، ثم إنها استشهدت بالقرآن والشعر، وحافظت على بنية الخطابة بشكل كامل.

ونرى في خطب الوفادات خاصة والخطابة الأموية بشكل عام؛ اعتماد قوة الألفاظ وإشراقها، وحسن ديباجتها وسماحتها وفصاحتها، وجمال وقعها، مع القوة والجزالة والرصانة؛ متأثرة بأساليب القرآن الكريم، كما نرى إحكام نسج العبارة وقوة التآخي بين ألفاظها وملائمتها لما تدل عليه من معنى، ودقة تعبيرها عنه، وتصويرها إياه في عنفه وشدته ولينه ورقته وقدرته على المبالغة فيه، بالإضافة إلى حسن انتظام الألفاظ والجمل الزاجرة والضخمة العنيفة القوية الأداء، المعبرة أدق التعبير عن المعاني المرغوبة في جودة من الصياغة وعناية واضحة بحسن الرصف.

وفي مجال المضمون والمعنى نجد وضوح المعاني وقربها ودقتها وقوتها وجدتها واتساعها وعمقها وترتيبها، ونجد فيها المعاني الجديدة القوية والمتجددة، مستعينين بذلك برهافة الحس وصدق الشعور وقوة الإيمان والسليقة والطبع، وكان في استجابة الألفاظ لهذه المعاني تكريم وصيانة لها، فبرزت في أحسن معارضها وجُلِيَت بأحسن ثيابها ما ضمن لها التوفيق في إصابة مواضيعها وغاياتها[5].

2- الأسلوب والخيال والصورة الفنية.

بعد أن تحدثنا عن خصائص الألفاظ والمعاني في أدب الوفادة حيث وجدناها قد ارتكزت على استخدام أساليب كثيرة ومتعددة منها:

أ - القوة ووضوح الدلالة، والمقدرة البيانية الفائقة، والافتنان في القول، وحسن التقسيم وترتيب الأجزاء والأفكار ترتيبا منطقيا، واقتصار خطبة الوافد على موضوع واحد[6] ومن أمثلة ذالك ما كان من أحد الوفود على هشام بن عبد الملك وفيهم رجل من قريش، استأذنه بالحديث فأذن له فقال:- طالبا من الخليفة مساعدة شخصية: "كبرت سني، وضعفت قواي، واشتدت حاجتي، فإن رأى أمير المؤمنين؛ أن يجبر كسري وينفي فقري"[7] فإن هذه المحاورة بين الخليفة والوافد والوافد اقتصرت على موضوع واحد، هو حل مشكلة الوافد الشخصية؛ متمثلة بطلب المساعدة لقضاء الدين، والاستعانة على ما تبقى من العمر، فهو ينقل شكواه بكلمات معبرة بسيطة، بعيدة عن التكلف، موحية كل الإيحاء، فهو يصف الفقر

([1]) الجاحظ، البيان والتبيين، 118/1.
([2]) القارعة، 1/101.
([3]) الحاقة، 1/69.
([4]) الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص360.
([5]) الجاحظ، البيان والتبيين، 244/1؛ محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، 2 / 429-430.
([6]) محمد طاهر درويش، م .س، 2 / 430.
([7]) القالي، الأمالي،1 -2 / 147.

وكأنه كائن غريب، وجوده سيء وغير مرغوب فيه ويطالب الخليفة بنفيه من خلال عطائه وكرمه، يسأل حاجته بطريقة تتلاءم مع سنه بعيداً عن التذلل، الأمر الذي دفع الخليفة في نهاية المحاورة إلى القول: "تالله ما رأيت رجلا ألطف في سؤال ولا أرفق في مقال من هذا، هكذا ليكن القرشي"[1].

ب- العناية والتجويد في صياغة الخطب، حيث نجد ذلك واضحاً كل الوضوح في أدب الوفود وما فيها من ضروب المهارة البيانية وبراعة العرض والقصد إلى إبراز المعاني في صور فنية جميلة، وهذه السمة عند خطباء المحافل أوضح منها عند غيرهم، ونرى في وفادة ليلى الأخيلية على الحجاج ، خير دليل على ذلك؛ عندما طلب منها أن تصف الفجاج فقالت:" الفجاج مغبرة، والأرض مقشعرة، والمبرك معتل ، وذو العيال مختل...، أذهبت الأموال، وفرقت الرجال، وأهلكت العيال"[2].

وتبدو العناية بالتنميق وعرض الصور الفنية، والتفنن في الوصف بشكل واضح وجلي، فهي تصف بطريقة عاطفية رقيقة تلامس قلب السامع مباشرة، وهي تتحدث بإيجاز كبير موح ومعبر عن معاناة حقيقية تعيشها وتتأثر بها، كلمات قليلة تصف ما تحتاج مجلدات لاستيعابه، وهذه خاصية مميزة للأسلوب الخطابي في ذلك العصر، ولهذا اللون الأدبي على وجه التحديد.

ج- زوال الفوارق الأسلوبية بين خطابة البدو وغيرهم، فلم نعد نرى في خطابة الوفود ذلك الغريب النافر، ولا تلك الجفوة الخشنة في الخطب،التي شهدتها الخطابة في الجاهلية، ولكن الصنعة البيانية قد ظهرت في الخطابة بما يبدو فيها من مراعاة للإيقاع الصوتي، والقصد إلى التوافق الموسيقي، والإكثار من التكرار والترادف.
ومن أمثلة ذلك ما قاله عبد العزيز بن زرارة لمعاوية "يا أمير المؤمنين؛ لم أزل أهز ذوائب الرحال إليك إذ لم أجد مُعولاً إلا عليك امتطي الليل بعد النهار، وأرسم المجاهل بالآثار، يقودني إليك أمل وتسوقني اليك بلوى، والمجتهد يُعذر.. فإذا ألوى بيَ الليل قَبَضَ البصر وعُفِيَ الأثر أقام بدني وسافر أملي..." [3].

د- كان الاعتماد واضحاً على التشبيهات والاستعارات ، واهتموا كذلك برسم الصور البيانية القوية، وهذا كثير في الوفادات الدينية والوعظية، ولعلهم في هذا قد أخذوا من القرآن الكريم اقتباسا وتضمينا واستشهادا،كقول الحجاج⊗⊗⊗(القارعة ما القارعة) وأحسنوا أيضاً التمثيل بالشعر خاصة أن الشعر كان قد استرد مكانته، والناس إذ ذاك بين خطيب وشاعر وراوية، ومن الأمثلة على ذلك ما كان من عبد الله بن مازن؛ عند تعزية يزيد وتهنأته حيث قال:" السلام عليك يا أمير المؤمنين؛ رزئت خير الآباء، وسميت خير الأسماء، فهنأك الله بالعطية، وأعانك على الرعية، فقد أصبحت قريش مفجوعة بعد ساستها، مسرورةً بما أحسن الله إليها من الخلافة بك والعقبى من بعده" وقال: -الرجز-

اللهُ أعْطاكَ التي لا فَوْقَها وَقَدْ أرادَ المُلْحِدونَ عَوْقَها
عَنْكَ فَيَأبى إلاَّ سَوْقَها إلَيْكَ حتى قَلَّدُوكَ طَوْقَها[4]

نجد الخطيب هنا يعرض صوراً بيانية جميلة ومعبرة، فهو يصور قريش كلها فجعت بوفاة الخليفة، وفرحت وسرت في نفس الوقت لتولي يزيد الخلافة ، فقد صور الخلافة على أنها نهاية سلم المجد والسؤدد، ليس فوقها شيء، والله تعالى خص بها يزيد رغم الكيد ورغم معارضة البعض.

هـ- ومن ميزات الأسلوب أيضاً، الصدق في الأداء المفضي إلى الإفصاح عن شخصية الخطيب والمعاني المقصودة، وكان للخطابة عناية فائقة بحسن المقاطع والازدواج، وتساوي الفواصل، والسجع، ومراعاة الإيقاع الموسيقي، وتقصير الجمل، ويهدف ذلك كله إلى قوة الوقع وعمق التأثير، كما كثر في خطب المحافل والوفود؛ استخدام السجع والصنعة وحسن الانتقال، ومن الأمثلة على ذلك قول ابن عبد الله السلولي مهنئاً ومعزياً عند يزيد: "أجارك الله يا أمير المؤمنين على الرزية، وصبرك على المصيبة، وبارك لك في العطية، ومنحك محبة الرعية، مضى معاوية لسبيله غفر الله له، وأورده موارد السرور، ووفقك بعده لصالح الأمور، فقد رزئت خليلاً، وأُعطيتَ جزيلاً، جئت بعده للرياسة، ووليت السياسة..."[5].

([1]) ينظر: نفس المصدر، المكان نفسه.
([2]) القالي، م.س،1 2 / 84؛ الأبشيهي، المستطرف،67/1؛ القيرواني، زهر الآداب،3 -1005/4.
([3]) ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، 1 / 311؛ القلقشندي، صبح الأعشى، 1 / 304؛ القالي، الأمالي، 1-198/2؛ أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب ، ص 372.
([4]) المسعودي، مروج الذهب 3-68/4.
([5]) ابن عبد ربه، العقد الفريد،270/3 ؛ 350/4 ؛ المسعودي، مروج الذهب ، 3-68/4؛ القيرواني، زهر الآداب ، 1-91/2 -92.

ومن الأمثلة الأخرى على تساوي الفواصل والسجع وتقصير الجمل والإيقاع الموسيقي، ما نجده في قول الأحنف بن قيس أمام معاوية في وفد أهل البصرة حيث قال: "يا أمير المؤمنين؛ أهل البصرة عدد يسير، وعظم كسير، مع تتابع من المحول، واتصال من الذحول، فالكثير منها قد اطرق، والمقل منها قد أملق، وبلغ منه المختنق، فإن رأى أمير المؤمنين أن يُنعش الفقير، ويُجبر الكسير، ويُسَهّل العسير.." [1] فجمال هذه العبارات وتناسقها، ودقة هذه الأوصاف ومدلولاتها، لم تأتِ إلا من خطيب متمرس، وأديب يتمتع بقدرة بلاغية فائقة.

و- ونجد أيضا في الوفادات الإيجاز اللائق بصاحب السلطان، حيث الإيجاز في موضع الإيجاز، والإطناب في موضع الإطناب، ويسهم في ذلك حضور البديهة لدى الخطيب، وقوة عارضته ورباطة جأشه، والإيجاز يعد من البلاغة، فالجمل والعبارات القصيرة أبلغ أثراً، وأعلق في النفوس، ومن الأمثلة على ذلك ما كان من سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب، ورجاء بن حيوة، عندما طلب عمر بن عبد العزيز منهم النصيحة، فقال سالم: "إن أردت النجاة غداً من عذاب الله تعالى: فصم عن الدنيا، وليكن إفطارك فيها عند الموت" وقال بن كعب: "إن أردت...، فليكن كبير المسلمين عندك أباً، وأوسطهم عندك أخاً، وأصغرهم عندك ولداً، فَبّر أباك وارحم أخاك، وتحنن على ولدك" وقال بن حيوه: "إن أردت...، فأحبَّ للمسلمين ما تحبُّ لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم متى شِئْتَ مُتْ"[2].

ز- وقد مَيَّزَ أسلوب الوفادات أيضاً شيوع الحوار بين الوافد والخليفة، خاصة الوفادات التي كانت بطلب من الخليفة، أو وفادات المعارضين للحكم الأموي، ومن الأمثلة على ذلك الحوار الذي دار بين عمرو بن العاص وعبد الله بن هاشم بن عتبة في حضرة معاوية، حيث دار بينهما حوار طويل فيه الكثير من التهكم والاستهزاء، وفيه شيء من المفاخرة والاعتداد بالنفس، خاصة من جانب عبد الله بن هاشم، وفي نهاية الحوار حكم معاوية بإطلاق سراح عبد الله،علماً بأن عمرو بن العاص طالب بقتله، حيث قال عبد الله شعراً:

- الطويل-

فإنْ تَعْفُ عَنْ ذي قرابةٍ وَإنْ تَرَ قَتْلي تَستَحِلَّ محارمي

فقال معاوية:

- الطويل-

أرى العفوَ عَنْ عُليَا قريشٍ وسيلةً إلى الله في اليوم العَصيبِ القُمَاطِر[3]

وقد تميز الأسلوب أيضا بالصياغة الأدبية المحكمة، من خلال استخدام الجمل النثري ة التي تصور الحقائق المؤلمة والحزينة، بأسلوب عاطفي تغلب عليه صفة البلاغة، ونجد هذا جلياً في وفادة الخيار النهدي على معاوية إذ كان رده على قول معاوية" لقد غيرك الدهر!" "نعم، يا أمير المؤمنين؛ ضعضع قناتي، وشيَّبَ سوادي، وأفنى لِداتي، وجرأ عليَ أعدائي، ولقد عَنيتُ زماناً أزور الكعاب، وأُسْبِلُ الثياب، وأُحْسِنُ الضِراب، وآلفُ الأحباب، فنأى الشباب عني، ودنا الموتُ مني"[4].

أما فيما يتعلق بالوفادات الشعرية، فقد وجدنا أن بيئة الشام لم ينبع من داخلها شعر يعتد به في العصر الأموي، وكل ما عرفته هذه البيئة من شعر هو طارئ عليها من الخارج، وأفضل ما وجدنا ممثلاً لشعر الوفادة؛ هو شعر المدح والتكسب، وهو ذالك الشعر الذي كان يفد به الشعراء من العراق والحجاز واليمن وغيرها، على بلاط الخلفاء في حاضرة الخلافة الأموية دمشق، وكان من الطبيعي أن يجزل الخلفاء والولاة العطاء لهؤلاء الشعراء لأسباب عدة منها[5].

1. تقدير الخلفاء والولاة للأدب والشعر على وجه الخصوص كما مر بنا مع بعض الخلفاء.
2. رغبة الخلفاء في الدعاية التي تنتج عن المدح، وبالتالي توطيد دعائم الحكم، وإرضاء العامة.
3. اتقاءَهم لشر ألسنة بعض الشعراء أمثال جرير والفرزدق والأخطل وغيرهم الكثير.
4. إن بعض الشعراء كان سيداً في قومه أصلاً، وهو لسان حالهم وهو الذي ينقل شكواهم للخليفة إذا أصابهم ضر.

وقد كان الشعراء الوافدون على الخلفاء ينمقون أشعارهم ويصوغونها بما يتلاءم ورغبة الخليفة، علماً بأن الطابع العام لها كان يدور حول المدح بهدف التقرب من الخليفة، والبحث عن سبل إرضائه لنيل إعجابه والحصول على

([1]) ابن عبد ربه، م،س، 56/2 ؛ القيرواني، م،س، 88/1،2 ؛ الأبشيهي، المستطرف، 67/1؛ أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص363؛ محمد طاهر درويش، الخطابة في صدر الإسلام، 132/2.

([2]) الأبشيهي، المستطرف، 106/1.

([3]) المسعودي، مروج الذهب،3 -16/4-18.

([4]) ابن منقذ، لباب الآداب، ص342.

([5]) عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص194-195.

الجوائز والأعطيات، مع وجود بعض الفروق بين خليفة وآخر فيما يفضل من ألوان الشعر والمديح، وعليه يمكننا أن نلاحظ في شعر الوفادة الموضوعات التالية:

1- التركيز على الشعر الذي يدعو إلى مكارم الأخلاق، ولهذا تركزت موضوعات الأشعار على مدح بني أمية، ليتحول شعر المديح إلى شعر سياسي يمتزج فيه عنصر الدعاية بالمدح الشخصي، لذلك وجدنا الشاعر يبحث عن التجويد بالمعاني المبتكرة والأوصاف التي ترضي الممدوح[1]، ومن الأمثلة على ذلك قول جرير مادحاً لعبد الملك بن مروان بشيء من التملق بقوله:

- البسيط-

لولا الخليفـةُ والقرآنُ يقـرؤه ... ما قامَ للناسِ أحْكامٌ ولا جُمَعُ
أنْتَ الأمينُ أمينُ اللهِ لا سَرِفٌ ... فيم وَليتَ ولا هَيَّابَـةٍ وَرَعُ
أنت المُبارَكُ يهدي اللهُ شيعَتَهُ ... إذا تَفَرَّقَتِ الأهواءُ والشِّيَـعُ[2]

2- ركز شعر الوفادات على المفاخرات، خاصة في عهد عبد الملك بن مروان، فهو شاعر وناقد، ولهذا اعتمد الشعر على الأوصاف الدينية بدلاً من التشبيهات القديمة، وكان الشاعر يهتم بقصيدته وبنائها كثيراً حتى تنال الإعجاب، حيث ذكر أن الأخطل قضى عاماً كاملاً في إعداد قصيدة في مدح عبد الملك، وأنشدها أمامه والتي منها:

- البسيط-

خَفَّ القَطينُ فراحوا مِنْكَ أو بَكَروا ... وأزْعَجَتْهُمْ نوىً في صَرْفِها غِيَرُ[3]

فأعجب الخليفة بهذا المدح والإطراء، فقال للأخطل: أتريد أن أكتب للآفاق بأنك أشعر العرب؟ ثم أمر أن تلقى عليه الخلع الثمينة[4].

لقد كان التكسب من موضوعات الشعر في العصر الأموي بشكل عام، وشعر الوفادات بشكل خاص، فالخليفة لا يألو جهداً في سبيل استقدام الشعراء، وهو لا يبخل عليهم بشيء، الكل يتنافس على رضاه، ويتسابق على بابه، طمعاً في أعطياته، الأمر الذي جعل الشاعر يستجدي في وفاداته، على نحو ما نرى في قول جرير لعبد الملك بن مروان:

- الوافر-

أغِثْني يا فِداكَ أبي وأُمي ... بِسَيْبٍ مِنْكَ إنَّك ذو ارتياح[5]

إنَّه الاستجداء ولكن بأسلوب ركيك وسطحي لا يوحي بعاطفة صادقة، ولكنه أعطى الشاعر هامشاً واسعاً في استخدام ألفاظ ومعانٍ لا حدود لها، أتاحت له الانطلاق والإبداع بهذا اللون الأدبي المميز[6].

وقد ابتكر أدباء الوفادة "شعراء وخطباء" صوراً جديدة كانوا يلونون بها كلامهم، وتدل على موهبة تصويرية عالية، فها هو الأحنف يمثل نزارة خيرات البصرة بحلق النعامة[7] وتصويره لبني تميم في تمردهم على سيدهم ثم انقيادهم له بالخيل الصعاب تضطرب على سائسها حيناً ثم تتبعه، وتصوير النعال بأنها خلاخيل[8].

أما من حيث الخيال، فقد كان هناك ارتباط وثيق بين الخيال والعاطفة من جهة، وبين الخيال والأسلوب من جهة أخرى، فالخيال هو الذي يصور العاطفة ويبعث مُثُلها، وقوته مرتبطة بقوتها، فإذا كانت العاطف ة صادقة قوية، أنشأت خيالاً رائعاً، وإن كانت العاطفة سقيمة مصطنعة؛ كان الخيال سخيفاً، والخيال هو الذي يكسب الأسلوب قوةً وروعة تحببه إلى القراء والسامعين، وتكافئ ما وراءه من حياة يصورها ويبعثها [9] وبشكل عام نجد المقياس للخيال الأدبي يدخل في النواحي التالية:

1. قوة الشخصيات المبتكرة وملاءمَتُها للغرض الذي ابتكرت لتمثيله.
2. التشابه بين المشاهد الخارجية وما توحي به من انفعالات وما تبعثه من عواطف.
3. جمال تصوير الطبيعة الذي جعلنا نعشقها ونتأمل في محاسنها.
4. الجدة في الصور البيانية حتى لا تكون مبتذلة.
5. القدرة على إبراز المعاني والصور بحيث نراها وكأنها محسوسة ومجسمة[10].

([1]) محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام،ص54.
([2]) جرير، الديوان، ص355.
([3]) الأخطل، الديوان، ص113.
([4]) العسكري، المصون في الأدب، ص63-64؛ القالي، الامالي، 2/42-43.
([5]) جرير، الديوان، ص98.
([6]) حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص490.
([7]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ا/306.
([8]) الجاحظ، البيان والتبيين، 2/87-88.
([9]) أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، ص221-223.
([10]) أحمد الشايب، م. ن، ص 222-225.

فالخطيب الماهر يدرك تماماً أنَّ أنْجَح السُبل تكمن في إثارة شعور المخاطبين والتلاعب بعواطفهم، واتباع الأسلوب التصويري في التعبير عن الأفكار والمعاني، ومن المؤكد أن الصور البيانية تفعل في النفس ما لا يفعله أداء الفكرة أداءً حقيقياً مباشراً، ولهذا أفسح خطباء الوفادة المجال واسعاً للتعبير الخيالي، واستعانوا بالصور في أداء معانيهم، ونجد أنهم تعمدوا أحياناً استخدام الصور المخيفة، فها هوالحجاج مثلاً يشبه الرؤوس بالثمار اليانعة التي حان قطافها، والصورة أيضاً تحمل معاني السخرية والاستخفاف[1].

([1]) إحسان النص، الخطابة العربية، ص200.

الخاتمة:

إن الأمم العظيمة ما هي إلا جهود متواصلة لنفر من الرجال المخلصين العاملين بصدق وصبر، وقد مثل الأدب وعلى مر العصور المرآة التي تعكس حضارة الشعوب بصورة واضحة وجلية تظهر مدى تقدم وازدهار أمة من الأمم .

وقد مثل أدب الوفادة في العصور الثلاث التي تناولها البحث- الجاهلي والإسلامي والأموي- مادة إعلامية حقيقية تعبر عن منهج الحياة في تلك العصور، فكان الأدب بعامة وأدب الوفادة بشكل خاص يمثل تأريخاً حقيقياً لتلك الحقبة الزمنية حيث تناول في العصر الجاهلي حياة الجاهلي من مختلف جوانبها، ومثل شكلاً مهماً من أشكال التواصل والاتصال، وعرض وجهات النظر المختلفة، والتغني بمناقب القبيلة، ومثلت الوفادات أيضاً وسيلة لنسج العلاقات بين القبائل بشكل مميز ومحكم، وهو ما يمكننا أن نسميه اليوم بالسفارات والعلاقات السياسية والمصالح المشتركة بين الدول .

وبعد أن جاء الإسلام بتعاليمه السمحة؛ تغيرت الأمور كثيرا، وأصبح الانقياد والطاعة لله وللرسول، وأصبح الإيمان بالمعتقد الجديد هو مقوم الوجود؛ دين جديد أدى إلى التأليف بين القلوب على أسس من المساواة والعدل والشريعة الربانية، وحل الانتماء للدين وسماحته؛ محل الانتماء للقبيلة وتعصبها؛ كل هذه التغيرات تركت في الأدب بصمات واضحة، فالشاعر الذي كان يتغنى بقبيلته وانجازاته الشخصية أصبح يدافع عن الدين ويذود عن حياضه؛ والخطيب كذلك أصبح لا يألو جهداً في الوقوف بلسانه متصديا منافحاً؛ والنبي الكريمρ كان يشجع ذلك بقوة لما له من تأثير عميق في نشر الدعوة الاسلامية.

تغيرت دواع القول في العصر الإسلامي، حيث صبت كلها في خدمة الفكرة الجديدة؛ ما كان يقنع الوافدين مباشرة فيعلنوا إسلامهم؛ لأن بلاغة القول كان لها تأثير السحر في القلوب، ولأن القول"خطابة وشعر" كانا هما البضاعة الرائجة في ذلك العصر .

وما إن جاء العصر الأموي؛ إلى أن تغيرت دواع القول كثيراً، فقد اتسعت الحدود جغرافياً، وتغيرت الاهتمامات؛ إذ أصبح الاهتمام بالدنيا ومتاعها واضحاً؛ الأمر الذي ترك بصمات واضحة في الأدب،فقد تغيرت دواع الوفادة وأشكالها، فجلها كان يركز على الأهداف الشخصية والدنيوية القائمة أساساً على إرضاء الخليفة ومهما كانت مواقفه، وما رافق ذلك من اختلاف واضح وكبير في لغة القول"الخصائص الفنية" .

وعليه نستطيع القول أن الوفادات مثلت السفارات الإعلامية بين الدول والقبائل والأفراد على حد سواء، والأدب الذي نتج عن هذه السفارات مثل مراحل التطور التي مرت بها تلك القبائل والشعوب، حيث وجدُّت أن أدب كل مرحلة كان محاكاة لما وصلت اليه الأمة من تطور، وخلصت أيضاً إلى أن أدب الوفادة أسهم بشكل مباشر في تطوير العلاقات والنسيج الاجتماعي.

وبشكل عام فقد مثل أدب الوفادة في العصور الثلاث لوناً أدبياً مميزاً، عكس طبيعة العلاقات والنسيج الاجتماعي القائم، إضافة لطبيع ة العلاقة بين الحاكم والرعية؛ وبين الوافد والموفد عليه، ومن خلال أنماط الوفادة وأغراضها نستطيع أن نلمس المستوى الاجتماعي الذي كان يسود في كل عصر من العصور الثلاث، وطبيعة العلاقة بين الحاكم والرعية، فالوفد في عهد النبي الكريمρ كان يدخل المسجد ويلتقيه مباشرة ؛ بعكس ما كان في العهدين الجاهلي والأموي إذ كان الوافد مثلاً يبقى أشهراً قبل أن يسمح له بمقابلة الوالي أو الخليفة .

إن أدب الوفادة موضوع طويل ومتشعب ، ويحتاج إلى مزيد من البحث لا سيما في العصور اللاحقة للفترة التي تناولتها الدراسة وذلك ليكتمل البحث في هذا الموضوع المهم في تاريخ أدبنا العربي.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر.
القرآن الكريم .

1- أبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق (ت1329هـ) **عون المعبود في شرح سنن أبي داوود** ،ط1، بيروت:دار الكتب العلمية،1998.
2- الابشيهي، شهاب الدين بن محمد(ت852هـ) **المستطرف في كل فن مستظرف**، حققه وقدم له، عبد الله أنيس الطباع، بيروت: دار القلم،د.ت .
3- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري(ت 606هـ) **النهاية في غريب الحديث والأثر** ، تحقيق طاهر أحمد الواوي وزميله، بيروت: دار الكتب العلمية، 1399/.1979
4- الأخطل،غياث بن غوث التغلبي(ت92هـ)، **الديوان**، إيليا حاوي،بيروت:دار الثقافة،د.ت.
5- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين(ت356هـ)، **الأغاني**، شرحه وكتب هوامشه سمير جابر،ط 4، بيروت: دار الكتب العلمية ، 2002/1422 .
6- الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب(ت216هـ)**شرح الأصمعيات**، شرحها وحققها سعيد ضناوي، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424/.2004
7- الأعشى، ميمون بن قيس(ت7هـ) **الديوان**، بيروت:دار صادر، 1414/.1994
8- الألوسي، محمود شكري البغدادي(ت 1342هـ) **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب** ، شرحه وصححه وضبطه محمد بهجة الأثري، بيروت: دار الكتب العلمية،د.ت .
9- البغدادي، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، (ت356هـ) **الأمالي مع الذيل**، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، 1423/.2002
10- البغدادي، عبد القادر بن عمر(ت1030هـ)**خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه، محمد نبيل طريفي، بإشراف إميل بديع يعقوب،ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418/.1998
11- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود(ت279هـ)، **فتوح البلدان**،ط1، بيروت : منشورات مكتبة الهلال ،بإشراف لجنة تحقيق التراث، 1403/.1983
12- البيهقي،أبو بكر أحمد بن الحسين(ت458هـ) أ- **دلائل النبوة**،ط1، دار الريان للتراث، 1988.
ب- **السنن الكبرى**،ط1،بيروت: دار الكتب العلمية، .1999
13- ابن ثابت، حسان(ت 54هـ) **شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري** ، ضبط وتصحيح، عبد الرحمن البرقوقي، بيروت: دار الأندلس، 1386/.1966
14- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت255هـ)
أ- **الحيوان**، تحقيق يحيى الشامي، دار مكتبة الهلال، 2003.
ب- **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت : دار الجيل،د.ت .
ج- **التاج في أخلاق الملوك** ، تحقيق فوزي عطوان، بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب،د.ت.
15- جرير، ابن عطية الخطفي،(ت110هـ) **شرح ديوان جرير**، تأليف محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، بيروت: دار الأندلس،د.ت .
16- الجمحي، محمد بن سلام(ت231هـ) **طبقات فحول الشعراء**، شرحه محمود محمد شاكر، جدة: دار المدني،د.ت.
17- جميل بن معمر(ت82هـ) **ديوان العذريين**، شرحه يوسف عيد،ط1، بيروت: دار الجيل، 1413/.1992
18- الجوزي، جمال الدين أبو الفرج(ت 597 هـ) **صفوة الصفوة** ، ضبطها وكتب هوامشها، إبراهيم رمضان وزميله،ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1409/.1989
19- حاتم الطائي،مؤيد بن عبد الله بن امرؤ القيس(ت 15ق.هـ)، **الديوان** ، تحقيق عمر فاروق الطباع ، بيروت: دار القلم،د.ت .
20- ابن أبي الحديد، أبي حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد(ت 655هـ) **شرح نهج البلاغة** ، ضبطه وصححه محمد عبد الكريم النمري،ط3،بيروت: دار الكتب العلمية، 1424/.2003
21- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد(ت241هـ) **مسند الإمام أحمد**،ط2 دار إحياء التراث، .1993
22- ابن خلدون، عبد الرحمن(ت808هـ/1406م) **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،ط1 بيروت: دار الكتب العلمية، 1413/.1992
23- الخنساء، تماضر بنت عمرو(ت24هـ) أ- **الديوان**، شرح وتحقيق واضح عبد الصمد، ط1 ، 1377/1958.
ب- **ديوان الباكيتين**، شرح يوسف عيد، ط1 ، بيروت: دار الجيل، 1423/.1992
24-ابن رشيق القيرواني، أبوعلي الحسن (ت 442هـ) **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** ، تحقيق عبد الحميد هنداوي،ط1، صيدا: المكتبة العصرية ، 1422/.2001

25- ابن أبي ربيعة، عمرو(93هـ) **الديوان** ، شرحه وقدم له عبد.أ.علي مهنا،ط 2 ، بيروت: دار الكتب العلمية،1412/.1992
26- الزبيدي، السيد المرتضى(ت893هـ) **إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين**، ط3 ،بيروت: دار الكتب العلمية، .2005
27- الزبيدي،عمرو بن معد يكرب(ت21هـ)، **الديوان**، شرح هاشم الطعان، وزارة الإعلام والثقافة،د.ت.
28- الزرقاني(ت 1122هـ) ، **شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية** للعلامة القسطلاني، ضبطه محمد عبد العزيز الخالدي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1417/.1996
29-الزركلي، خير الدين، **الأعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء** ، ط13، بيروت: دار العلم للملايين، .1998
30-ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس(ت395هـ) **معجم مقاييس اللغة** ، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت : دار الجيل،د.ت.
31- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر(ت 538هـ) **ربيع الأبرار** ،تحقيق طارق فتحي السعيد، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1427/.2006
32- ابن سعد، محمد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، **الطبقات الكبرى**، تحقيق إحسان عباس، ط 1، بيروت: دار صادر، .1968
33- ابن أبي سلمى، زهير(13ق.هـ) **الديوان**، تحقيق كرم البستاني، بيروت: دار صادر، .1960
34- ابن سيد الناس ، الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري(ت734هـ) **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، حقق نصوصه واخرج أحاديثه وعلق عليه محمد عيد الخطراوي وزميله، مكتبة دار التراث ودار ابن كثير،د.ت.
35-السيوطي، جلال الدين(ت 911هـ) **تاريخ الخلفاء** ، حققه وقدم له وخرج آياته قاسم الشماعي الرفاعي وزميله، بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم،د.ت.
36- الشنفرى، ثابت بن أوس الأزدي(ت70ق.هـ)، **الديوان**، شرح محمد نبيل طريفي،ط 1،بيروت: دار الفكر العربي، 2003.
37-ابن أبي شيبة، أبو بكر، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، ط1 ،بيروت:دار الكتب العلمية،.1995
38- الضبي، المفضل محمد بن يعلى بن عامر بن سالم الضبي الكوفي(ت 168هـ) **المفضليات** ، تحقيق قصي الحسين، ط1، بيروت: دار مكتبة الهلال، .1998
39- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير،(ت310هـ) **تاريخ الأمم والملوك"تاريخ الطبري** " ط3، بيروت: دار الكتب العلمية، 1426/.2005
40- طرفة،عمرو بن العبد(ت60ق.هـ) **الديوان**، تحقيق ديرية الخطيب وزميلها، ط2، بيروت:المؤسسة العربية،.2000
41- العامري، لبيد بن ربيعة،(ت41هـ) **الديوان**،شرح عمر فاروق الطباع، ط1، بيروت: شركة الأرقم بن أبي الأرقم ، 1977/1417.
- **الديوان**، قدم له حنا نصر الحتي،بيروت: دار الكتاب العربي،.2004
42- العبسي، عنترة بن شداد(ت 22ق.هـ) **الديوان** ، تحقيق بدر الدين حاضري ومحمد حمامي ، ط 1، بيروت: دار الشرق العربي، 1992.
43- ابن عبد البر، أبو يوسف بن عبد الله، (ت338هـ) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ، تحقيق علي محمد البجاري، القاهرة : مكتبة النهضة،د.ت.
44- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي(ت328هـ) **العقد الفريد** ، بيروت: مكتب تحقيق التراث و دار إحياء التراث العربي،د.ت.
45- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر(ت571هـ) **تاريخ مدينة دمشق**، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، ط1 ، دار الفكر،1418/.1997
46- العسقلاني، ابن حجر، (ت853هـ) **الإصابة في تمييز الصحابة**،ط1، بيروت: دار الجيل، .1992
47- العسكري، أبو أحمد الحسن ابن عبد الله(ت 382هـ)، **المصون في الأدب** ، تحقيق عبد السلام هارون، الكويت: وزارة الإعلام ، .1984
48- العسكري، أبو هلال بن عبد الله بن سهل (ت 395هـ) **الصناعتين الكتابة والشعر** ، تحقيق مفيد قمحية، ط 2 ، بيروت: دار الكتب العلمية، 1409/.1989
49- علقمة الفحل، علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس(ت 20ق.هـ)، **الديوان** ،قدم له وشرحه حنا نصر الحتي، ط 1، بيروت، دار الكتاب العربي ، .1993
50- الفرزدق، همام بن غالب،(ت110هـ) **الديوان** ، شرحه وقدم له علي فاعور، بيروت: دار الكتب العلمية،د.ت.
51- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(ت817هـ) **القاموس المحيط** ، بيروت: دار الجيل والمؤسسة العربية للطباعة والنشر،د.ت.

52- ابن قتيبة،أبو محمد عبد الله بن مسلم الدنيوري (ت322هـ) **الشعر والشعراء**، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط 3 ، دار الحديث، 2001/1421.
53- القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (ت170هـ) **جمهرة أشعار العرب** ، تحقيق علي فاعور، ط 3، بيروت:دار الكتب العلمية، 2003./1424
54- القلقشندي، أحمد بن علي(ت821هـ) **صبح الأعشى في صناعة الانشا**، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية،د.ت.
55- القيرواني، أبو اسحق إبراهيم بن علي الحصري(ت453هـ)**زهر الآداب وثمرة الألباب**، تحقيق زكي مبارك، ط4 ، بيروت: دار الجيل،د.ت.
56- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي(ت751هـ) **زاد المعاد في هدي خير العباد** ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط وزميله، ط 8، مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية،1985./1405
57- ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي،(ت774هـ) **البداية والنهاية في غريب الحديث**، ط1 ، 1994.
58- كثير عزة ، ابن عبد الرحمن بن الأسود بن مليح(ت105هـ)، **الديوان**، جمعه وشرحه إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، 1971./1391
59- كعب بن زهير(ت26هـ) **الديوان**، قدم له محمد يوسف نجم، ط1 ، بيروت: دار صادر، 1995./1415
60- ابن كلثوم، عمرو،(ت 40ق.هـ) **الديوان** ، جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب، ط 1 ، دار الكتاب العربي، 1991.
61- ليلى الاخيلية،بنت عبد الله بن الرحال بن شداد(ت80هـ)، **الديوان**، تحقيق، واضح عبد الصمد، ط 1، بيروت: دار صادر، 1998.
62- المبرد، أبو العباس محمد بن زيد(ت285هـ) **الكامل في اللغة والأدب** ، تحقيق حنا الفاخوري، ط 1 ، بيروت: دار الجيل، 1997./1417
63- المثقب العبدي، العائذ بن محصن بن ثعلبة(ت 35ق.هـ)، **الديوان** ، حققه حسن كامل الصيرفي ، جامعة الدول العربية، 1971.
64- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين(ت346هـ) **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، شرحه محمد هشام النعسان وزميله، ط1 ، بيروت: دار المعرفة، 2005./1426
65- المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني،(ت 1041هـ)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الكتاب العربي،د.ت.
66- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري المصري،(ت 711هـ) **لسان العرب** ، أعاد بناؤه يوسف الخياط، دار اللسان العربي و دار الجيل، 1988.
67- ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن منقذ الكناني،(ت584هـ)، **لباب الآداب**، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1 ، بيروت: دار الجيل، 1991/1411 .
68- الميداني، أبو الفضل احمد بن محمد بن احمد بن إبراهيم النيسابوري(ت518هـ) **مجمع الأمثال** ،قدم له نعيم حسين زرزور، ط2 ، بيروت: دار الكتب العلمية، 2004./1425
69- نابغة بني شيبان، عبد الله بن مخارق بن سليم(ت125هـ) الديوان، قدم له قدري مايو، بيروت: دار الكتاب العربي، 2004./1424
70- النابغة الجعدي، قبس بن عبد الله بن بن ربيعة ،(ت50هـ)، **الديوان** ، تحقيق عبد العزيز رباح، دمشق، منشورات المكتب الإسلامي، 1964.
- **الديوان**، حققه واضح الصمد، ط1، بيروت، دار صادر، 1998.
71- النابغة الذبياني،زياد بن معاوية بن جابر(ت15ق.هـ)، **الديوان**، شرح وتعليق حنا نصر الحتى، ط 2 ، دار الكتاب العربي، 1996.
72- النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب،(ت733هـ) **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، ط1 ، بيروت: دار الكتب العلمية، 2004.
73- ابن هشام (ت835هـ)، **السيرة النبوية**، حققها وضبطها ووضع فهارسها مصطفى السقا وزميلاه، مصر: مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، 1939./1355
74- النيسابوري، الحاكم أبو عبد الله، (ت245هـ) **المستدرك على الصحيحين**، ط1 ،دار الكتب العلمية، 1995.
75- الهمداني، أبو محمد الحسن بن احمد، **الإكليل** ، بيروت: دار العودة،د.ت .
76- الهندي، علاء الدين المتقي،(ت975هـ) **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** ، ط2 بيروت : دار الكتب العلمية ، 2004.
77- الهيثمي، نور الدين،(ت807هـ) **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ط1، دار الكتب العلمية، 1988 .

78- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ،(ت 292هـ) **تاريخ اليعقوبي** ، ط6 ، بيروت: دار صادر، 1995.

ثانياً: المراجع.

1- إبراهيم، أحمد طه، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري** ، بيروت: دار الحكمة،د.ت .
2- الأسطل، علي رضوان أحمد، **الوفود في العهد المكي وأثرها الإعلامي**،ط1، الزرقاء: مكتبة المنار،1404./1984.
3- أمين، أحمد، **النقد الأدبي**، ط4، بيروت: دارالكتب العلمية، 1387./1967.
4- البستاني، بطرس، **أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، دار مارون عبود،د.ت.
5- بيهم، محمد جميل، **دراسة وتحليل للعهد العربي الأصيل**، بيروت: دار الشروق،.1974
6- الجندي، علي ، **تاريخ الأدب الجاهلي مقدمة لدراسة الأدب الجاهلي**، ط3 ،القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، .1969
7-حسن، حسن إبراهيم، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، مكتبة النهضة المصرية ،د.ت.
8- حسين، طه،**في الأدب الجاهلي**، ط10 ،مصر: دار المعارف، د.ت.
9- الحوفي، أحمد محمد، **أدب السياسة في العصر الأموي**، مصر: دار النهضة ومصر للطباعة والنشر،د.ت.
10- خفاجي، محمد عبد المنعم، **الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام**، بيروت: دار الجيل، 1410./1990
11- خليف، يوسف، **الروائع في الأدب العربي العصر الجاهلي**، ط2 ، المجلس الأعلى للثقافة،.2001
12- درويش، محمد طاهر، **الخطابة في صدر الإسلام العصر السياسي عصر الدولة الأموية** ، مصر: دار المعارف،.1967
13- الرافعي، مصطفى صادق، **تاريخ آداب العرب**، ط5 ، بيروت: دار الكتاب العربي، 1420./1999
14- زيدان، جرجي، **تاريخ التمدن الإسلامي**، بيروت: دار مكتبة الحياة، .1967
15- شاكر، محمود، **التاريخ الإسلامي**، ط7 ، المكتب الإسلامي،1411./1991
16-الشايب، أحمد، **أصول النقد الأدبي**، ط8 ،القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، .1973
17- صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، ط1، بيروت:دار الحداثة للطباعة والنشر، 1985.
18- ضيف، شوقي،
أ- **تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي**، ط7 ، مصر، دار المعارف، 1960.
ب- **تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي**، ط8، دار المعارف ،د.ت .
ج- **الفن ومذاهه في النثر العربي**، ط5، مصر، دار المعارف،د.ت.
د- **في النقد الأدبي**، ط5، دار المعارف،د.ت .
19- طليمات، غازي ، **الأدب الجاهلي قضاياه أعلامه وفنونه**، ط1 ، بيروت ودمشق: دار الفكر المعاصر، ودار الفكر، 2002.
20- عتيق ، عبد العزيز، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب** ، ط3 ، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1974./1393
21- علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط1 ، بيروت: دار العلم للملايين، .1970
22- العلي، صالح أحمد، **محاضرات في تاريخ العرب**، ط1، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر ،د.ت.
23- الفاخوري، حنا،
أ- **الموجز** في الأدب العربي وتاريخه، ط1 ، بيروت : دار الجيل، 1985.
ب- **الجامع في تاريخ الأدب العربي**"الأدب القديم"، ط1 ، بيروت:دار الجيل، .1986
24- فروخ،عمر ، **تاريخ الأدب العربي الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية** ، ط6 ، بيروت: دار العلم للملايين، .1992
25- قلعجي، محمد رواس، **قراءة سياسية للسيرة النبوية**، ط1 ، بيروت، دار النفائس، 1416./1996
26- الكبيسي، عبد المجيد محمد صالح، **عصر هشام بن عبد الملك**، بغداد : مطبعة سلمان الاعظمي، .1975
27- كنعان ، محمد بن احمد، تاريخ الدولة الأموية، **خلاصة تاريخ بن خلدون**، بيروت: مؤسسة المعارف،د.ت.
28- المباركفوري، صفي الرحمن، **الرحيق المختوم"بحث في السيرة النبوية "** ط4 ، الدمام: السعودية، دار الذخائر، 1424./1994
29- المزي، يوسف بن عبد الرحمن المزي، **إكمال الكمال**، بيروت:دار الفكر، .1994
30- المصطاوي، عبد الرحمن، وحلبي عبد المجيد طعمة، **أعلام النساء**، بيروت: دار المعرفة، .2002

31- مناع، هاشم صالح، **الأدب الجاهلي**، ط1 ، دار الفكر العربي، 2005.
32- الملاح، هاشم يحيى، **الوسيط في السيرة**، ط1 ،الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، 1423/2003.
33- المناعي، مبروك، **الشعر والمال**"بحث في آليات الإبداع الشعري عند العرب من الجاهلية إلى نهاية القرن"، ط 1 ، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1419/1998.
34- النص، إحسان، **الخطابة العربية في عصرها الذهبي**، ط2 ، مصر: دار المعارف، 1963.
35- هلال، محمد غنيمي، **النقد الأدبي الحديث**، بيروت: دار الثقافة ودار العودة، 1973.
36- هيكل، محمد حسين، **حياة محمد**، ط13، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية،د.ت.

الفهارس الفنية

1 -فهرس الآيات القرآنية.

2 -فهرس الأحاديث النبوية.

3 -فهرس الأشعار.

1- فهرس الآيات القرآنية.

الآية	اسم السورة ورقمها	رقم الصفحة
يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً	مريم ، 85/19	2
وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً	الفرقان ، 63/25	2،3
إِنَّمَاالتَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ	النساء، 17/4	2
وأنيبوُا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا	الزمر ، 54/39	35

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلامَ ديناً	المائدة ، 3/5	35
إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون	الأنبياء ،92/21	35
إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُون	الحجرات ، 4/49	40
إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ...	آل عمران، 3/59-61	54
قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دون اللهِ	آل عمران ،64/3	59
كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ	الرحمن ، 29/55	83
إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَراءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وابْنُ السَّبِيلِ	التوبة ،60/9	122
الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَة	القارعة ،101/1-2	137
الْحَاقَّة مَا الْحَاقَّة	الحاقة ،69/1-2	137
أُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ...	غافر ، 66/40	35
ولتعرفنهم في لحن القول	محمد، 30/47	105

2- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .

طرف الحديث	الصفحة
أَدَّبَني ربيّ فأحسنَ تأديبي	و،ز
وَفْدُ الله ثلاثة	2
الشهيدُ وافدٌ لسبعينَ يشفع لهُمْ	2
أجيزوا الوفدْ	2
إذا كانَ أحَدَكُمْ صائِماً فلا يَرْفُثْ ولا يَجْهَل	2
منْ استَجْهَلَ مؤمناً فَعليهِ إثْمَه	4
أنهاكُمْ عن قيلٍ وقال، وَعَنْ كثرةِ السؤال...	13
نَعَمْ قَد أذِنْتُ لِخَطيبكم	40
قُمْ فأجِبْ الرَّجل في خطْبَتِهِ	40
إنَّ من البيان لَسَحْراً، وإنَّ من الشعر لَحِكْمة	43
اللهُمَّ اكْفِني عامِرَ بنَ الطُفَيْل	44
سأطْلُب لكُمْ وقَدْ وَقَعَتْ المقاسِم	45
أَمَّا الذي لبني هاشم فهو لكم	45
ما كانَ لي ولآل عبدُ المطلب فهوَ لكُمْ	46
السَّلام على هَمَدان السَّلام على همدان	48
إنَّ لله لَيَضحك من شفقكم وأزلكم	48
اللهم اسق بلادك وبهائمك وانشر رحمتك...	49
اللهمَّ اسقنا حتى يقوم أبو لبابة...	49
اللهمَّ حوالَيْنا ولا علَينا...	49
مَنْ لَقِيَ مِنْكُم كعب بن زهير فَلْيَقتله	50
لولا ذَكَرْتَ الأنصار بخَير...	52
إلى أين يا أبا ليلى	53
لا فَضَّ الله فاك	53
اللهمَّ بارِكْ لهمْ في محضِها ومَخْضِها...	57
مَنْ يَنْطلق بِصحيفتي هذه ولَه الجنّة؟	59

3- فهرس الأشعار

الرقم	عجز البيت	البحر	اسم الشاعر	الصفحة
1.	فليس لهاربٍ منهُ نجاءُ	وافر	جرير	132
2.	يجودون بالمعروفِ عوداً على بدءِ	كامل	شاعرمن بني ضنة	115
3.	فإني امرؤٌ وسط القباب غريبُ	طويل	علقمة الفحل	12
4.	وقبلك ربَّتني فضعتُ ربوبُ	=	=	12

.5	من البؤس والنعمى لهُنَّ ندوبُ	=	=	12
.6	فحقٌ لشأسٍ من نداك ذنوبُ	=	=	12
.7	فدانٍ ولا دانٍ لذاك قريبُ	=	=	12
.8	برحلي نحو ساحتك الركابُ	وافر	ليلى الأخيلية	118
.9	إذا ما الأكَمُّ قنعها السرابُ	=	=	118
.10	لتنعشها إذا بخل السحابُ	=	=	118
.11	ترى كل ملك دونها يتذبذبُ	طويل	النابغة الذبياني	9
.12	إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكبُ	=	=	9
.13	وإن تَكُ ذا عُتْبى فمثلُكَ يُعْتَبُ	=	=	9،26
.14	وتلك التي اهتم منها وأنْصَبُ	=	=	26
.15	هراساً يعلو فراشي ويقشُبُ	=	=	26
.16	لمبلغك الواشي أغشُ وأكذبُ	طويل	شاعر من بني ضنة	26
.17	وإن تَكُ ذا عُتْبى فمثلُكَ يُعْتَبُ	=	=	26
.18	طلب اليك من الذي يتطلبُ	كامل	=	115
.19	أحدٌ سواكَ إلى المكارمَ يُنْسَبُ	=	=	115
.20	اولا فأرشدنا إلى أين نذهبُ	=	=	115
.21	فإن كنت كاذباً فيها فعميتُ	طويل	جميل بن معمر	116
.22	وباشرتني دون الشعار شريتُ	=	=	116
.23	بمنطقها في الناطقين حييتُ	=	=	116
.24	وأحسن شيء ما به العينُ قَرَّتْ	طويل	كثير عزة	129
.25	أم من يصول كصولة الحجاج	كامل	جرير	118
.26	وعمه إن عصاك مُطَرَّحُ	منسرح	النابغة الشيباني	86
.27	برب عبد تجنّهُ الكرحُ	=	=	86
.28	رأيتُ الموردينَ ذوي لقاح	وافر	جرير	119
.29	بأنفاس من الشم القراح	=	=	119
.30	أذاة اللوم وانتظري امتياح	=	=	119
.31	ومن عند الخليفة بالنجاح	=	=	119
.32	واندى العالمين بطون راح	=	=	119
.33	بعثات الفروع والاضاحي	وافر	جرير	119
.34	وبينت المراض من الصحاح	=	=	119
.35	بسيب منك إنك ذو ارتياح	=	=	144
.36	إلا الخليفة والمستغفر الصمدُ	بسيط	ليلى الأخيلية	109
.37	وأنت للناس نورٌ في الدُجى يُقَدُ	=	=	109
.38	وسؤال هذي الناس كيف لبيدُ	كامل	لبيد بن ربيعة	128
.39	وعن الناس أحمي عنهم وأذودُ	طويل	مسكين الدارمي	84
.40	تثير القطا ليلاً وهُنَّ هجودُ	=	=	84
.41	ومروان أم ماذا قال سعيدُ	=	=	85

.42	يبوءها الرحمن حيث يريدُ	=	=	85
.43	فإنَّ أمير المؤمنين يزيدُ	=	=	85
.44	فليس يُحسنُ غيرَ البذل والجودِ	بسيط	الأسلمي	126
.45	فأنت والجودِ منحوتان من عودِ	=	=	126
.46	لديه فيما ابتغاه غيرً مردودِ	=	=	126
.47	فلسنا بالجبال ولا الحديدِ	وافر	عقبة بن هبيرة	106
.48	يزيدُ أميرها وأبو يزيدِ	=	=	106
.49	فهل من قائمٍ أو من قصيدِ	=	=	106
.50	ونحن بأعلى رحرحان وصلددِ	طويل	مالك بن نمط	47
.51	بركبانها في لاحبٍ مُمَدَّدِ	=	=	47
.52	رسول اتى من عند ذي العرش مُهْتَدِ	=	=	47
.53	أشدُّ على أعدائه من محمدِ	=	=	47
.54	وأمضى بحد المشرفي المهندِ	=	=	47
.55	ولا قرار على زأرٍ من الأسدِ	بسيط	النابغة الذبياني	17،33
.56	وما أُثمِرَ من مالٍ ومن ولدِ	=	=	17،33
.57	إذاً فلا رفعت صوتي إليَّ يدِ	=	=	17
.58	فلم أعرض أبيت اللعن بالصفدِ	=	=	17
.59	فوا حزني من ذا يهيم بها بعدي	طويل	نصيب	129
.60	لما كنت فينا بخيرٍ مُريدا	متقارب	حاتم الطائي	11
.61	ونحضيرها من معدٍ شهودا	=	=	11
.62	عليَّ جناحاً فاخشى الوعيدا	=	=	11
.63	تحيي جدوداً وتبري جدودا	=	=	11
.64	فمن هذا الذي يرجو الخلودا	وافر	عبد بن همام السلولي	86
.65	وخذها يا معاويَ عن يزيدا	=	=	86
.66	وأزعجتهم نوى في صرفها غِيَرُ	بسيط	الأخطل	144
.67	وجدت لنا فخراً على من يُفاخِرُ	طويل	الأشعث الكندي	30
.68	بفاخرنا فيها فنحن نُخاطرُ	=	=	30
.69	له الفضلُ فيما أورثته الأكابرُ	=	=	30
.70	ما كانت الشمس تلقاها ولا القمرُ	بسيط	جرير	107
.71	قامت تنادي بأعلى الصوتِ يا عمرُ	=	=	107
.72	قالت قريش ألا تلك المقاديرُ	بسيط	عمرو بن معد يكرب	63
.73	ولا سوية إذ تُعطى الدنانيرُ	=	=	63
.74	من أمهاتك إنَّ العفوَ مشتهرُ	بسيط	شاعر من هوزان	46
.75	هادي البرية إذ تعفو وتنتصرُ	=	=	46
.76	يوم القيامة إذ يهدى لك الظفرُ	=	=	46
.77	فإنك المرؤ نرجوه وندَّخِرُ	=	=	45
.78	مشت شملها في دهرها غِيَرُ	=	=	45

.79	على قلوبهم الغمَّاءُ والفخرُ	=	=	45
.80	يا أرجح الناسِ حلماً حين تُخْتَبَرُ	=	=	46
.81	إذْ فوك يملؤه من مخضها الدررُ	=	=	46
.82	وإذ يزيِّنك ما تأتي وما تذرُ	=	=	46
.83	واستبق منّا فإنا معشرٌ زهْرُ	=	=	46
.84	وعندنا بعد هذا اليوم مدَّخرُ	بسيط	شاعر من هوزان	46
.85	من أمهاتك إنَّ العفو مشتهَرُ	=	=	46
.86	هادي البرية إذ تعفو وتنتصرُ	=	=	46
.87	أهل الحجاز دهاه البؤس والضررُ	بسيط	جرير	107
.88	يمينه فجناهُ الجهدُ والكِبَرُ	=	=	107
.89	ومن يتيمٍ ضعيف الصوت والنظرِ	=	=	125
90	خبلاً من الجنِّ أو مسّاً من النشَرِ	=	=	125
.91	لسنا إليكم ولا في دار منتظرِ	=	=	125
.92	من الخليفة ما نرجو من المطرِ	=	=	125
.93	كما أتى ربه موسى على قدرِ	=	=	125
.94	فمن لحاجة هذا الأرمل الذكرِ	=	=	125
.95	وأمك خيرٌ من المنذرِ	متقارب	حسان بن ثابت	16
.96	كيمنى يديه على المُعْسِرِ	=	=	16
.97	في ناطق التوراةِ والزبرِ	كامل	الفرزدق	121
.98	بخلافة المهدي أو حبرِ	=	=	121
.99	برء القروح وعصمة الجبرِ	=	=	121
.100	في قضيب من صالحي الأنصارِ	كامل	كعب بن زهير	51
.101	إنَّ الكرام هم بنو الأخيارِ	كامل	كعب بن زهير	51
.102	حقاً لصدقني الذين أماري	=	=	51
.103	إلى الله في اليوم العصيب القماطرِ	طويل	معاوية بن ابي سفيان	142-96
.104	بإدراك ثأري في لؤي وعامرِ	=	=	97
.105	وزلّت به الجدود العواثرِ	=	=	97
.106	والحرب بعد الحرب ذات سُعرِ	الرجز	هند بنت عتبة	93
.107	أبي وعمي وأخي وصهري	=	=	94
.108	خزيت في بدرٍ وغر بدرِ	الرجز	أروى بنت الحارث	94
.109	بالهاشميين الطوال الزهرِ	=	=	94
.110	حمزة ليثي وعلي صقري	=	=	94
.111	يوماً لو ألقي الحزمي في النارِ	بسيط	الأحوص	90
.112	والداخلين على عثمان في الدارِ	=	=	90
.113	ومروان لا آتيه والمتخيرا	طويل	الفرزدق	121
.114	ليفعل خيراً أو لِيُؤمن أوجرا	=	=	121
.115	إلى الشأمِ حتى كنت أنت المؤمرا	=	=	121

116.	يتلو كتاباً كالمجرة نيرا	طويل	النابغة الجعدي	52،73
117.	وإنَّا لنرجو فوق ذلك مظهرا	=	=	52،73
118.	بوادر تحمي صفوه أن يُكدَّرا	طويل	النابغة الجعدي	52،73
119.	حليم، إذا ما أورد الأمر أصدرا	=	=	52،73
120.	إلى الله يشكي الوليد مفاقره	طويل	الفرزدق	105
121.	ولو مات فلم يشبع من الموت طائره	=	=	105
122.	لنا عند خير الناس إنَّك زائره	=	=	105
123.	وإياي إني بالذي أنا خابره			105
124.	إليك وأمري قد تعيَّت مصادره	=	=	105
125.	للناس ليس لها مصادرْ	كامل	قس بن ساعدة	32
126.	تمضي الأكابر والأصاغرْ	=	=	32
127.	له حيث صار القوم صائرْ	=	=	32
128.	وهل أنا إلا من ربيعة أو مُضَرْ	طويل	لبيد بن ربيعة	128
129.	ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعرْ	=	=	128
130.	أضاع ولا خان الخليل ولا غدرْ	=	=	128
131.	ومن يبكي حولاً كاملاً فقد اعتذرْ	=	=	128
132.	فلما أتاها قال قوموا تناجزو	طويل	الأحنف بن قيس	66
133.	ما قام للناس أحكام ولا جُمَعُ	بسيط	جرير	114،133
134.	فيما وُليتَ ولا هيابة وَرِعُ	=	=	114،144
135.	إذا تفرقت الأهواءُ والشيَعُ	بسيط	جرير	114،144
136.	فضلاً عظيماً على من دونها البدَعُ	=	=	120
137.	تقوى الإله وكل الخير يُصْطَنَعُ	متقارب	حسان بن ثابت	41
138.	أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعو	=	=	41
139.	فكل سبقٍ لأدنى سبقهم تبعوا	=	=	41
140.	منَّا الملوك وفينا تُنْصب البيَعُ	=	=	41
141.	عند النهاب وفضل العز يُتَّبعُ	بسيط	الزبرقان بن بدر	41-73
142.	من الشواء إذا لم يُؤنس القزعُ	=	=	41
143.	من كل أرضٍ هوياً ثم نصطنعُ	=	=	41
144.	إنَّا كذلك عند الفخر نرتفعُ	=	=	41-73
145.	لزوم العصى تُحْنى عليها الأصابعُ	طويل	لبيد بن ربيعة	128
146.	ما في عطائهم مَنٌّ ولا سرفُ	بسيط	جرير	120
147.	على غير إجرامٍ بريقي مُشرقي	طويل	الممزق العبدي	13
148.	وإلا فأدركني ولما أمَزَّقي	=	=	13
149.	وإلا تداركني من البحر أغرق	=	=	13
150.	ولا يقلب الأعداء فيه بمعبقِ	=	=	13
151.	ليلاً إذا نجم الثرية حلقا	كامل	الأحوص	130
152.	وأشكرحباء الذي بالمُلك أصفاكا	بسيط	عبد الله بن همام	101

.153	كما رزئت ولا عُقْبى كعقباكا	=	=	101
.154	وأنت ترعاهم والله يرعاكا	=	=	101
.155	إما نعيت ولا نسمع بمسعاكا	=	=	101
.156	فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا	طويل	كعب بن زهير	49
.157	عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا	=	=	49
.158	على أي شيء غير ذلك دلكا	=	=	50
.159	ولا قائل إما عثرت لعلكا	=	=	50
.160	وأنهلك منها المأمون وعلكا	=	=	50
.161	سؤولاً بأعقاب الأقاويل أنملُ	طويل	الشنفري الازدي	4
.162	متيم إثرها لم يُفد مكبولُ	بسيط	كعب بن زهير	50
.163	إلا أغن غضيض الطرف مكحولُ	=	=	50
.164	لا ألهينك إنّي عنك مشغولُ	=	=	50
.165	فكل ما قدر الرحمن مفعولُ	=	=	50
.166	والعفو عند رسول الله مأمولُ	=	=	50
.167	القرآن فيه مواعيظ وتفصيلُ	=	=	50
.168	ولم أُذنب ولو كثُرت فيَّ الأقاويلُ	=	=	50
.169	مهند من سيوف الله مسلولُ	بسيط	كعب بن زهير	51
.170	ببطن مكة لما أسلمو زولو	=	=	51
.171	في بطن عثر غيل دونه غيلُ	=	=	71
.172	ولا تمشي بواديه الأراجيلُ	=	=	71
.173	جعل الخلافة في إمام عادلٍ	بسيط	جرير	124
.174	حتى ارعوى وأقام ميل المائلِ	=	=	124
.175	ولكن طلابيها ما فات من عقلي	طويل	جميل بن معمر	129
.176	يوماً بجلّق في الزمان الأولِ	كامل	حسان بن ثابت	15
.177	مشي الجمال في الجمال البُزَّلِ	=	=	15
.178	ضرباً يُطيح له البنان المُفصَّلِ	=	=	15
.179	قبر ابن مارية الكريم المُفضَّلِ	=	=	15
.180	لا يسألون عن السواد المقبلِ	=	=	15
.181	بمنطق حقٍ أو بمنطق باطلِ	طويل	الأحوص	123
.182	ولا تُرجعنا كالنساء الأراملِ	=	=	123
.183	على الشعر كعباً من سديس وبازلِ	=	=	123
.184	عليه سلامٌ بالضحى والأصائلِ	=	=	123
.185	يُسفع بينهن دمُ	كامل	طرفة بن العبد	10
.186	وأمِّر دون عُبيدة الوذمُ	كامل	طرفة بن العبد	10
.187	أغدر فيُءْثَرْ بيننا الكَلِمُ	=	=	10
.189	فعاد صباحاً حالكُ الليل مظلمُ	طويل	النابغة الجعدي	117
.190	دُجى الليل جواب الفلاة عثمثمُ	=	=	117

.191	عفواً فيظلم أحياناً فيظلِمُ	بسيط	زهيربن أبي سلمى	15
.192	يقول لا غائب مالي ولا حَرِمُ	=	=	15
.193	صروف الليالي والمان المصممُ	طويل	النابغة الجعدي	117
.194	إذا شرَّ السفيه لدى الحليمُ	وافر	الأحنف بن قيس	65
.195	وقت الزيارة فارجعي بسلام	كامل	جرير	129
.196	وجاه الملوك واحتمال العظائم	طويل	حسان بن ثابت	42
.197	عل أنف راضٍ من مَعَدٍّ وراغم	=	=	42
.198	وأموالكم أن تقسموا في المقاسم	=	=	42
.199	ولا تلبسوا زياً كزي الأعاجم	=	=	42
.200	رجال بنوه من قريش وجُرهم	طويل	زهير بن أبي سلمى	27-20
.201	على كل حال من سحيل ومبرم	=	=	27-20
.202	تفانو ودقوا بينهم عطر مَنشم	=	=	33-27-20
.203	بمال ومعروف من القول نسلم	=	=	20
.204	وما هو عنه بالحديث المرجم	طويل	زهير بن أبي سلمى	28-20
.205	وتُضَّر إذا ضَرَّيْتموها فتضرم	=	=	20
.206	بعدما تبزَّلَ ما بين العشيرة بالدم	=	=	33-27
.207	وتلقحُ كِشافاً ثم تنتج فتتئم	=	=	28
.208	خلعتُ بها عني عِذار لجامي	=	=	127
.209	فكيف بمن يُرمى وليس برامي	=	=	127
.210	ضغينة صدرٍ غثها غير نائم	طويل	عبد الله بن هاشم	96
.211	يرى ما يرى ملوك الأعاجم	=	=	96
.212	إذا منعت منه عهود المسالم	=	=	96
.213	عليك جناها هاشم وابن هاشم	=	=	96
.214	ولا ما جرى أضغاث حالم	=	=	96
.215	وإن تر قتلي تستحل محارمي	=	=	142-96
.216	عواقبها يوماً من الشر أشأما	طويل	مرثد الخير	21
.217	يوم الطعان وملتقى الأقران	كامل	سودة بنت عمارة	109
.218	واقصد لهندٍ وابنها بهوان	=	=	109
.219	علمُ الهدى ومنارة الايمان	=	=	109
.230	قبرٌ فأصبح فيه العدل مدفونا	بسيط	سودة بنت عمارة	109
.231	فصار بالحق والايمان مقرونا	بسيط	سودة بنت عمارة	109
.232	فنجهل فوق جهل الجاهلينا	وافر	عمرو بن كلثوم	2
.233	وقد حملتك بعد سبعاً سبعينا	طويل	لبيد بن ربيعة	127
.234	وفي الثلاث وفاء للثمانينا	=	=	127
.235	يوافي لدى الموتى ضريحي ضريحها	طويل	جميل بن معمر	124
.236	فلما انجلت قطعت نفسي ألومها	بسيط	الحارث المخزومي	89
.237	بكفيك يجري بؤسها ونعيمها	=	=	89

.238	وقد أراد الملحدون عوقها	الرجز	عبد الله بن مازن	100،140
.239	اليك حتى قلدوك طوقها	الرجز	عبد الله بن مازن	100-140
.240	كالرجل خان الرجل عرق نسائها	كامل	فروة بن مسيك	52
.241	أرجو فواضلها وحسن ثرائها	=	=	52
.242	في الحسن عند موفق لقضى لها	كامل	كثير عزة	116
.243	جعل المليك خدودهن نعالها	=	=	116
.244	بكف الله حيث تراها	طويل	ليلى الاخيلية	108
.245	ولا الله يعطي للعصاة مناها	=	=	108
.246	تتبع أقصى دائها فشفاها	=	=	108
.247	غلام إذا هزّ القناة سقاها	=	=	108
.248	ببحر ولا أرض يجف ثراها	طويل	ليلى الأخيلية	108
.249	جزاء بنعمى لا يحل كنودها	طويل	المثقب العبدي	11
.250	أفاعيله حزم الملوك وجودها	=	=	11
.251	قدياً كما بذ النجوم سعودها	=	=	11

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإقرار.	أ
شكر وعرفان.	ب
ملخص (العربية)	ج-د
ملخص (الانجليزية)	هـ-و
المقدمة	ز-ط
تمهيد	ي-م
الفصل الأول : أدب الوفادة في العصر الجاهلي.	1-33
المبحث الأول: الجاهلية حدها ومفهومها.	2-6
المبحث الثاني: الوفادات في العصر الجاهلي "أنماط وأشكال".	6-22

المبحث الثالث: دراسة فنية لأدب الوفادة في العصر الجاهلي.	33-22
الفصل الثاني : أدب الوفادة في عصر صدر الإسلام.	73-34
المبحث الأول: تعريف بصدر الإسلام "تحديد العصر".	37-35
المبحث الثاني: الوفادة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.	60-37
المبحث الثالث: الوفادات زمن الخلفاء الراشدين "أنماط وأشكال".	69-61
المبحث الرابع: الخصائص الفنية لأدب الوفادة في عصر صدر الإسلام.	73-69
الفصل الثالث : أدب الوفادة في العصر الأموي.	146-75
المبحث الأول: تعريف بالعصر الأموي "تحديد العصر".	81-78
المبحث الثاني: الوفادة في العصر الأموي "أنماط وأشكال".	130-81
المبحث الثالث: الخصائص الفنية لأدب الوفادة في العصر الأموي.	146-130
الخاتمة.	148-147
المصادر والمراجع.	158-149
فهرس الآيات القرآنية.	159
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.	161-160
فهرس الأشعار.	177-162